الإعلام

بمن في تاريخ الهند من الأعلام

المسمّى

بـ«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»

لمؤرخ الهند الكبير العلّامة الشريف عبد الحيّ بن فخر الدين الحسني
أمين ندوة العلماء العام بلكهنؤ - الهند - سابقاً
المتوفى سنة ١٣٤١هـ

الجزء الأوّل

يتضمن تراجم علماء الهند وأعيانها
من القرن الأوّل إلى القرن السّابع الهجري

دار ابن حزم

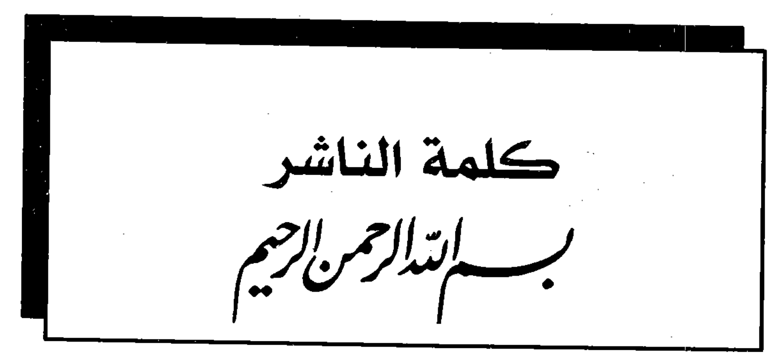
الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن كتاب «نزهة الخواطر» أو الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام للعلاّمة المؤرخ السيد عبدالحي الحسني رحمه الله تعالى، أوسع كتاب في تراجم علماء شبه القارة الهندية حيث ترجم فيه لأربعة آلاف وخمسمائة شخصية وقد طبع هذا الكتاب في الهند عدة طبعات في ثمانية مجلدات وقد قمنا في هذه الطبعة بوضعه في مجلدات على طريقة الجداول مع المحافظة على تقسيم المؤلف ووضع الفهارس في كل جزء ثم وضع فهارس عامة في آخر الكتاب تسهيلاً للباحثين.

ونتقدم بالشكر الجزيل للعلاّمة الداعية السيد أبي الحسن الندوي ـ يحفظه المولى تبارك وتعالى ـ الذي تكرم وأذن لنا بطباعة كتاب والده ـ رحمه الله تعالى ـ كما نتقدم بالشكر الجزيل لمصحح الكتاب وهو أحد العلماء الندويين.

الناشر

هذا الكتاب ومؤلفه العلاّمة عبدالحي الحسني ـ رحمه الله ـ في نظر الأستاذين الجليلين: علي الطنطاوي وتقي الدين الهلالي

ـ جاء في ذكريات الأستاذ الكبير علي الطنطاوي حفظه الله تعالى ٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥ بصدد ذكر العلامة عبدالحي رحمه الله:

إنه «مؤرخ الهند حقيقة ولقد استفدت من كتابه العظيم «نزهة الخواطر» فوائد جلية في تراجم عظماء الهند التي أودعتها كتابي (رجال من التاريخ) وفي رسالتي عن أحمد بن عرفان العالم المجاهد الصالح المصلح الذي ذهب شهيداً في المعركة الإسلامية لإعلاء كلمة الله..».

ـ ومن كلام الأستاذ الطنطاوي أيضاً في «الذكريات» ٨/١٠٦:

«وقد قرأت الكتابين اللذين وصلا إليّ مما ألفه والد السيد أبي الحسن، كتاب (نزهة الخواطر) الذي جمع فيه من سير أعلام الهند، ومن نشأ فيها، ما لم يجمعه كتاب غيره، فهو يغني في هذا الباب عن كل كتاب، ولا يغني عنه كتاب.

وكتابه الآخر الذي نشره المجمع العلمي في دمشق وسماه المجمع (ثقافة الهند)، والذي أودعه المؤلف ما لا يستطيع مثلي أن يجده في خزانة كاملة، يكب عليها، يطالع ما فيها».

ـ وقد أشاد العلامة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني المغربي رحمه الله بفضل العلاّمة عبدالحي ونوّه بنصاعة بيانه إذ يقول في رسالة موجّهة إلى تلميذه الأستاذ السيد أبي الحسن ما يلي:

ـ «أما ما شهدت به وأعجبت به من علم والدكم وفصاحته وحسن تصنيفه وبلاغته وجمال أسلوبه، فقد جاء عفواً ولم أقصد به المدح والثناء وسرّني مجيئه في الوقت المناسب...».

● ● ●

رسائل الإعلام ص ٢٨ ـ ٢٩
كتب وجهت إلى فضيلة الشيخ
أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الهند ومكانتها في تاريخ الإسلام ومكانةُ المؤلّف وكتابِهِ في المكتبة التّاريخية للهند

بقلم: صاحب الفضيلة الدكتور السيّد عبد العلي الحسني
نجل المؤلف الأكبر وأمين نَدوة العُلماء العام

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

مكانة الهند وصلتها بالإسلام:

أما بعد، فإن الهند من بلاد الله السعيدة التي هبَّت عليها نفحة من نفحات الإسلام في فجر تاريخ الإسلام، وأدركتها العناية الإلهية في القرن الأول، فلم تزل محطّ رجال المسلمين من الغزاة والفاتحين، والعلماء والصالحين، وأُريق في ربوعها الدماء الزكية التي لم تكن لتذهب هدراً، كدم دُرّة البيت النبوي: عبد الله بن محمد العلوي (ت ١٥١)، والمغيرة بن أبي العاصي الثقفي، وعبيد الله بن نبهان، وأَودَع الإسلام ثراها ودائع لا تضيع من عظام المسلمين الكبار، كعبد الرحمن بن العباس الهاشمي، وحَكَم بن عوانة الكلبي (ت ١٢٢)، وأبي بكر رَبيع بن صَبِيح السعدي (ت ١٦٠) أوّلِ المؤلفين في الإسلام على قول بعض المؤرخين.

سهم أبناء الهند في الثقافة العربية:

أشرقت أرض الهند بنور الإسلام، وأسهم أهلها العربَ في الدين والعلم حتى في العربية والشعر والتأليف، ونبغ فيهم شاعرٌ عربي بليغ كأبي عطاء السندي من رجال القرن الثاني، وفقيهٌ عالم مؤلف كأبي معشر نَجِيح بن عبد الرحمن صاحب المغازي (ت ١٧٠).

الذين دخلوا الهند وتوطّنوها:

وجذبتْ أرض الهند عدداً من خيرة العالم الإسلامي، وأنجبتْ رجالاً هم محاسن الدنيا ونجوم الأرض ومفاخر المسلمين جميعاً فضلاً عن مسلمي الهند.

ففي دعاء الخلق إلى الله وتهذيب النفوس والدلالة على معالم الرشد: يجد الإنسان في دفائن الهند أعلاماً مثل الشيخ علي بن عثمان الهجويري (ت ٤٦٥) والشيخ معين الدين حسن بن حسن السجزي الأجميري (ت ٦٢٧) والشيخ قطب الدين بَخْتيار الأُوشي (ت ٦٣٣).

أبناء الهند النوابغ في الفضائل المختلفة:

ومن أبنائها: الشيخ فريد الدين مسعود الأجُودَهني (٦٦٤)، والشيخ بهاء الدين زكريا بن محمد الملتاني (٦٦٦)، والشيخ علي بن أحمد الكَلْيَري (٦٨٩)، والشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البَدَايُوني (٧٢٥)، والشيخ نصير الدين محمود الأودي المعروف بِ «چراغ دهلي» (٧٥٧) والشيخ أشرف جَهَانگير السمناني (٨٠٨)، والشيخ نور الحق البِنْدوي (٨١٨)، والشيخ محمد بن يوسف الحسيني دفين گُلْبَرْگَهْ (٨٢٥)، والشيخ أحمد عبد الحق الرُّدُولْوي (٨٣٦)، وعلي بن القوام المشهور بعلي عاشقان السَراي مِيري (٩٥٥)، والشيخ محمد غوث الگَوَالِيري (٩٧٠)، والشيخ كمال الدين الكِيْتِهلي (٩٧١) والشيخ عبد الباقي (باقي بالله) النقشبندي (١٠١٤)، والشيخ تاج الدين السَّنْبَهلي (١٠٥٠)، والسيد آدم ابن إسماعيل البِنُوري (١٠٥٣)، والشيخ معصوم بن أحمد السَّرهندي (١٠٧٩)، والشيخ محمد زبير السرهندي (١١٥١)، وشمس الدين حبيب الله مِرْزا جان جاناںْ الدهلوي (١١٩٥)، والشيخ فخر الدين الدهلوي (١١٩٩)، والشيخ غلام علي الدهلوي (١٢٤٠)، والشيخ محمد آفاق (١٢٥١)، ومولانا فضل الرحمن الگَنْج مُراد آبادي (١٣١٣)، والحاج إمداد الله التَّهانوي (١٣١٧)، في آخرين ممن تنوّرتْ بهم الأقطار الهندية، وتعطرت بأنفاسهم الأرجاء الشرقية والغربية، وانتفع بهم خلائق لا يحصيهم إلا الله.

وفي إقامة عوج الزائغين، وردّ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وفي المعارف الدينية، والعلوم النبوية، والحِكم الشرعية: تَرَى مثل الإمام الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي «مجدد الألف الثاني» (١٠٣٤) صاحب الرسائل الخالدة، وحكيم الإسلام الشيخ ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١١٧٦) صاحب «حجة الله البالغة» و «إزالة الخفاء»، والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦)، صاحب الدعوة والجهاد، وكتاب «الصراط المستقيم»، وحجة الإسلام الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن الشيخ ولي الله، صاحب أبحاث ومواقف في دعوة التوحيد والسنة والجهاد (١٢٤٦)، أولئك الذين رَجَحتْ بهم كفة الهند في الجهاد والتجديد على العالم الإسلامي في العصور الأخيرة.

وفي الورع والزهادة، والمحافظةِ على السنن الدقيقة، والأخذِ بالعزائم، والتحرزِ عن البدع، والإنكارِ على محدثات الأمور: الشيخ ضياء الدين السّنامي، من رجال القرن الثامن، والشيخ حسام الدين الملتاني (٩٦٠)، والشيخ عبد الوهاب المتّقي (١٠٠١)، والشيخ عبد اللطيف البُرهانپُوري المتورع (١٠٦٦)، والشيخ سيف الدين السرهندي (١٠٩٦)، والشيخ عَلَمَ الله الحسني النقشبندي (١٠٩٧)، والشيخ جعفر بن باقر الدَّلْموي (١٢٣٢)، والشيخ مظفّر حسين الكاندهلوي (١٢٨٣)، والسيد خواجه أحمد النصير آبادي (١٢٨٩)، والشيخ عبد الله الغزنوي (١٢٩٨)، والسيد مصطفى التُونكي (١٣٢٠)، والشيخ رشيد أحمد الگَنْگُوهي (١٣٢٣)، من الجبال الراسيات في لزوم التقوى والتحرز عن الشبهات، وآيات الله البينات في الحسبة الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات.

وفي كِبَر النفس والشهامة وعلو الهمة في خدمة الدين، والصبر على البلاء وتحمل الأذى في ذات الله، والجهر بكلمة الحق عند سلطان جائر: الشيخ علاء بن الحسن البيانوي (٩٥٧)، والشيخ أمير علي الأَمِيتهوي (١٢٧٣)، والشيخ وِلايتْ علي العظيم آبادي (١٢٧٩)، وأبو عبد الله السيد نصير الدين الدهلوي الشهيد من رجال القرن الثالث عشر، والشيخ يحيى علي العظيم آبادي (١٢٨٤)، والشيخ محمود حسن الديوبندي (١٣٣٩) من المتأخرين.

وفي كثرة الإرشاد، وانتشار الهداية، وفيضان النفع، والتأثير في القلوب: الشيخ إسماعيل اللاهوري

(٤٤٨)، والشيخ علي بن الشهاب الهَمَذاني (٧٨٦) من الأولين، والشيخ عبد الحي بن هبة الله البُرهانوي (١٢٤٣)، والشيخ محمد علي بن عنايت علي الواعظ الرامپوري (١٢٥٨)، والشيخ إمام علي السامري المكانوي (١٢٨٢)، والشيخ كرامت علي الجَوْنپُوري صاحب الدعوة والإرشاد في بَنْگالَهْ (١٢٩٧)، والشيخ غلام رسول القَلْعوي من رجال القرن الرابع عشر، والشيخ محمد إلياس بن الشيخ إسماعيل الكاندهلوي الدهلوي صاحب الدعوة والإصلاح في ميْوَات ومنشىء جماعة الدعوة والتبليغ (١٣٦٣) من المتأخرين، الذين اهتدى بهم خلائق لا يحصيهم إلا من أَحصَى (رمل عالِج)[١]، و (شعر غنم بني كلْب)[٢].

ومن المتضلعين من العلوم النقلية، والراسخين في علم الكتاب والسنة النبوية: مثل الشيخ علي بن حسام الدين المتقي صاحب «كنز العمال» (م ٩٧٥)، والعلامة عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي صاحب «اللمعات» في شرح «مشكاة المصابيح» (١٠٥٢)، والقاضي ثناء الله الپاني پَتي صاحب «التفسير المظهري» (١٢٢٥)، والشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي صاحب «فتح العزيز» في تفسير القرآن الكريم، والفتاوى الشهيرة (١٢٣٩)، والشيخ عبد القادر بن الشيخ ولي الله صاحب ترجمة القرآن بالأُرديّة: «موضح القرآن» (١٢٣٠)، الذين أطبق على فضلهم علماء الآفاق، وسارت بمصنفاتهم الرفاق.

دخلتْ الهند في حَلْبة علم الحديث متأخرةً ـ في القرن العاشر ـ، ولكنها سبقت كثيراً من الأقطار، ونهض منها الأئمة الكبار، وانتهى إليهم تدريس هذا الفن والقيام بحقوقه، حتى أصبحت هذه البلاد مركزاً لهذا الفن الشريف، يُشدّ إليه الرحال، ويُضرب فيه أكباد الإبل.

فممن يرجع إليهم الفضل في نشر هذا الفن في هذه البلاد ـ عدا الأئمة الأعلام والمحدثين العظام، كالشيخ علي المتقي، والشيخ محمد طاهر الفتَّني، والشيخ عبد الحق الدهلوي، والشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، والقاضي ثناء الله الپاني پتي، والشيخ عبد العزيز الدهلوي ـ هم:

الشيخ راجح بن داود الگُجراتي (٩٠٤)، والشيخ عبد الأول بن علي بن العلاء الحسيني الجونپوري صاحب «فيض الباري شرح صحيح البخاري» (٩٦٨)، والشيخ عبد الله بن سعد الله السندي (٩٨٤)، والشيخ عبد النبي بن أحمد الگنگوهي (٩٩١)، والشيخ عبد الله بن شمس الدين السلطانپوري (٩٩١)، والشيخ رحمة الله بن عبد الله السندي (٩٩٤)، والشيخ أحمد بن إسماعيل المَنْدُوي، والشيخ عليم الدين المندوي من رجال القرن العاشر، والشيخ إبراهيم بن داود المانكپُوري الأكبر آبادي (١٠٠١)، والشيخ طاهر بن يوسف السندي (١٠٠٤).

ومن أهل الطبقة الثانية: الشيخ نور الحق بن الشيخ عبد الحق الدهلوي صاحب «شرح الجامع الصحيح» بالفارسية (١٠٧٣)، والشيخ أبو الحسن السندي الكبير صاحب الحواشي على الكتب الحديثية الستة (١١٣٨)، والشيخ محمد أفضل السِيالْكُوتي (١١٤٦)، والشيخ صفة الله الرضوي (١١٥٧)، والشيخ محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي السلفي الإله آبادي (١١٦٤)، والشيخ خير الدين السُورتي (١٢٠٦)، ومولانا شيخ الإسلام الدهلوي صاحب «كشف الغطاء» من رجال القرن الثاني عشر، والشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام صاحب «المحلّى» شرح الموطأ (١٢٢٩).

---

(١) قال الفيُومي في «المصباح المنير» مادة (علج): «رمل عالِج: جبال متواصلة، يتّصل أعلاها بالدهناء... وأسفلُها بنجد، ويتّسع اتساعاً كثيراً، حتى قال البكري: رمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب.

(٢) بنو كلب: قبيلة من العرب، هم أكثر قبائل العرب أو من أكثرها غَنَماً.

ومن رجال الطبقة الثالثة: الشيخ محمد إسحاق بن أفضل الدهلوي (١٢٦٢)، والشيخ عبد الحق النيوتني البَنَارَسي (١٢٧٦)، والشيخ عالم علي النَّگِينوي (١٢٩٥)، والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي صاحب «إنجاح الحاجة»، (١٢٩٦)، والشيخ أحمد علي بن لطف الله السهانپوري صاحب التعليق على الجامع الصحيح للإمام البخاري (١٢٩٧)، والشيخ عبد القيوم بن الشيخ عبد الحي البُدهانْوي (١٢٩٩)، والسيد حسن شاه الرامپُوري (١٣١٢)، والقارىء عبد الرحمن الپاني پَتي (١٣١٤)، والسيد نذير حسين الدهلوي (١٣٢٠)، والقاضي محمد بن عبد العزيز المَچْهلِي شِهْري (١٣٢٠)، والشيخ محمد بشير السَّهْسَواني (١٣٢٣)، والشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني البهُوپالي (١٣٢٧)، والشيخ عبد المنان الوزير آبادي (١٣٣٤)، والشيخ عبد الله الغازي پُوري (١٣٣٧)، والشيخ شمس الحق الدِيانوى العظيم آبادي صاحب «غاية المقصود»، والشيخ خليل أحمد السهارنْپُوري صاحب «بذل المجهود» (١٣٤٦).

أصبحت الهند بفضلهم حارسةً لهذا الفن الشريف، لم تنتكس رايتُه ولم تكسد بضاعته، حتى قال بعض كبار علماء العرب[١]: **«ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقُضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعُفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر»**[٢]

وفي المعارف الإلهية والأسرار: مثلُ أبي علي السندي من رجال القرن الثالث، والشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري صاحب الرسائل العالية والعلوم الراسخة (٧٧٢)، والشيخ علي بن أحمد المَهَائِمي صاحب «التبصير» (٨٣٥)، والشيخ صبغة الله الحسيني صاحب رسالة «إراءة الدقائق» (١٠١٥)، والشيخ عيسى بن قاسم السندي صاحب «أنوار الأسرار» (١٠٣١)، والشيخ عبد النبي الشطاري الأكبر آبادي من رجال القرن الحادي عشر.

ومن حاملي لواء التوحيد الوجودي وأصحاب الأذواق والعلوم الوجدانية: الشيخ عبد القدوس الگنگوهي (٩٤٤)، والشيخ عبد الرزاق الجَهنْجهَانوي (٩٤٩)، والشيخ عبد العزيز الدهلوي المعروف بشكربار (٩٧٥)، والشيخ محمد بن فضل الله البرهانپوري (١٠٢٩)، والشيخ محب الله الإله آبادي (١٠٥٨)، والشيخ محمد حسين الإله آبادي (١٣٢٢)، كان كل واحد منهم فريدَ عصره، ووحيد دهره، وكان كل واحد منهم ابن عربيِّ عصره، وابن فارض مصره.

ومن الأئمة المحققين في اللغة العربية، الذين لهم مِنّةٌ على الناطقين بالضاد والمشتغلين بعلوم الدين واللغة في أنحاء المعمورة: الشيخ حسن بن محمد الصَّغَاني صاحب «العباب الزاخر» (٦٦٠)، والشيخ محمد طاهر الفتَّني صاحب «مجمع بحار الأنوار» في غريب الحديث (٩٨٦)، والسيد مرتضى الزبيدي صاحب «تاج العروس» (١٢٠٥)، قد أكبَّ على كتبهم علماء العرب دراسةً وشرحاً، وتلخيصاً واقتباساً.

وفي العلوم العقلية والفنون الحِكمية: مثلُ الشيخ محمود بن محمد الجونپوري صاحب «الشمس البازغة» (١٠٨٢)، والقاضي محب الله البِهَاري صاحب «سُلَّم العلوم» (١١١٩)، والشيخ حَمَد الله السَّنْدِيلوي صاحب شرح «السلّم» والتعليقات على كتب الحكمة (١١٦٠)، والقاضي مبارك بن دائم الگوپاموي صاحب التعليقات وشرح «سُلّم العلوم» (١١٦٢)، والشيخ غلام يحيى البِهَاري صاحب الحاشية

---

(١) العلامة السيد رشيد رضا، منشيء مجلة «المنار» المصرية.

(٢) مقدمة «مفتاح كنوز السنة».

الدقيقة على رسالة «مِيْر زاهد» (١١٨٠)، ومولانا محمد حسن اللكهنوي صاحب شرح «السلّم» (١١٩٩)، والشيخ رفيع الدين ابن الشيخ ولي الله الدهلوي صاحب «إبطال البراهين الحكمية»، ورسائل في المنطق والحكمة (١٢٣٣)، والشيخ فضل إمام الخير آبادي صاحب «المرقاة» في المنطق، و «تلخيص الشفاء» للشيخ الرئيس (١٢٤٣)، الذين خضعتْ لهم مناهج التعليم، وباهت بنتائج فكرهم الأوساط العلمية.

وفي العلوم الرياضية والهيئة والنجوم: مثلُ مِيْرَكْ عبد الباقي التَّتَوي صاحب «الأشكال الجديدة» (٩٨٣)، والشيخ فريد الدين الدهلوي صاحب «الزيج الشاهْجَهَاني» (١٠٣٩)، والعلامة تفضُّل حسين اللكهنوي صاحب الشروح على المخروطات، والرسالتين في الجبر والمقابلة (١٢١٥)، وقاضي القضاة نجم الدين الكاكُورْوي صاحب الستة الجبرية (١٢٢٩)، وخواجة فريد الدين الدهلوي صاحب «فوائد الأفكار» و «التحفة النعمانية» (١٢٤٤)، وشمس الأمراء النواب فخر الدين الحيدر آبادي صاحب «شمس الهندسة» والستة الشمسية (١٢٧٩)، بلغوا درجة الإبداع، وفاقوا في الصناعة والاختراع.

وفي كثرة التدريس والإفادة والتثقيف، والاجتهاد في تعليم العلوم، وحسن الشرح والتلخيص: مثل الشيخ عبد الله التِّلَنْبي (٩٢٢)، والشيخ عزيز الله التلنبي (٩٣٢)، والعلامة وجيه الدين بن نصر الله الگجراتي صاحب الحواشي والشروح على الكتب الدرسية (٩٩٨)، والمفتي عبد السلام اللاهوري صاحب الحاشية على البيضاوي (١٠٣٧)، والمفتي عبد السلام الديوي صاحب الحواشي على الكتب الدرسية (مات بعد سنة ١٠٤٧)، والعلامة عبد الحكيم السِّيالْكُوتي صاحب الحواشي والرسائل (١٠٦٧)، والشيخ أحمد بن أبي سعيد الأَمِيْتَهوي صاحب «التفسيرات الأحمدية»، و «نور الأنوار في شرح المنار» (١١٣٠)، والشيخ نظام الدين بن قطب الدين السِّهالْوي صاحب الشروح والحواشي (١١٦١)، والشيخ عبد العلي بن نظام الدين صاحب شرح «السُلّم» والمُسلَّم (١٢٣٥) كان كل واحد منهم غيث الإفادة الهَتُون، وعالِم الربع المسكون.

وفي نشر العلوم وتخريج الطلبة وتربيتهم: أمثال: الشيخ أحمد بن عمر شهاب الدين الدولت آبادي (٨٤٩)، والشيخ أبي الفتح بن عبد الحي بن عبد المقتدر الدهلوي (٨٥٨)، والشيخ محمد أعظم بن أبي البقاء اللكهنوي (٨٧٠)، والشيخ سماء الدين الملتاني (٩٠١)، والشيخ إله داذ بن عبد الله الجونپوري (٩٢٣)، والمفتي أبي الفتح بن عبد الغفور التَّهانيْسَري (٩٧٦)، والقاضي عبد القادر العمري اللكهنوي (١٠٧٦)، والشيخ محمد رشيد الجونپوري (١٠٨٣)، والشيخ بِيْر محمد اللكهنوي (١٠٨٥).

ومن أهل الطبقة الثانية: الشيخ كمال الدين الفتحپوري (١١٧٥)، والشيخ عبد الباسط القَنُّوجي (١٢٢٣)، والشيخ رشيد الدين الدهلوي (١٢٤٣)، والشيخ مملوك العَلِيّ النانُوتوي (١٢٦٧)، والشيخ ولي الله اللكهنوي (١٢٧٠)، والشيخ حيدر علي الرامپوري التُونكي (١٢٧٣)، والشيخ سخاوت علي الجونپوري (١٢٧٤)، والمفتي عنايت أحمد الكاكوروي (١٢٧٩)، والمفتي محمد يوسف بن أصغر اللكهنوي (١٢٨٦)، والشيخ يعقوب بن مملوك العلي (١٣٠٢)، والشيخ عبد الحق الخير آبادي (١٣١٨)، ومولانا محمد نعيم اللكهنوي (١٣١٨)، والشيخ أحمد حسن الكانپوري (١٣٢٢)، والشيخ هداية الله الرامپوري (١٣٢٦)، والشيخ محمد فاروق الچِرْياكوتي (١٣٢٧)، والمفتي لطف الله الكوئلي (١٣٣٤)، والحكيم بركات أحمد التُونكي (١٣٤٧)، قامت بهم دولة العلم في الهند، ونَفَقَتْ على أيديهم سوق التدريس، وتخرج عليهم خلق لا يحصون كثرة.

وفي سيلان الذهن وقوة العارضة، والذب عن الحق والحَمِيّة للدين: الشيخ محمد قاسم النانوتوي

صاحب الرسائل البديعة والأبحاث اللطيفة، ومؤسس معهد ديوبند الكبير (١٢٩٧)، والشيخ حيدر علي الفيض آبادي صاحب «منتهى الكلام» (١٢٩٩)، والشيخ رحمة الله الكيرانوي صاحب «إظهار الحق»، ومؤسس «المدرسة الصولتية» بمكة المعظمة (١٣٠٩)، والشيخ محمد علي الكانپوري المُونْگِيري صاحب رسائل في الرد على النصارى، ومؤسس «ندوة العلماء» ومعهدها في لكهنؤ (١٣٤٦)، قاموا قيام المجاهدين، وذادوا عن حياض الدين، وألّفوا كتباً سائرة، وشادوا للدين والعلم ربوعاً عامرة.

وفي قوة الحفظ وخِصْب الذهن، وسعة الاطلاع واستحضار المسائل: الشيخ فَرّخ شاه السرهندي (١١٢٢)، والسيد عبد الجليل الحسيني البِلْگِرامي (١١٣٨)، والشيخ محمد أعلى التهانوي صاحب «كشّاف اصطلاحات الفنون» من رجال القرن الثاني عشر، والشيخ باقر بن مرتضى المدراسي (١٢٢٠)، والسيد أنور شاه الكشميري (١٣٥٢).

وفي سرعة التأليف وسيلان القلم، وكثرة المؤلفات وتنوع الموضوعات: الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي (١٣٠٤)، والأمير السيد صديق حسن خان القَنُّوجي (١٣٠٧)، والشيخ أشرف علي التهانوي (١٣٦٢)، تربُو مؤلفاتهم على مؤلفات قُطرٍ بأسره.

وفي جودة التأليف، وحسن الجمع، وتحرير التاريخ، وسعة الاطلاع على أحوال البلاد والرجال: الشيخ سديد الدين (نور الدين) محمد بن محمد العوفي صاحب «لباب الألباب» و «جوامع الحكايات ولوامع الروايات»، والقاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني صاحب «طبقات ناصري» من رجال القرن السابع، والقاضي ضياء الدين البَرْني صاحب «تاريخ فيْرُوز شاهي» (٧٥٨)، ومولانا غياث الدين الهروي (٩٤٤)، والشيخ عبد القادر بن ملوك شاه صاحب «منتخب التواريخ» (١٠٠٤)، وأبو الفضل بن مبارك (١٠١١)، والشيخ محمد قاسم بن غلام علي صاحب «گُلزار إبراهيمي» (تاريخ فرشته) (١٠١٧)، وبَخْتاوَرْ خان العالمگيري (١٠٩٦)، وعبد الرزاق الخوافي المعروف بشاه نواز خان (١١٧١)، والشيخ غلام حسين الطباطبائي صاحب «سير المتأخرين» (١٢٠٠)، والشيخ عبد القادر بن محمد أكرم الرامپوري (١٢٦٥)، والشيخ شبلي النعماني صاحب «الفاروق» و «شعر العجم»، والمؤلفات الكثيرة (١٣٣٢)، والسيد عبد الحي الحسني صاحب «نزهة الخواطر»، و «جَنّة المَشرق»[1] و «معارف العوارف»[2] (١٣٤١).

ومن أهل الإتقان والتدقيق في علوم اللغة والاشتقاق، وأهل البصر والإبداع في علم البلاغة والإعجاز: الشيخ أوحد الدين البِلْگِرامي صاحب «نفائس اللغات»، و «مفتاح اللسان» (١٢٥٠)، والشيخ عبد الرحيم الصَّفِي پُوري صاحب «منتهى الأرب» (١٢٦٧)، والقاضي كرامت حسين الكِنْتُوري صاحب «فقه اللسان» (١٣٣٥)، والمفسر المدقق والأديب المتقن الشيخ حميد الدين الفَرَاهي صاحب «نظام القرآن»، و «جمهرة البلاغة» (١٣٤٩)، على اختلاف طبقاتهم وأذواقهم.

ومن شعراء العربية المُفلقين: القاضي عبد المقتدر الكندي صاحب القصيدة اللامية (٧٩١)، والشيخ أحمد بن محمد التَّهانِيْسَري صاحب القصيدة الدالية (٨٢٠)، والشيخ غلام نقشبند اللكهنوي صاحب القصيدة المدحية اللامية (١١٢٦)، والشيخ غلام علي آزاد البلگرامي صاحب «السبع السيارة» (١٢٠٠)، والمفتي إسماعيل بن الوجيه اللكهنوي من رجال القرن الثالث عشر، والشيخ فضل حق الخير آبادي صاحب القوافي والتجنيس، وصاحب الشعر الرصين الرقيق السيد أحمد حسن بن أولاد حسن القنوجي

---

(١) نشرته دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ـ الهند، باسم «الهند في العهد الإسلامي».

(٢) نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، بعنوان «الثقافة الإسلامية في الهند».

(١٢٧٧)، والمفتي صدر الدين الدهلوي صاحب العينية الرقيقة (١٢٨٥)، والشاعر العربي القدير الشيخ فيض الحسن السهارنپوري (١٣٠٤)، والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي (١٣٢٢)، والشيخ نذير أحمد الدهلوي (١٣٣٠).

ومن شعراء الفارسية: الشيخ أبو الفرج بن مسعود اللاهوري (٤٨٤)، والشيخ مسعود بن سعد اللاهوري من رجال القرن الخامس، والأمير خُسْرُو بن سيف الدين الدهلوي (٧٢٥)، وحسن بن علاء السجزي الدهلوي من رجال القرن الثامن، وأبو الفيض بن مبارك الفيضي (١٠٠٢)، ومحمد طاهر غني الكشميري (١٠٧٩)، والشيخ ناصر علي السرهندي (١١٠٨)، ومِرْزا عبد القادر بَيْ دِل (١١٣٣) وأسد الله خان غالب الدهلوي (١٢٨٥) والدكتور محمد إقبال اللاهوري (١٣٥٧)، شهد لهم أدباء إيران بالإجادة، والإبداع في الشعر الفارسي.

ومن فحول شعراء لغة الهند القَرَوِيّة (بهاشَا): مَلِك محمد الجايسي (٩٤٧)، ورزق الله بن سعد الله الدهلوي (٩٨٩)، ورحمة الله بن خير الدين البلگرامي (١١١٨)، والشيخ بركة الله المارهروي (١١٤٢)، والشيخ قاسم بن أمان الله الدَّرْيابادي (١١٤٩)، والشيخ غلام نبي البلگرامي (١١٦٣)، ومولانا محمد ظاهر البريلوي (١٢٧٨)، والشيخ فخر الدين بن عبد العلي الحسني والد مؤلّف هذا الكتاب (١٣٢٦)، عبَّروا عن شعور رقيق بشعر رقيق، يكاد يسيل عذوبة وسهولة، تغنّتْ به العواتق في الخدور، وسار مسير الأمثال في المجالس والدور.

ومن المُبرّزين في شعر «أردو» (لغة الهند المُنقَّحة): مِرزا رفيع سَوْدا (١١٩٥)، وخواجه مِيْر دَرْد الدهلوي (١١٩٨)، والسيد غلام حسن الدهلوي (١٢٠١)، ومِيْر محمد تقي الأكبر آبادي (١٢٢٥)، والسيد إنشاء الله المرشد آبادي الدهلوي (١٢٣٣)، وغلام همداني المُصحفي (١٢٤٠)، وإمام بخش ناسخ اللكهنوي (١٢٥٤)، وحيدر علي آتِشْ اللكهنوي (١٢٦٣)، ومحمد مؤمن خان الدهلوي (١٢٦٨)، ومحمد إبراهيم ذَوق الدهلوي (١٢٧١)، وأسد الله خان غالب الدهلوي (١٢٨٥)، وأمير أحمد المِيْنائي اللكهنوي (١٣١٨)، ونواب مِرزا خان داغْ الدهلوي (١٣٢٢)، ومحمد محسن خان الكاكُوروي (١٢٢٣)، ومرزا سلامت علي دَبِيْر اللكهنوي (١٣٢٩)، ومير بَبَرْ علي أنيس اللكهنوي (١٢٩١)، وخواجه ألطاف حسين حالِي الپاني پَتي (١٣٢٣)، والسيد أكبر حسين الإله آبادي (١٣٤٠)، والدكتور محمد إقبال، والسيد فضل الحسن حَسْرَتْ الموهاني، وشوكت علي خان فاني، وظفر علي خان، وعلي سكندر جِگَرْ المراد آبادي، وأحمد حسين أمجد الحيدر آبادي، جاؤوا بكل مُعجِب مطرب، يترنح به عِطف الأديب، ويتسلى به الفؤاد المصاب الكئيب.

وقامت في الهند دولة المسلمين، وازدهرت ستة قرون، جاء خلالها على عرشها رجالٌ يتجمل التاريخ بذكرهم، كالسلطان الكامل شمس الدين الإيْلتَمِشْ (٦٣٣)، والملك الصالح ناصر الدين محمود (٦٦٤)، والملك العادل غياث الدين بَلْبَنْ (٦٨٦)، والملك الفاتح علاء الدين الخِلجي (٧١٦)، والملك القاهر محمد تُغْلَق (٧٥٢)، والملك الكريم فيروز شاه (٧٩٩)، والملك الفاضل سكندر بن بهلول اللُّودهي (٩٢٣)، والإداري النابغة شير شاه السوري (٩٥٢)، وصاحب الآثار الجميلة شاهْجَهان التيموري (١٠٦٨)، وناصر الدين والسنة السلطان أُورَنْگ زيب عالَم گِير (١١١٨).

وفي ملوك الطوائف: أمثال السلطان العادل الكريم غياث الدين الخلجي ملك بَنْگالَهْ (٧٧٥)، ومربّي العلم ومحب العلماء السلطان إبراهيم الشرقي (٨٤٠)، والملك المنظم أحمد شاه الگجراتي (٨٤٥)،

والملك المجاهد محمود بن محمد الگجراتي (٩١٧)، والملك الراشد مظفر الحليم بن محمود (٩٣٢)، والملك الشهم المجاهد السلطان فتح علي خان المعروف بالسلطان تِيبُو (١٢١٣).

ومن نوابغ الأمراء والوزراء، الحائزين بالحُسنَيَيْن والجامعين بين الإمارتين: أمثال خواجة محمود گاوان الگِيلاني (٨٨٠)، والشيخ محمد بن محمد الإيجي خداوَنْد خان، من رجال القرن العاشر، واختيار خان (٩٤٤)، والمسند العالي عبد العزيز آصف خان (٩٦١)، والنواب فريد الدين مرتضى خان (١٠٢٥)، وعبد الرحيم خانْ خانان من رجال القرن الحادي عشر، وجملة الملك العلامة سعد الله خان (١٠٦٦)، ونظام الملك آصف جاه قمر الدين الحيدر آبادي (١١٦١)، وحافظ الملك الحافظ رحمت خان (١١٨٨)، والأمير وزير الدولة صاحب «تُونك» (١٢٨١)، ومدار المهام جمال الدين خان وزير بهوپال (١٢٩٩) والأمير كلب علي خان صاحب رامپور (١٣٠٤).

ومن فُضليَات النساء ذوات التفنن في الفضائل، البارعات في العلم والدين والسياسة، والأدب وإنشاء الرسائل: السلطانة رضية بنت الإيِلْتَمش (٦٣٩)، وچانْد سلطانه الأحمد نَگرية قرينة علي عادل شاه البِيْجاپُوري (١٠٠٦)، وسَلِيمه سلطانه بنت گُل رُخْ بيگم بنت السلطان ظهير الدين بابَرْ قرينة بِيْرَم خان، وقرينة أكبر - بعده - الشاعرة (١٠٢١)، ونور جهان بيگم قرينة جَهَانگير (١٠٥٥)، وجانان بيگم بنت عبد الرحيم بيرم خان الشاعرة، وصاحبة التفسير (١٠٧٠)، والمرأة الفاضلة صاحب جي بنت الأمير علي مَرْدان خان الفارسي من أهل القرن الحادي عشر، وجَهَان آرابيگم بنت شاهجهان صاحبة «مؤنس الأرواح» في أخبار المشايخ الچشتية (١٠٩٢)، والمرأة الفاضلة الشاعرة المنشئة زَيْبُ النساء بيگم بنت السلطان أُورنگ زيب عالم گِيْر صاحبة «زَيْب المنشئات» (١١١٣)، والسيدة أمة الغفور الدهلوية بنت الشيخ الكبير إسحاق بن أفضل المحدث الدهلوي من أهل القرن الثالث عشر، والسيدة فاطمة الخانپورية (١٣٠٢)، والسيدة شمس النساء السَّهْسَوانية (١٣٠٨)، والسيدة لحاظ النساء السهسوانية (١٣٠٩)، والسيدة صالحة بنت الشيخ عنايت رسول العباسي (١٣١٨)، ونواب شاهْجَهَان بيگم ملكة بهوپال، صاحبة الديوان، وكتاب «تهذيب النسوان» (١٣١٩)، والمرأة الصالحة السيدة أمة الرحمن بنت الشيخ المتورع مظفّر حسين الكاندهلوي من القرن الرابع عشر، من عقائل النساء الكثيرة التي احتجبت أخبارهن عن عيونِ الرجال، وتوارت آثارهن وراء العصور والأجيال.

مؤلفات العرب في تراجم الرجال، وقسطُ الهند فيها:

هذا، وإن هذه البلاد المُنجبة العامرة بالرجال التي لَم يَغِبْ لها نجمٌ إلا وطلع لها نجم، لم تنل من عناية المؤرخين العرب ما كانت تستحقه، ولم تَشْغَل من كتبهم ومؤلفاتهم المكان اللائق بمجدها وكثرة رجالها، وما ذلك إلا لبعد الديار وحيلولة البحار وانقطاع الأخبار، وفوق ذلك كله: كونُ كتب الأخبار وتراجم الرجال في اللغة الفارسية التي يجهلها المؤلفون من العرب في طبقات الرجال والتراجم، وذلك الذي حال بينهم وبين أن يترجموا للنبهاء وذوي الخطر من أبناء الهند، وأن يوفوهم حقهم من التعريف والتنويه.

لذلك نرى المؤلفين: كالحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة»، والسخاوي في «الضوء اللامع»، والشوكاني في «البدر الطالع»، والحضرمي في «النور السافر»، والمحبّي في «خلاصة الأثر» والمرادي في: «سلك الدرر» لم يترجموا إلا للقليل النادر ممن هاجروا إلى بلاد العرب، وتوطّنوا الحجاز، أو طالت إقامتهم في الأقطار العربية.

استقصى السخاوي في كتابه «الضوء اللامع» وأوعب، وقال: إنه ذكر كل من يستحق التعريف

«مصرياً كان أو شامياً، حجازياً أو يمنياً، رومياً أو هندياً، مشرقياً أو مغربياً»[1]. وجاء كتابه يشتمل على ١١٦١١ ترجمة، وعدّة المترجمين من أهل الهند: (ثمان وثلاثون فقط)، وكلهم أو جلّهم من المهاجرين إلى البلاد العربية، أو طلبة العلم، ممن ليس لهم كبير شأن في الهند.

وهذا هو القاضي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥)، قد ترجم في كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» (خمساً وتسعين وخمس مئة شخصاً)، ولم يترجم من أعيان الهند إلا سبعةً فقط.

وهذا المحبّي مع سعة اطلاعه، لم يترجم من أبناء الهند إلا أربعة عشر رجلاً، مع أن عدّة من ترجمه في كتابه ١٢٩٠، وقد فاتته ترجمة الأئمة الشيخ أحمد السرهندي، وابنهِ الشيخ معصوم، والسيد آدم البنوري، والشيخ محمد رشيد العثماني، والشيخ محمود الجونپوري، والشيخ فريد الدين الدهلوي، والشيخ بِيْر محمد اللكهنوي، والشيخ عيسى بن قاسم السندي.

ولم يَسْعَد من أعيان الهند بالتعريف في كتاب «سلك الدرر» للمرادي إلا سبعةٌ من أعيان القرن الثاني عشر، مع أن فيهم مثلَ الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، والشيخ العلامة أحمد بن أبي سعيد الأَمِيتهوي، والشيخ عبد الجليل البلگرامي، والشيخ غلام علي آزاد البلگرامي، في العلوم والآداب والفضائل.

والشيخ مِرْزا جانْ جانان الدهلوي، والشيخ فخر الدين الچشتي، والشيخ محمد أرشد الجونپوري، والشيخ محمد زبير السرهندي، في الطريقة والإرشاد.

والشيخ نظام الدين اللكهنوي، ومولانا غلام نقشبند، والشيخ كمال الدين الفتحپوري، في وفور العلم وكثرة الإفادة.

والقاضي مبارك، والقاضي محب الله البِهَاري، والقاضي محمد زاهد الهروي، ومولانا غلام يحيى، في علو الكعب في العلوم الحِكمية.

مؤلفات أهل الهند في تاريخ بلادهم، ومزية كتاب «نزهة الخواطر»:

أما أهل الهند فقد ألّفوا في التاريخ والطبقات والتراجم مؤلفاتٍ: بين صغير وكبير، وجامع ومفرد، تُعدّ بالمئات، ولكن يُعوزها أمور:

الأول: قلة التنقيح والتهذيب والإستقصاء، والاشتغال بالغرائب وبما لا يهمّ معرفته من سيرة الرجال وأخلاقهم وما يتصل بهم وحوادثِ حياتهم والسنين.

ثم إن أكثر اشتغالهم بأحوال الملوك والأمراء، ونُكت الأدباء والشعراء، وكرامات المشايخ والأولياء. وللعلماء والمؤلفين والنابغين قسطٌ ضئيل في جهودهم العلمية، وفي كتبهم التاريخية.

ولم يَشْطَط مؤلف «نزهة الخواطر» إذْ وَصَف أهل بلاده في مقدمة هذا الكتاب، وفي «الثقافة الإسلامية في الهند» بما وصفهم[2].

لأجل ذلك كله: كانت الحاجة ماسةً إلى وضع كتاب بالعربية، جامعٍ لما تفرّق في هذه الكتب

(١) مقدمة «الضوء اللامع» ١/ ٥.

(٢) راجع مقدمة هذا الكتاب للمؤلف، ومقدمة كتابه «الثقافة الإسلامية في الهند».

المؤلّفة في ألف سَنَةٍ من تاريخ الإسلام في الهند، مع تهذيب وتنقيح وتلخيص وتحقيق.

قيَّض الله لهذا العمل الجليل: العلامة السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٣٤١)، فتوفّر على دراسة هذا الموضوع الواسع، ووَقَف عليه حياتَه، ووُفِّق لوضع كتاب كبير تنوء به عُصبة من العلماء أو مجمع علمي، في ثمانية أجزاء، لخّص فيها واقتبس من ثلاث مئة كتاب في العربية والفارسية والأُردوية، ما بين خطّيّ ومطبوع[1]، واستقصى وتوسّع في ذكر النابهين وذوي الشأن من أبناء الهند، ولم يغادر صغيراً ولا كبيراً اطلع عليه إلا أحصاهم في كتابه، حتى أصبح الكتاب يحتوي على ترجمة أكثر من أربعة آلاف وخمس مئة ونيف:.

وقد توفّرت في المؤلِّف صفاتٌ تؤهّله للقيام بهذا العمل الجليل، والتأليف في هذا الفن الخطير:

١ ـ منها: أنه نشأ على الاطلاع والجمع، وقد كان ذلك ذوقاً توارثه من أبيه[2].

وكان له في هذا الموضوع هَوًى من الصِّبا كما وَصَف نفسه:

«إني منذ عرفت اليمين من الشمال، وميّزتُ بين الرشد والضلال، لم أزل وَلُوعاً بمطالعة كتب الأخبار، مُغرّى بالبحث عن أحوال الأدباء الأخيار، حريصاً على خبرِ أسمعه، أو شعر تفرّق شمله فأجمعه، حتى اجتمع عندي ما طاب وراق، وزُيِّن بمحاسن لطائفه الأقلامَ والأوراق»[3].

وقد نشأ على معرفة طبقات الرجال وخصائصهم ودقائق أخبارهم إلى حد غريب، فكان له فن تاريخ الهند: سليقةً وذوقاً، إذ كان لغيره صناعةً وكدّاً.

٢ ـ ومنها: أنه كان مشاركاً في جميع العلوم السائدة في عصر المترجَمين والسلف من علماء الهند، وكانت له بصيرة نافذة في العلوم العقلية والنقلية، جامعاً إلى ذلك: الإلمام بالتصوف وعلم الحقائق نظراً وعملاً، مطّلعاً على مذاهب السادة الصوفية ومشاربهم وأذواقهم وانشعاب طرقهم ومصطلحاتهم وتعبيراتهم، مدارسةً وممارسةً، وهو مما لا غِنى عنه للمؤلِّف في تراجم أعيان الهند.

٣ ـ ومنها: أنه كان ذا مواهب في التاريخ، قد رزقه الله صفاء الحس، وثقوب النظر، وحُسن الملاحظة ودقتها، يضع الرجل في طبقته ويَصِفه بصناعته، فإذا أخرجتَه عن مكانه ووضعتَه في مكانٍ آخر أو جعلتَ له شعاراً آخر: نَبَا به موضعه، فهو في ذلك يُشبه ابن خَلِّكان في «وفيات الأعيان».

٤ ـ ومنها: الإتقان والإحكام، فلم يستعجل في كتابه، ولم يبادر بنشره، بل مكث حياته يُنقِّح ما كَتَب ويُهذِّبه، ويراجع المصادر، ويستأنف النظر، فليس ما اقتنع به وذهب إليه في نقد الرجال ووصفهم: من سوانح الآراء، بل هي آراء حصيفة قد أحكمتْها الدراسة وطول الممارسة بالفن.

٥ ـ ومنها: أنه يمتاز مع سَعَة نظره: بسَعَة قلبه وسلامة صدره، لا يتحيز إلى فئة في التاريخ، ولا يتعصب على جماعة، بل يؤدّي الأمانات إلى أهلها، ويأتي بالشهادة على وجهها، وقد ساعدتْه أحواله وثقافته، ومركز بيته الشريف في الهند، وإشرافه على ندوة العلماء، على الاتصال بمختلف الطبقات

---

(١) وقد ذكر أسماءها وأسماء مؤلفيها في فهرست مصادر الكتاب مفرداً.

(٢) هو السيد فخر الدين بن عبد العلي الحسني، صاحب مؤلفات في التاريخ والأنساب، أكبرها «مِهْرجَهان تابْ» في الفارسية، تمّ جزؤه الأول في ١٣٠٠ صفحة، بالقطع الكبير.

(٣) مقتبس من مقدمة المؤلف في هذا الكتاب ١/ ٢٩.

ورجالاتها، ومعرفةِ محاسنهم ومزاياهم، والحكم بينهم بالعدل، والاعترافِ بما لبعضهم على بعض من الفضل، فتجد هؤلاء في ناديه جنباً لجنب، لاَ يَبْخس نصيبهم، ولا يحطّ من شأنهم، لاختلاف في التحقيق، أو لانتماء إلى جماعة دون جماعة.

ثم إنه ليس تاريخاً خَشِبياً ميتاً بل هو تاريخٌ حيٌّ لحيٍّ يحمل في جوانحه قلباً. فتقرأ فيه مع أمانة النقل والتحري في الرواية الصدق والعدل: رأي المؤلف في الرجل وانتقادَه له في موضع انتقاد، وتقريظه في موضع تقريظ، وذلك هو المثل الكامل لتاريخ البشر للبشر.

٦ ـ ومنها: القلم السيال، والبيان السلسال، في تقييد الحوادث وتراجم الرجال، وذلك مما عَرِي عنه كثير من تواريخ علماء العجم، فقد قيدوا كتابتهم بأغلال وأصفاد من الصنعة، وأفسدها السجع البارد، وكأنما سَرَى في هذا الكتاب خفةُ روح المؤلف، ورُواء طبعه، وعذوبة خُلُقه، فجعله عِلماً وأدباً، وفكاهة ومُتعة، لا يملّ القارىء مطالعته، بل يتقلب منه في حديقة غنّاء، يتنقل فيها من جميل إلى جميل، ومن طريف إلى طريف، حتى أصبح الكتاب كاسمه: «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر».

٧ ـ ومنها: أنه يشتمل على فوائد غالية في تاريخ الهند العلمي والسياسي والديني، وعلى نكت لطيفة لا يظفر بها القارىء في مكتبة حافلة، فضلاً عن كتاب مفرد، قد عثر عليها المؤلف في رحلته العلمية الطويلة بين الصحف والدفاتر، والمذكرات والقماطر، أو تلقّاها من أفواه المعلمين الكبار والشيوخ الثقات، فنشرها على صفحات الكتاب.

٨ ـ ومنها: حسن التلخيص والإشعارُ بمكانة المترجم في جمل قوية وبراعةِ الاستهلال، بحيث إذا لم يقرأ القارىء غيرها: اطلع على مكانته وخصائصه[1].

وما التوفيق إلا من عند الله، وله العظمة والكمال وحده، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

● ● ●

---

(١) ولا يعزبنّ عن بال المتصفح للكتاب والمستفيد منه، أن المؤلف رحمه الله تعالى ينقل أقوالاً، وآراء، ومذاهب، ووقائع، منسوبةً إلى أصحابها الذين يترجمهم، قد لا يرتضيها المؤلف ولا يوافق عليها، وهذا لتكون عند المطالع فكرةٌ كاملة، وصورة واقعية للمترجم، ولأن شأن المؤرخ والمترجم، غير شأن الناقد والمحقق، والمباحث والمناقش.

فلْيكن ذلك في حساب من يطالع هذا الكتاب، فلا ينسُب إلى المؤلف جميع الآراء والمذاهب والاتجاهات، وتصديقَ كل ما نُسب إلى المترجَم له، والموافقة عليه!

الحاجة إلى تأليف كتاب نزهةُ الخواطر وبهجة المسامع والنواظر(١) خصائصه وميزاته، وقصة طبعه وظهوره

بقلم: أبي الحسن علي الحسني النّدوي
نجل المؤلف الأصغر وأمين ندوة العلماء العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد كانت الهند ـ كما يعلم من له إلمام بالتاريخ الإسلامي ـ حلقةً ذهبية مهمة من حلقات العالم الإسلامي، وقد مثّلتْ دوراً فريداً ذا شخصية خاصة في الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، يتحقق ذلك مَنْ أجال نظره في كتاب: «الثقافة الإسلامية في الهند» للعلامة السيد عبد الحي الحسني الذي نشره «المجمع العلمي العربي بدمشق»(٢) في ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م، والذي نتحدث عن كتابه: «نزهة الخواطر» في هذا المقال.

وغمرت الهندَ موجاتُ الهجرة الإسلامية بعد حملة التتار على العالم الإسلامي بصفة خاصة، إذ كانت من أقوى الحصون والمعاقل للعناصر الإسلامية الكريمة القوية، والأُسر النجيبة الذكية، العريقة في الدين والعلم، في إيران وتركستان، وما وراء النهر بصفة خاصة، وهي المنطقة التي وقعت تحت سنابك المُغيرين، وتحت رحمة الوحوش في فجر القرن السابع الهجري.

وذلك بوجود حكومات إسلامية قوية في الهند، كانت تَتَلقَّى هذه الوفود الكريمة بصدر رحب، وتُكرم وِفادتها، وتُحسن رِفادتها، وتتنافس في أكبر عدد من العلماء، والسادة، والأشراف، وأهل الفضل والصلاح الذين يلتجؤون إليها، وتعتبر وجودهم مفخرةً ليست فوقها مفخرة.

وقد هَزَمت هذه الحكومات الإسلامية الجنودَ الزاحفة من التتار شرّ هزيمة، جرّبها التتار في تاريخهم الطويل، الذي لم يكن يعرف غير الانتصار، وغير النار والدمار، وحطّمت جيوشهم تحطيماً لا يُعرَف في غير هذه الناحية من نواحي العالم الإسلامي.

وناهيك! بأن التتار قد زحفوا على الهند خمس مرات في حكومة علاء الدين الخلجي وحده (٦٩٦ ـ ٧١٦) بحماس وتصميم عُرف بهما التتار. وهزمتْهم الجنود العلائية هزيمة منكرة، وافترستهم افتراس الذئاب للنعاج، ولم يطمحوا بعد ذلك إلى الغارة على الهند ولم يستشرفوا لها.

(١) وقد آثرنا له اسم: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» لأنه أدل على موضوع الكتاب ومادته، كما اخترنا لكتاب المؤلف نفسه «عوارف المعارف في أنواع العلوم والمعارف» اسم «الثقافة الإسلامية في الهند» ولكتابه: «جنة المشرق ومطلع النور المشرق» اسم: «الهند في العهد الإسلامي» (الندوي).

(٢) ويدعى بمجمع اللغة العربية الآن.

وظلّ علماء المسلمين آمنين مطمئنين عاكفين على الدرس والتأليف، ونشر العلم والدين، والتربية والإرشاد.

وازدهرت الثقافة الإسلامية ازدهاراً لم يُعَرف في بلد إسلاميّ آخر في هذه القرون التي تعتبر قرون انحطاط عام في العلم والأدب، والفكر والتأليف، وساد على العالم العربي الذي أثخنتْه حملة التتار، وابتُلي بحكم المماليك والأعاجم، والإعياء الفكري، والشلل العلمي، وانتشر التقليد، وفُقدت الأصالة والإبداع.

وظلّت خليّة الإسلام تُعَسِّل في الهند في قرون متوالية، وزَخَرت القرى الكبيرة، فضلاً عن المدن والحواضر، فضلاً عن قصبات البلاد وعواصم الحكومات، بالعلماء والمعلمين المنقطعين إلى الدرس والإفادة، والمؤلِّفين المتجردين للتأليف والكتابة، والشيوخ العاكفين على الزهد والعبادة، والإرشاد والإفادة، لا يحصيهم إلا من أحصى رمل عالِج و شعر غنم بني كلب، حتى إن المتصفح لكتاب من كتب التراجم والتاريخ، يتخيل أن هذا البلد لم يكن يعرف غير صناعة العلم والتعليم، أو التأليف والتدريس، أو تربية القلوب وتهذيب النفوس، أو أنه لم يكن يسكُنه غير العلماء وأهل الفضل.

ولكن الهند بقيتْ مُحجَّبةً عن أنظار العلماء والمؤرخين في العالم العربي لأسباب كثيرة، منها: بُعد هذا الجزء من العالم الإسلامي عن جادّة الثقافة الإسلامية العالمية التي تمرّ عليها قوافل العلم والتدوين، وبسبب انطوائها على نفسها، وبسبب أن اللغة الفارسية ظلّت لغةَ الديوان ولغة التدوين والتاريخ، طُول الحكم الإسلامي في الهند.

ولولا الحج، ولولا مكة ـ مثابة للناس ـ التي عُرف أهل الهند في كل عصر من عصورهم بشدة الشوق إليها، وارتباطِ القلوب والنفوس بها، واجتماع علماء الهند وأهل الفضل منهم بعلماء العالم العربي في الحرمين الشريفين، وتتلمُذِهم عليهم في علم الحديث خاصة، وإقامةِ بعض علمائهم الطويلة في ربوعها، وهجرةِ بعضهم إليها: لكانت الهند في عزلة تامة عن العالم الإسلامي، وبقيتْ مجهولة تحتاج إلى مغامر كـ (كولمبس) لاكتشاف هذا العالم الغريب.

ويدل على ذلك دلالة واضحة أن العلماء الذين ألَّفوا الكتب في الطبقات وتراجم الرجال في بلاد العرب على حَسْب القرون، لم يذكروا أعيان الهند وعلماءها ونوابغَ رجالها، إلا تَحِلّة القسم[1].

وقد كان موضوع الطبقات وتراجم الرجال موضوعاً طرقه علماء المسلمين والمؤلِّفون في الهند في كل عصر وجيل، وكان ذلك شيئاً طبيعياً، وكانت الدواعي إليه كثيرة، وقد تخصص عدد من المؤلفين الكبار لهذا الموضوع.

ولنَظْرةٌ عَجْلَى في قسم الطبقات والتراجم، وسِيَر الرجال في كتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» كفيلة بالاطلاع على المكتبة الضخمة، التي خلَّفها العلماء والمؤلفون في الهند، ولكن جُلّها أو كلها في اللغة الفارسية. **ثم إنها** موجَزة مقصورة على عدد قليل من الشخصيات. **ثم إنها** لا تحيط بالهند إحاطة مكانية، أو إحاطة زمانية، وبعضها لا تحتوي إلا على قرنين، أو ثلاثة قرون. **ثم إن بعضها** لا تشتمل إلا على تراجم طبقة واحدة، أو مذهب خاص، أو فرقة من فرق المسلمين، أو تسيطر على مؤلِّفيها نزعة خاصة، أو اتجاه خاص.

وقد كانت الحاجة ماسةً إلى أن ينهض لسدّ هذه الثغرة في تاريخ الثقافة الإسلامية بصفة عامة، وفي تاريخ الهند بصفة خاصة: رجلٌ رُزِق عُلوَّ الهمّة، وسعة النظر، ورحابة الصدر، وتنوع الثقافة، ودقة الملاحظة، وسعة الأَنَاة.

وتُمكِّنه الظروف الخاصة من الاتصال بمختلف الطبقات والفرق والمذاهب والآراء، والاطلاع على المراجع الكثيرة في اللغات المتنوعة، والعصور المختلفة والإفادة منها.

---

(١) راجع المقدمة التي عنوانها «الهند ومكانتها في تاريخ الإسلام».

ويَتَخَيَّر لهذا العمل الجليل، ولتعريف العالم الإسلامي بالهند: اللغة العربية التي هي لغة التفاهم العالمية، وهي اللغة التي ضمن الله لها بالخلود والبقاء على أصالتها، وصيغتها المُضَرية الفصحى بفضل القرآن.

ويكون من الكتاب المُترسِّلين فيها، ومن ذوي البيان الذين تحرروا من السجع والبديع، والزخرفات اللفظية التي تورَّط فيها وأمعن كلُّ من تناول هذا الموضوع في الهند، وفي غير الهند غالباً، في القرون الماضية.

وقد كانت ساعة سعيدة حين قرّر السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (**١٢٨٦ ـ ١٣٤١هـ**) وهو طالب شاب، يتنقل في حلقات الدروس في «لكهنؤ» بلدِ العلم والآداب، في فجر القرن الرابع عشر الهجري، أن يؤلِّف كتاباً في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الإسلامي الأول حين دخل فيها الإسلام، إلى القرن الرابع عشر الذي يعيش فيه.

ولعل الأوراق التي كان يراها بيد شيخه ـ الشيخ محمد نعيم الأنصاري اللكهنوي[١] من أبناء أعمام الإمام عبد الحي اللكهنوي ومعاصِريه ـ التي كتبها في تراجم العلماء؛ أوحتْ إليه بهذه الفكرة التي كانت لا تتناسب مع سِنِّه وثقافته يومئذ، ولكن الهمة الشامخة لا تخضع للمقاييس والمقادير، إنه طمح إليها، وهيَّأ نفسه لها، واحتضنها احتضاناً لم يفارقه إلى آخر يوم من أيام حياته، **فيُقدّر أنه عاش في هذه الفكرة، واشتغل بهذا التأليف، نحو ثلاثين سنة!**

وقد كان من سموّ همته وطموحه، وألمعيته وبُعد نظره أن يُؤْثر اللغة العربية لتأليف هذا الكتاب، وقد بلغتْ منتهى الضعف والركاكة في عصره، بضعف الكتب التي كانت مقرّرة في المنهاج الدراسي، والإنشاء المسجوع التقليدي الذي كان سائداً في الهند منذ قرون.

وكان من الشجاعة الأدبية، بل من المغامرة، أن يُقرِّر طالبٌ شابٌّ قد نشأ على دراسة كتاب «المقامات» للحريري وما شاكلها تأليفَ هذا الكتاب ـ الذي تتنوع فيه الأغراض، وتتسع فيه دائرة التعبير ـ في اللغة العربية التي لا يجد لها نموذجاً إلا في كتب أدبية من الأسلوب العجمي المتكلّف، ولم تكن هذه الصِّلات الثقافية والمجلات والنشرات، ووسائل الاستيراد العلمي والثقافي، قد حدثتْ في عصره، حتى يتمكن من الاطلاع على ما جَدَّ ونُشر في الشرق العربي من الآثار العلمية، والمؤلفات العربية.

وقد كان له كلُّ المُغريات والدواعي إلى أن يؤلِّف هذا الكتاب في اللغة الفارسية التي يَحْذِقها، ويكتب فيها بسهولةٍ وطبع، أو اللغة الأرديّة التي كان من أدبائها الناهضين، وكُتّابها المرموقين، ولكنه قد أحسن إلى نفسه وأحسن إلى بلاده التي وُلد فيها وأحبّها، حين اختار اللغة العربية لهذا التأليف.

فاللغة الفارسية قد أفل نجمها في عصره، وتقلّص ظلّها، فلم تَبْق إلا في نطاق محدود كان يتضايق وينضوي على مَرّ الأيام، وأما اللغة الأردية فهي لا تزال في طور انتقال وتطور، ولم يُقرَّر مصيرها بعدُ في الهند، والتي تواجه مشكلة كثرة اللغات واللهجات، والتطرف الطائفي الذي لا يزال يهدِّد كيان هذه اللغة وبقائها في الهند.

وبدأ المؤلف رحلته العلمية التأليفية، التي لم يكن يقدر أنها ستطول هذا الطول، وأنها ستكون من العسر والالتواء بهذا المكان، وقد أحاط المؤلفون في التاريخ عملهم بأسوار من السجع البارد، والتنميق اللفظي.

ثم إنهم ملأوا كتبهم بذكر الخوارق والأمور الغريبة، وأهملوا ما يَهُمّ الدارسَ معرفتُه من السنين والتواريخ، وأسماء الأساتذة والشيوخ، وذكر المؤلفات والآثار العِلمية والعَمَلية، والعادات والأخلاق والصفات التي يتميز بها إنسان عن إنسان، ومراحل الحياة الطبعية، فضلاً عن الجو السياسي والاجتماعي الذي كان يكتنفهم، والملابسات التي كانوا يعيشون فيها، فيقرأ الباحث مئات من الصفحات، ولا يرجع بطائل، لا يرجع بما يُسطِّر به صفحةً من صفحات التاريخ الحقيقي.

---

(١) اقرأ ترجمته في الجزء الثامن للكتاب.

فكان المؤلف يشعر بأنه يسير في نَفَق مظلم لا يَصِل إليه النور والهواء، وكان لا بد أن يرجع إلى كتب ومجموعات ليست من التاريخ بسبيل، ولا تخطُر من المؤلف ببال، فيظفر فيها بما لا يظفر في كتب التراجم والسير، وقد يجد فيها حلقة مفقودة لا تكمُل بغيرها ترجمةُ العالم، أو الأمير، أو المؤلِّف، وكان في حاجةٍ إلى أن لا يقتصر على المطبوع المنشور، بل يراسل أخلاف هؤلاء العلماء، والمُنتمين إليهم، ويزور المكتبات، وينتسخ المخطوطات.

وكان بحكم مركز بيته العلمي والديني، وبحكم إشرافه على ندوة العلماء كثيرَ الاتصال بجماعات العلماء، وأهل الفضل والنباهة، فساعده كل ذلك على إكمال مهمته، وتحقيق غايته.

وكان أكبر لذته في تأليف هذا الكتاب ولعل أحلَى ساعاته وأطيبها، كانت الساعة التي يخلُو فيها بنفسه، وبقلمه وأوراقه ومراجعه.

وقد ظل عاكفاً على هذا العمل طول حياته، لم يقطعه منه اضطراب سياسي، أو حادثة شخصية، أو حِرفته ـ الطبّ الذي كان ناجحاً فيه ـ أو اشتغاله بإدارة ندوة العلماء، وتنظيم حفلاتها السنوية، في مدن الهند المختلفة، حتى جاء هذا الكتاب في ثمانية أجزاء كبار، واشتمل على أربعة آلاف وخمس مئة ونيّف من التراجم.

ولعل الهند هي القطر الإسلامي الوحيد البعيد الذي سُجِّلتْ تراجم أعيانه من القرن الإسلامي الأول إلى القرن المعاصر في كتاب واحد، فهنالك أقطار إسلامية قد مثَّلتْ دوراً خطيراً في تاريخ الفكر الإسلامي، وفي تاريخ العلوم الإسلامية، ونبغ فيها من العلماء والعظماء الذين لا يُحصَون بحدٍّ وعدٍّ، كبُخارى، وسمرقند، وأفغانستان، وإيران، وغيرها، لم يُكتَب تاريخ رجالها، ولم تُدوّن تراجم أبنائها بهذا التسلسل والتحقيق.

ويعلم الدارس المطلع أن كتب التراجم والسير التي أُلِّفت في الأقطار الإسلامية الرئيسية الغنيّة برجالها وأعلامها، إما هي خاصةٌ بقرن ـ كـ «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر. و «الضوء اللامع في رجال القرن التاسع» للسخاوي، و «النور السافر في رجال القرن العاشر» للحضرمي، و «خلاصة الأثر في رجال القرن الحادي عشر» للمحبيّ، و «سِلك الدرر في رجال القرن الثاني عشر» للمرادي، و «البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع» للشوكاني ـ أو مقصورة على طبقة من طبقات الفضلاء وأهل الكمال، كطبقات الأطباء، وطبقات النحاة، أو الأدباء، أو مقصورة على مذهب من المذاهب الفقهية المقبولة، كطبقات الشافعية الكبرى، وطبقات الحنابلة وغيرها.

أما أن يكون الكتاب يُغطِّي المساحة الزمانية من القرن الإسلامي الأول إلى قرن المؤلِّف، والمساحة المكانية من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، ويشمل طبقاتِ أهل الفضل وأعلامَ كل فنٍّ، فلا توجد لذلك أمثلة ونماذج في أكثر الأقطار الإسلامية والعربية.

أما هذا الكتاب، فهو يُغطِّي المساحة الزمانية من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف، **والمساحة المكانية** من مَمَرّ خيبر إلى خليج بنغال، ومن قُلل كشمير في الشمال إلى أقصى جنوب الهند، ويشمل طبقات أهل الفضل والنباهة على اختلاف مزاياهم ومجالات فضلهم ونبوغهم، ومذاهبهم واتجاهاتهم، كما يتحقق ذلك القارىء عند الاطلاع على هذا الكتاب، وفَحْصه عن عَلَم من الأعلام، في أيّ فنّ من الفنون ومجالات النبوغ والإنتاج.

وقد صَبَّ المؤلف في هذا الكتاب مواهبه وسجاياه، فجاء قطعةً من نفسه، ونسخةً من روحه، صفاءَ حِسٍّ ورِقّة شعور، واندفاعاً إلى الجمال والكمال أينما وُجدا، واعترافاً بالفضل أينما حَلّ واستقرّ، واقتصاداً في المدح والنقد، وتنبيهاً لمواضع الضعف ومما لا يخلو منه بشرٌ، وعذوبةَ عبارة، وخفّةَ روح، وتنوّعَ مادة، فأصبح الكتاب لا يُمَلّ ولا يُستَثقل، وأصبح سميراً عزيزاً، ونديماً فَكِهاً، وموعظةً وذكرى، ودرساً وعبرةً.

وكان المؤلف على سجية المؤلفين القُدامى، عاكفاً على التأليف والبحث والتنقيب، لا يفكر في مصير هذا الجهاد الشاق، والرحلة الطويلة، ولم يُحدِّث بذلك كثيراً من إخوانه وزملائه الذين يجالسونه، ولم يبحث له عن ناشر، حتى فارق هذه الدنيا في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١هـ، وخلف هذه المكتبة العظيمة.

ومضى عليها نحوُ عشر سنوات، ولا سبيلَ إلى طبعها، فقد كان ذلك عمل مجمع علميّ كبير، أو حكومة منظمة، حتى هيأ الله له الأسباب، فقد طَبعَتْ دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد كتاب: «الدرر الكامنة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، واقترح بعض من لهم اطلاع على هذا الكنز الدفين: أن يكمل هذا الكتاب بطبع الجزء الثاني من «نزهة الخواطر» وهو الجزء الذي يشتمل على تراجم أعيان (القرن الثامن) في الهند، فكان ذلك. وصدر الجزء الثاني ـ قبل أن يصدر الجزء الأول ـ في سنة **١٣٥٠**هـ ـ **١٩٣١**م، لملأ هذا الفراغ الواقع في كتاب «الدرر الكامنة» وكان ذلك في عهد إدارة الأستاذ السيد هاشم النَّدْوي، وتحت إشرافه.

وهكذا شَقَّ هذا الكتاب طريقه بقيمته العلمية، وبغَنَائه، من غير أن يكون لأحدٍ مِنةٌ عليه وعلى صاحبه، واطّلع عالَم العلم والتأليف على هذا الكنز المستور المطمور، ومن هنا طلب المستشرقون والمؤلفون أن يُنشر هذا الكتاب برُمّته.

وكان الفضل الأكبر في هذا للعلامة السيد مَناظِر أحسن الكِيْلاني[1] العالم البحاثة، الذي كان عاكفاً على تأليف كتابه «نظام التعليم والتربية»، فراجع هذا الجزء المطبوع، وأُعجب بفضل الكتاب وغزارة مادته، وأقرّ بقيمته العلمية الكبيرة، ولَفَت نظر «دائرة المعارف العثمانية» والمسؤولين في حكومة حيدرآباد إلى مكانة هذا الأثر العلمي العظيم والحاجةِ إلى إبرازه، وقام بحركة قوية لنشر الكتاب، وأيّده كبار العلماء والمؤلِّفين في الهند، فظهر الجزء الأول في سنة **١٣٦٦**هـ ـ **١٩٤٧**م، وكان ذلك في عهد إدارة الدكتور محمد نظام الدين، واستمرّ صدور أجزائه إلى أن توقَّف بعد الجزء الخامس، واختلفت الأحوال في الهند، وكاد الأمل ينقطع في صدور ما بقي من أجزاء هذا الكتاب.

وحَدَث بعد ذلك أن الشيخ حسين أحمد المدني[2] كبير علماء الهند والزعيم المسلم المشهور، كان يبحث عن أخبار بعض أجداده وتراجمهم، فلا يجدها فيما يتيسّر له من كتاب مطبوع أو مخطوط، فراجع هذا الكتاب فوَجَد معظمها في أجزائه، فسُرّ بذلك سروراً عظيماً، ولَفَت نظر مولانا أبي الكلام آزاد[3] وزير المعارف في الجمهورية الهندية آنذاك، وله معرفة شخصية بالمؤلف، وتقديرٌ لهذا الكتاب، فأشار على دائرة المعارف بإتمام الأجزاء الباقية، فظهر الجزء السادس في سنة **١٣٧٦**هـ ـ **١٩٥٧**م، واستمرّ إلى أن ظهر الجزء السابع في سنة **١٠٧٨**هـ ـ **١٩٥٩**م وبقي الجزء الثامن وحده، وطُبع سنة **١٣٩٠**هـ **١٩٧٠**م وستأتي قصة طبعه في مقدمة الجزء الثامن.

● ● ●

(١) هو العالم الجليل والمؤلف الكبير، كان رئيس القسم الديني في الجامعة العثمانية بحيدرآباد، صاحبَ مؤلفات عظيمة كبيرة القيمة، توفي سنة **١٣٧٥**هـ رحمه الله تعالى.

(٢)(٣) اقرأ ترجمتهما في الجزء الثامن.

ترجمة مؤلف هذا الكتاب

نسبه:

هو الشريف العلامة عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي بن عبد الرحيم بن هداية الله بن إسحاق بن مُعظَّم بن أحمد بن محمود بن علاء الدين بن قطب الدين بن صدر الدين بن زين الدين بن أحمد بن علي بن قيام الدين بن صدر الدين بن ركن الدين بن نظام الدين بن قطب الدين محمد بن رشيد الدين أحمد بن يوسف بن عيسى بن حسن بن حسين بن جعفر بن قاسم بن عبد الله بن حسن بن محمد (النفس الزكية) بن عبد الله المَحْض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

انتقل قطب الدين محمد من بغداد في فتنة المغول، فدخل غَزْنة، وأقام بها زماناً، ثم قدم الهند فجاهد في سبيل الله وفُتحت على يده قلعة كَرَه ومانكپُور وغيرهما، وتولّى (مشيخة الإسلام) في دهلي في أيام بهرام شاه، كما في «الطبقات الناصرية». وتُوفي سنة سبع وسبعين وست مائة بمدينة كَرَهْ، ذكره القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه، وأثنى عليه وعلى ابنه وحفيده.

نَبَغ من ذريته: رجالُ العلم والمعرفة، كالقاضي ركن الدين، والشيخ فضل الله، والشيخ محمد تقي، والقاضي محمود النصيرآبادي، ومن أعقابه: السيد العلامة خواجة أحمد، والسيد العارف عَلَم الله، وحفيده السيد محمد عدل، والسيد الإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد السعيد، وخلق لا يُحصون.

ولادته:

وُلد لثماني عشرة ليلة خلون من رمضان سنة ست وثمانين ومئتين وألف، في (زاوية السيد عَلَم الله) على ميل من بلدة «رايْ بَريلي» من أعمال لكهنؤ.

نشأته:

كانت جدّته لأمه صالحة تقية ـ وكانت ممن بايع السيد الإمام أحمد بن عرفان ـ وكانت تحبّه ويلازمها.

وكان أبوه السيد فخر الدين فاضلاً عارفاً ذا مسكنة وتواضع وقناعة. وكذلك كثيرٌ من أعمامه وأخواله، لا سيما الشيخان الجليلان السيد ضياء النبي والسيد عبد السلام، فكانا مرجعَ الخلائق تُشَدّ إليهما الرحال، ويغشاهما الناس من أقصى البلاد، فنشأ مؤلِّف الكتاب على الخير والصلاح، وتربّى في حجر الدين والعلم.

دراسته واستفادته:

قرأ الكتب الدراسية من الصرف، والنحو والفقه، والأصول، والتفسير، والمعقولات، على أشهر علماء لكهنؤ مثل الشيخ محمد نعيم الفِرَنْكِي مَحَلِّي والشيخ فضل الله وغيرهما، ثم سافر إلى بهوپال وهي إذ ذاك محطّ رحال العلماء والطلبة، فقرأ سائر الكتب الدرسية على الشيخ القاضي عبد الحق، والرياضيَّ على الشيخ السيد أحمد الديوبندي، والحديثَ على العلامة المحدث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني ـ وكان الشيخ يحبه كثيراً، والأدبَ على ابنه الشيخ محمد، والطبَّ على الطبيب الشهير عبد العلي. ثم رجع سنة ١٣١١ إلى لكهنو، وشمّر الذيل في تحصيل الطبّ، فقرأ طَرَفاً من كتاب «القانون» على الطبيب الشهير عبد العزيز، وأخذ يُحصِّل الطب العملي في مستوصف الطبيب عبد العلي، وابنه الشهير عبد الولي بن عبد العلي.

رحلته:

ثم رحل وسافر فذهب إلى دهلي، وپاني پَتْ، وسهارَنْپُور، وسَرْهند، وديْوبَنْد، واجتمع بالعلماء والمشايخ، منهم الشيخ العلامة رشيد أحمد الگنْگوهي، والعلامة المحدث الشيخ نذير حسين الدهلوي، والشيخ عبد الرحمن الپاني پتي وأجازوه.

ثم أتى الشيخَ الكبيرَ صاحب العرفان مولانا فضل الرحمن الگَنْج مُرادآبادي فبايعه، وأخذ بعد وفاة شيخه عن صهره الشيخ ضياء النبي، وأبيه السيد فخر الدين، وبعض أصحاب الشيخ عبد السلام الهَسْوي رحمهم الله، وأجازه الشيخ ضياء النبي وأبوه السيد فخر الدين، وكَتَب إليه الشيخ الإمام إمداد الله المهاجر المكي وأجازه.

خدمته لندوة العلماء في لكهنو:

كان رحمه الله حريصاً على إصلاح المسلمين ونفعهم، ناصحاً لهم، وكان يتألم كثيراً مما يرى من اضطراب حَبْل المسلمين، وتفرُّق كلمتهم، وانشقاق عصاهم، وذهاب رِيحهم، وانحطاطهم، وقد نهضت يومئذ جماعةٌ فوُفِّقوا لتأسيس جمعية سمَّوها: «ندوة العلماء»، وهي اليوم شهيرة في العالم الإسلامي.

فكان يحضر حفلاتها السنوية وهو متعلّم، ثم أقام بلكهنو وفرغ لخدمتها وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها سنة ١٣١٣ مع ضيق ذات يده، وشدة احتياجه إلى القيام بطلب المعاش، ليقوم بنفقاته ونفقات عياله وأبيه، ثم رَتَّب له أعضاء الندوة معاشاً سنة ١٣١٤، فقَبِله زمانا، ثم اعتزل الوظيفة واشتغل بالطب، ولم يزل يخدم الندوة حسبة لله تعالى مدة حياته.

وكان رحمه الله هو المعتمد في أمور «الندوة» من أول الأمر، وعليه المُعوّل فيها، وحاز ثقةَ أصحابه فجعلوه ناظماً لندوة العلماء، أي مديراً لشؤونها في سنة ١٣٣٣، فاستقام على هذا العمل إلى آخر عمره باجتهاد وإخلاص ونصح للمسلمين، ولما أَسَّس أعضاء الجمعية مدرسةً سمَّوها «دار العلوم»، فاعتَنَى في زمن إدارته بأمورها اعتناء تاماً، حتى تخرجت منها جماعات من العلماء، وغالبهم مُكِبّون على الدرس والتصنيف وخدمة المسلمين.

وفاته:

تُوفي رحمه الله لخمس عشرة ليلة خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١، ودُفن عند قبر السيد العارف عَلَم الله في زاويته، خارج بلدة راي بريلي، على ميل منها في الجانب الغربي.

أولاده:

أعقب ـ رحمه الله ـ ابنين وبنتين. تزوج بابنة السيد عبد العزيز الواسطي الحسيني، فوَلَدَتْ له «عبد العلي»، وبعد وفاتها تزوج بابنة الشريف العارف ضياء النبي الحسني، فوَلَدتْ له علياً أبا الحسن، وابنتين[١].

خلقه

كان محمود السيرة، ميمون النقيبة، مَرْضيًا، حصل له القَبول عند الناس، صاحبَ عقل وسكينة وتواضع، مع عزة نفس ووقار، وقلة كلام وحياء، وصبر وحِلم، وتوكل واستقامة وتورّع، وإقبال على الطاعة والإفادة، معروفاً بِصِلة الرّحم والإحسان إلى الأقارب والأصدقاء، والتحري في أكل الحلال، والإعانة على نوائب الحق، حريصاً على اتباع السنة، نَفُوراً عن التفاخر والرياء.

تبحّره في علوم الدين:

كان متضلعاً من العلوم، راسخ القدم في آداب اللغة العربية والفارسية والأُردوية، وكان شاعرا مُجيدا إلا أنه لم يُكثر فيه، بارعاً في الفقه والحديث والتفسير والسِّير والتاريخ، لم يكن له نظيرٌ في العلم بأحوال الهند ورجالها في عهد الدولة الإسلامية.

وكان يدرِّس الأدب والطب والحديث والقرآن، ويذكِّر كل يوم جمعة، وذلك كله مع اشتغاله بالطب وإدارة «ندوة العلماء». وجُلُّ أوقاته كانت تمضي في مطالَعة الكتب والتصنيف.

وكان رحمه الله يحب درس الحديث والقرآن، فرغب عن سائر الفنون منذ بضع سنين قبل وفاته، فلم يكن يشتغل إلا بهذين العِلمين الشريفين.

مصنفاته المطبوعة:

١ ـ «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر».

ذكر فيها تراجم أعيان الهند ومآثرهم، وكلَّ ما اتصل به من أخبارهم، وانتهى إليه علمُه من تعلّمهم وأعمالهم، وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وسِنِي وفياتهم، مع مراعاة أصول التاريخ بتثبُّت وتحرٍّ، غيرَ مقتصرٍ على خوارق العادات والكرامات، وحكايات القنص والشجاعة، وحسن المحاضرة ولطف المذاكرة، والفكاهة والنوادر، والجُود، شأنَ غيره من الأخباريين في الهند.

وكيف دَرَسُوا، وعلى من قرؤوا، وممّن أَخَذوا ومَنْ صحبوا، وبمن اجتمعوا، وما حضروا من

---

(١) وهما أمة العزيز، وأمة الله تسنيم. وهما مثقفتان بالثقافة الدينية. والأخيرة كانت موهوبةً من حيث التأليفُ والتصنيف، فلها مؤلَّفاتٌ ـ باللغة الأردوية ـ مقبولةٌ متداولة، من أشهرها: ترجمة كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي، وسمَّتْها باسم «زاد السفر». رحمهما الله تعالى.

مجالس الملوك والأمراء، وما صنَّفوا وأفادوا، وأين دَرَّسُوا، ومَنْ قرأ عليهم، وما جرى عليهم مع الملوك الجبابرة، وقولهم الحق وإنكارهم عليهم وردّهم فتنتهم وثباتهم.

وقد بالغ في الاستقصاء وكاتَبَ العلماء وأهل الخبرة بهم، ودار البلاد.

والكتاب في ثمانية أجزاء:

(الجزء الأول): يتضمن تراجم علماء الهند وأعيانهم فيمن قدم الهند من أعيان المسلمين من القرن الأول إلى القرن السابع.

(الجزء الثاني): في أعيان القرن الثامن. وهكذا كل جزء بعده في قرنٍ كاملٍ إلى (الجزء الثامن) الذي هو في أعيان القرن الرابع عشر.

وكان لدائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد ـ الهند فضلُ طبع هذا الكتاب العظيم، وقد صدرت له ثلاث طبعات.

٢ ـ كتاب «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»:

في أولها مقدمة جليلة، بَحَث فيها عن مناهج التعليم في هذه البلاد، وما حدث فيها من التغيير في كل عصر منذ فتح المسلمون الهند إلى عهدنا هذا.

ثم تكلم على الفنون كالصرف والنحو، واللغة والبلاغة، والعَرُوض والشعر والإنشاء، والتاريخ والجغرافية، والفقه والحديث وأصولهما، والتفسير وأصوله، والتصوف والأخلاق، والكلام والمناظرة، والمنطق والطبيعيات، والرِّياضي والطب.

فذكر تاريخ كل فنٍّ مطلقاً، ثم ذكر تاريخ الفن في الهند، ثم ذَكَر ما وَضَعَ فيها علماء الهند من الكتب، ومن بَرعَ فيها منهم.

وهو كتابٌ جليلٌ غزير المادة في هذا الموضوع، وخلاصة دراسات طويلة واسعة دقيقة.

وقد طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق[1] باسم «الثقافة الإسلامية في الهند» سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م، وصدرت له طبعتان.

٣ ـ «گُلِ رَعْنا»[2]:

مصنَّفٌ جليلٌ بلغة «أُردو» في (تاريخ شعر أُردو وشعرائه).

في أول الكتاب مقدمة جليلة بَحَث فيها عن تاريخ أردو، ثم تكلم على كل عصر وشعرائه، مع نبذة من شعرهم، وطَرَف صالح من حياتهم.

وكان رحمه الله ناقداً بصيراً قَلّما يوجد نظيره في هذا الباب.

تلقَّى هذا الكتاب علماء هذا الشأنِ بالقبول، وقد قُرِّر تدريسه في عدة جامعات مدنية كبيرة في شبه القارة الهندية، وصدرت له ست طبعات من دار المصنفين، في (أعظم كَرَهْ) الهند.

(١) وهو الآن يسمى بمجمع اللغة العربية.

(٢) ومعناه: الوردة الرشيقة.

٤ ـ كتاب «جنّة المَشرق ومطلع النور المُشرق»: في التاريخ الإسلامي وجغرافية الهند. وهو أجلُّ كتاب في هذا الباب، يحتوي على ثلاثة فنون:

الفن الأول: فيه مقدمة وأربعة أبواب:

الباب الأول: في جغرافية الهند وموقعها من الأرض، ذكر فيه جبال هذه البلاد وأنهارها وهواءها، وحاصلاتها وأشجارها ونوادرها، وحِرَف أهلها، وحيواناتها ومعادنها، وأجناسها وأديانها، وصناعاتها ولغاتها، واستقصى في هذا الباب عقاقير بلاد الهند والفواكه التي لا توجد في غير هذه البلاد.

الباب الثاني: في ذكر أقطاع الهند المشهورة.

الباب الثالث: في ذكر أقطاع الهند وأشهر مدنها وقُراها في الدولة الإسلامية.

الباب الرابع: في تقسيم أرض الهند على الولايات في العصر الحاضر.

الفن الثاني: في أخبار ملوك الهند، وفيه أربعة أبواب:

الباب الأول: في ظهور الإسلام في أرض الهند، وذكر وُلاتها من بدء الإسلام إلى آخر الدولة العباسية.

الباب الثاني: في ذكر استيلاء الملوك الغَزنوية والغُورية على الهند.

الباب الثالث: فيمن ملكوا الهند وكانوا يسكنون بدهلي.

الباب الرابع: في فصول مهمة تتعلق بتاريخ الهند، منها فصلٌ في ذكر ملوك الطوائف في أقطار الهند، وفصل في تاريخ الملوك والأمراء في العهد الحاضر، وفصل في السلطة الإنكليزية على أرض الهند، وفصل في ثورة الهند للتخلص من سلطة الإنكليز.

الفن الثالث: وهو أهم الثلاثة، في الخِطط والآثار، وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في خطط الملوك وعوائدهم في السلطنة، وفيه فصول عديدة: في ذكر خطة الملوك في الأحكام السياسية، وفي ذكر العساكر وترتيبها ونظامها، وفي ذكر المناصب وأهلها، وفي نظام المملكة وعوائدهم في تحصيل المالية، وفي عوائد الملوك في العدل والقضاء، وفي ذكر دُور سلاطين الهند وجلوسهم للناس، وفي ذكر خروج السلطان إلى بلاده، وفي ذكر آداب التحية بين أيدي الملوك. بَحَث عن هذه الأمور، وذَكَر ما حدث فيها من التغيير في كل عهد.

الباب الثاني: في فصول مهمة لا بد من استحضارها عند النظر في أخبار الهند، وفيه عدة فصول في ذكر السنين والشهور والساعات، والنقود والموازين، وأصناف الأرض والعُشر والخراج وغيرها، في كل عصر.

الباب الثالث: في الأمور النافعة لأهل الهند، ذكر فيها مآثرهم من الشوارع العامة، والبريد، والحياض والأنهار، والحدائق والبساتين، والجوامع والمساجد والمدارس، والمستشفيات والمقابر العظيمة والحُسينيات، وذكر نوادر ما وضعوه في الهند.

وهذا القسم من الكتاب لم يُسبَق إليه، وبه يُعرف حظّ المسلمين في عمارة الهند وحضارتهم، ومعاشرة ملوكهم وسياستهم، واستقصى التغييرات التي حدثتْ في كل عهد.

وقد طَبعتْ دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد هذا الكتاب باسم: «الهند في العهد الإسلامي» ونُقل إلى اللغة الانجليزية، ولغة أُردو، لغةِ الهند الشائعة العلمية والشعبية.

٤ ـ «تلخيص الأخبار» كتاب مختصرٌ نفيس في الحديث، جمع فيه الأخبار بحذف الأسانيد. وقد طُبع الكتاب مراراً باسم: «تهذيب الأخلاق» وقُرِّر تدريسه في عدة مدارس.

٥ ـ «منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار» كشف فيه النقاب عن وجوه الاختلاف، فأجاد فيما أراد، ولم يطبع بعد.

٦ ـ «كتاب الغناء» بالعربية.

٧ ـ «القانون في انتفاع المرتهن بالمرهون» بالعربية.

٨ ـ التعليقات على «سنن أبي داود» بالعربية، ولم يكملها.

٩ ـ شرح «المعلقات السبع» بالعربية، ولم يكمل.

١٠ ـ رسالة في سلاسل النقشبندية بالفارسية.

١١ ـ «تذكرة الأبرار بالفارسية».

١٢ ـ «أرمُغان أحباب» بالأردو[١].

١٣ ـ «طبيب العائلة» بالأردو[٢].

١٤ ـ رسائل أُخَر في الأردو.

١٥ ـ «يادِ أيام» هذا الكتاب من خيرة كتبه، وهو بلغة «أردو» أيضاً، في أخبار منطقة (كُجْرات)، وهي أول ما وَطِئه المسلمون من أرض الهند. ضمّنه تاريخ هذه المنطقة السياسي والمدني والعلمي، وذكر فيه العلماء والمشايخ، والملوك والوزراء والقضاة، وما ظهر على أيديهم من رُقيّ المدنية والصناعة والعلم وتشجيع أهله، إلى غير ذلك.

صدرت للكتاب عدة طبعات، وتُلقّي بالقبول، ونُقل إلى بعض اللغات الإقليمية.

عبد العلي الحسني
ابن المؤلف

---

(١) صدرت له عدة طبعات باسم «دهلي اور اس كى أطراف» يعني: عاصمة دهلي والمدن المجاورة لها. وهو مذكّرات رحلة قام بها المؤلف.

(٢) وقد طُبع الكتاب سنة ١٣١٢ ـ ١٨٩٤م.

مقدمـــة الكتـــاب

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان. وأَنزَل القرآن هُدىً للناس وبيّناتٍ من الهُدى والفرقان، وأَعجزَ مصاقع البلغاء عن المعارضة باللسان، إلى المقارعة بالسيف والسِّنان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد فاتحة كتاب الوجود، وخاتمة أبواب الوحي والكشف والشهود، والشفيع المُشفّع في المقام المحمود، مَنْ سطع نوره على كل موجود، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، الذين أيّدوا الشريعة السمحة الغراء، وأسّسوا أبنية قواعدها البيضاء، حتى استقام الحق واعتدل، وزَهَق الباطل وبَطَل.

أما بعد! فإني منذ عرفتُ اليمين من الشمال، وميّزتُ بين الرشد والضلال، لم أزل وَلُوعاً بمطالعة كتب الأخبار، مُغرىً بالبحث عن أحوال الأدباء الأخيار، حريصاً على خبرٍ أسمعه، أو شعرٍ تفرّق شملُه فأجمعه، حتى اجتمع عندي ما طاب وراق، وزُيّن بمحاسن لطائفه الأقلام والأوراق، فاقتصرتُ منه على أخبار أدباء الهند التي أنا فيها، وضربتُ صفحاً عن أدباء الأقاليم الأُخَر التي تُنافيها، حرصاً على جمع ما لم يُجمع، وتقييد شيء لم يُقل إلا ليُقيّد ويُسمع.

ثم أشار إليّ مَنْ إشارتُه حكمٌ، وطاعته غُنم، أن لا أقتصر على أخبار الأدباء، بل أُذيّله بذكر العلماء، وأهل الفضل سواء كانوا من المشايخ أو الأمراء.

فاستقلْتُ من هذا المقام الذي يُضطَرّ فيه صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالبَ رَجِلٍ وخيل، وذاكرتُه أن من كان أفضل مني في إكثار الرواية، وقوة الحفظ وغزارة الدراية، بَذَل جهده في ذلك، فلم يتيسر له الوصول إلى ما هنالك، فكيف هذا العبد الفقير، في هذا المضمار الخطير مع قصور باعِه، وسَقَط متاعه، وقلة فُرصه، وكثرة غُصصه، فلم يُسعف بالإقالة، ولا أعفَى من المقالة، فلبيّتُ دعوته تلبية المطيع، وبذلتُ في مطاوعته جهد المستطيع.

ولولا منّ الله عز وجل ـ وله المنة على هذا العبد بالقوة على ذلك بعد المِنّة ـ لما تيسّر له جمع الكتاب، الذي هو أغلى من الذهب المُذاب، وأحلى من لذيذ الخطاب، ومداعبة الأحباب، لأن أهل الهند مع كثرة فضلائهم ووجود الأعيان في كل مكرُمة على تعاقب الأعصار: ليس لهم عناية كاملة، ولا رغبة وافرة، إلا في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى علمائهم رأساً، ولا يمُدّون إليهم يداً، مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما لغيرهم من الشعراء، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال مشايخ الصوفية، والإكباب على جمع كشوفهم وكراماتهم وعلى كتبهم التاريخية وغيرها.

وإني لأكثر العجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي هي سببٌ لدفن محاسنِ سابقِهم ولاحقهم، وطمس رفيعِ قدرِ عالمهم وفاضلهم.

ولهذا أَهمل المصنفون في التاريخ على العموم ذكرهم، لم يترجموا لأهل قرن من تلك القرون،

ولا ممن مضى في عصر من هاتيك العصور، وإنْ ذكرهم المؤرخون منهم: ترجَموه ترجمةً مغسولة عن الفائدة، عاطلة عن بعض ما يستحقه، ليس فيها ذكرُ مولده ولا وفاته، ولا شيء من مسموعاته ولا مقروءاته، لأن الذي ينقل أحوال شخصٍ إلى غيره ينبغي له أن يكون من معارفه وأهل بلدته، فإذا أهمله عارفوه: أهمله غيرهم وجَهِلوا أمره.

ومن هذه الجهة: أجدُني إذا ترجمتُ في هذا الكتاب أحداً منهم، لم أدْرِ ما أقول! لأن أهل عصره أهملوه، فلم يبق لَدَى مَنْ بعدهم إلا مجرد أنه «فلان»، لا يُدرَى متى وُلد، ولا في أي وقت تُوفِّي، وبماذا انفرد في حياته من المزايا!

فمن عَرَف ما ذكرناه، عَلِم أني بفضل الله سبحانه وتوفيقه: أَجدتُ في كتابي هذا وأبدعتُ، وصنعت ما لم يستطعه كبار العلماء، مع توفر رغباتهم في الجمع والتصنيف، لا سيما في هذا الباب.

وإني لم أقصد بجمعه خدمةَ ذي جاهٍ كبير، أو طاعةَ وزيرٍ أو أمير، ولم أُداهن فيه أحداً بنفاق، أو مدح أو ذمٍّ مُباين للأخلاق، لميل نفساني، أو غرض جسماني، وأنا أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم من وضع قدمي في طريق لم أسلكه، وتجارتي في رأس مالٍ لم أملكه، هذا مع اعترافي بقصور باعي، وفتور همتي ونضوب طباعي، في القوانين العربية، ودواوين المثاني الأدبية:

ما لي وللأمر الذي قُلِّدتُه ... ما للذباب وطُعْمة العنقاءِ
أبكي لعجزي، وهو يبكي ذلةً ... شتان بين بكائه وبكائي

وإني سميتُه: **«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»**.

واللَّهَ سبحانه أسأل أن يصعد كتابي هذا ذروة القبول، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به أهل العلم ومن يخلُفني من بعدي من السادة الفحول، وأن يُرخي على زلاّتي من عفوه وغفرانه أطول الذيول، وبالله الاستعانة في كل ما أحرِّر وأقول، وله الحمد وهو خير مسؤول ومأمول.

● ● ●

الطبقة الأولى
في من قصد الهند في القرن الأوّل

١ ـ بُدَيل بن طَهْفة البَجَلي

لما قُتل عبيد الله بن نبهان بأرض السند، كتَبَ الحجاج بن يوسف الثقفي إلى بُدَيل بن طهفة وهو بعُمان: يأمره أن يسير إلى (خَوْر الدَّيْبُل) لتخلية النسوة اللاتي وُلدن في (جزيرة الياقوت) مُسلمات، وأخَذهنّ قوم من ميد الديبُل[١].

فسار نحو الهند، ولما لقيهم نَفَر به فرسُه، فأطاف به العدو فقتلوه. وقال بعضهم: قتله (زُطّ ـ مُعرَّب: جات ـ البُدْهة)[٢]، كما في «فتوح البلدان» للبلاذري.

وقال البلاذري في موضع آخر من ذلك الكتاب: إن بُدَيل بن طهفة مصوّر بِـ (قَنْدابِيْل)، وقبره بالدّيبُل. انتهى.

٢ ـ بنانة بن حنظلة الكلبي

أَمّره محمد بن القاسم الثقفي على سرية بعثها إلى (بيت)، فقاتل أهلها قتالاً شديداً، ثم رجع ظافراً إلى محمد. وسار محمد إلى مِهْران، فنزل في وسطه، وأَمّر بنانة على ألف مقاتل، فقاتل معه بِـ (راوَرْ) و (برهمناباد) وغيرهما من بلاد السند، وفتحها، فأمره محمد على قلعة دهليلة.

(١) ميد: جنسٌ من الناس. والديبل اسم منطقة.

(٢) زُطّ: جنسٌ من الناس أيضاً. و «البُدهة» ـ ويقال: النُدهة، بالنون ـ: أرض واسعة بالسند. «معجم البلدان» ١/ ٤٢٧ (حرف الباء) و ٥/ ٣٢٣ (حرف النون).

٣ ـ الحكم بن أبي العاصي الثقفي

الحكم بن أبي العاصي بن بِشر بن دُهمان[٣] بن عبد الله بن همّام بن أبان بن يسار بن مالك بن حُطيط بن جُشَم بن ثقيف الثقفي، الرجل المجاهد.

وَجّهه أخوه عثمان بن أبي العاصي ـ أمير البحرين وعُمان ـ سنة خمس عشرة من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تانة[٤] وأقطع له جيشاً، فلما رجع: كَتَب إلى عمر يُعلمه ذلك، فكَتَب إليه: يا أخا ثقيف حملتَ دُوداً على عود، وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا: لأخذتُ من قومك مثلهم.

قال البلاذري: ووجّهه عثمان أيضاً إلى «بَرْوَص». وبَرْوص. وبَرْوص (بَرْوَج)[٥] بندر كبير من بنادر الهند. انتهى.

(٣) كذا هنا: «بن بشر بن دُهمان» وهكذا أيضاً في «الاستيعاب». وورد في غير مصدر: «ابن بشر بن عبد دهمان»، أو «ابن بشر بن عبد بن دهمان». انظر مثلاً: «جمهرة» ابن الكلبي ص ٣٩٢ و «طبقات» خليفة ص ٥٣ و ١٩٧ و «جمهرة» ابن حزم ص ٢٦٦ و «الإصابة» (طبعة دار الكتب العلمية).

(٤) كذا. وورد في «الاستيعاب» و «معجم البلدان» «تَوّج»، ويقال لها: «التَّوَّز» أيضاً، وهي مدينة بفارس. وهذا هو الصواب، فإن «تانة» هي من بلاد الهند، ولم تكن فُتحت يومئذ.

(٥) «بَرْوص» أو «بَرْوَج» ضبطه ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ بقوله: «بفتح الواو». ويراجع تاج العروس. وهي منطقة بـ (كَجُرات). لكن تُعورف نطقها الآن هكذا: «بَرُوج» بضم الراء.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: إنه يُكنى أبا عثمان، وقيل: أبو عبد الملك. وهو أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي، له صحبة، كان أميراً على البحرين. وسبب ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل أخاه عثمان بن أبي العاص على عُمان والبحرين، فوَجّه أخاه الحكم على البحرين، وافتتح الحكم فتوحاً كثيرة بالعراق سنة تسع عشرة أو سنة عشرين.

وهو معدود في البصريين ومنهم من يجعل أحاديثه مرسلة. ولا يختلفون في صحبة أخيه عثمان.

رَوَى عنه معاوية بن قُرة قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن في يدي مالاً لأيتام قد كادت الصدقة أن تأتي عليه، فهل عندكم من مَتْجر؟ قال: قلت: نعم، قال: فأعطاني عشرة آلاف، فغبتُ بها ما شاء الله، ثم رجعت إليه فقال: ما فعل مالُنا؟ فقلت: هو ذا، قد بلغ مئة ألف! أخرجه الثلاثة[1] انتهى.

٤ ـ حَكيم بن جبلة العبدي

حَكيم بن جَبلة بن حُصين بن أسود بن كعب بن عامر بن الحارث بن الدِّيل بن عمرو بن غَنْم بن وَدِيعة بن لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبد القيس بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة[2] بن أسد بن ربيعة بن نزار العبدي، وقيل: حُكيم بضم الحاء، وهو أكثر. وقيل: ابن جَبَل.

ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» قال: قال أبو عمر: أدرك النبيَّ ﷺ، ولا أعلم له رواية ولا خبراً يدل على سماعه منه، ولا رواية له. وكان رجلاً صالحاً له دين، مُطاعاً في قومه.

وهو الذي بعثه عثمان على السند، فنزلها، ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: ماؤها وَشَلٌ[3]، ولِصّها بطلٌ، وسَهلُها جبلٌ، إنْ كثُر الجند بها جاعوا، وإن قلُّوا بها ضاعوا، فلم يُوجِّه عثمان رضي الله عنه أحداً حتى قُتل. انتهى.

وقال البلاذري في «فتوح البلدان»: إنه لمَّا وَلِي عثمان رضي الله عنه، ووَلَّى عبدَ الله بن عامر بن كريز العراق، كتَبَ إليه يأمره أن يُوجِّه إلى ثغر الهند من يعلم عِلمه وينصرف إليه بخبره، فوجَّه حكيمَ بن جبلة العبدي، فلما رجع أوفده إلى عثمان رضي الله عنه، فسأله عن حال البلاد، فقال: يا أمير المؤمنين! قد عرفتُها وتنحرتُها[4]، قال: فصِفها لي! قال: ماؤها وَشَلٌ، وثمرها دَقَلٌ، ولِصّها بطلٌ، إن قلّ الجيش فيها ضاعوا، وإن كثُروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابرٌ أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يُغْزِها أحداً ـ انتهى.

قال ابن الأثير: ثم إنه أقام بالبصرة، فلما قدم إليها الزبير وطلحة مع عائشة رضي الله عنهم، وعليها عثمان بن حُنَيف ـ أميراً لعلي رضي الله عنه ـ بعث عثمان بن حُنَيف حكيمَ بن جبلة في سبع مئة من عبد القيس وبكر بن وائل، فلقي طلحةَ والزبير بالزابوقة قرب البصرة، فقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل.

وقيل: إن طلحة والزبير لما قدما البصرة استقرّ الحال بينهم وبين عثمان بن حُنَيف أن يكفّوا عن القتال إلى أن يأتي عليٌّ. ثم إن عبد الله بن الزبير بَيَّت عثمان، فأخرجه من القصر، فسمع حُكيم، فخرج في سبع مئة من ربيعة، فقاتلهم حتى أخرجهم من القصر، ولم يزل يقاتلهم حتى قُطعت رِجلُه، فأخذها وضَرَب بها الذي قطَعَها، فقتله، ولم يزل يقاتل ورِجلُه مقطوعةٌ، وهو الذي يقول:

يا ساقُ لن تراعي

إن معي ذراعي

أحمي بها كراعي[5]

---

(١) قوله: «أخرجه الثلاثة» هو اصطلاح لابن الأثير في «أُسد الغابة» فإنه جمع.

(٢) قوله: «بن أَفْصَى بن عبد القيس بن دُعمي بن جَدِيلة» فيه سَقَطٌ في النسب، تتمته هكذا:
«بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى ـ مكرّراً ـ بن دُعمي بن جديلة».

(٣) أي القليل الذي يُتحلّب من جبلٍ أو صخرةٍ ولا يتّصل قَطْرُه. القاموس المحيط (وشل).

(٤) كذا، وفي «معجم البلدان»: وخَبَرتُها.

(٥) كذا، وفي الاستيعاب:

يا نفس لن تراعي — أرعاكِ خير راعي
إنْ قُطِعتْ كراعي — إن معي ذراعي

حتى نزفه الدم، فاتكأ على الرجُل الذي قَطَع رِجْلَه وهو قتيل، فقال له قائل: من فَعَل بك هذا؟ قال: وسادتي! فما رُئي أشجع منه. ثم قتله سُحَيم الحُدّاني.

قال أبو عبيدة مَعْمر بن المثنّى: ليس يُعرف في جاهلية ولا إسلام: رجلٌ فَعَل مثل فعله ـ انتهى.

٥ ـ داود بن نصر العُماني

داود بن نصر بن الوليد العُماني المجاهد. قدم السند، وقاتل أهلها، وفتح البلاد، ثم استعمله محمد بن القاسم الثقفي على مدينة مُلْتان.

٦ ـ رعوة بن عميرة الطائي

رعوة بن عميرة الطائي، كان من رجال الدولة الأموية. أَمّره محمد بن القاسم الثقفي على طليعته، فقاتل معه أهل الهند، وفتح البلاد.

٧ ـ زائدة بن عميرة الطائي

زائدة بن عميرة الطائي، كان شقيق رعوة. قاتل معه الهنود غير مرة، وسار إلى مُلتان، فقاتله أهلها، وانهزموا، وقُتل زائدة تحت سور البلد، كما في «فتوح البلدان» للبلاذري.

٨ ـ عبد الرحمن بن العباس الهاشمي

عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي القرشي.

خرج على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، وبايعه سنة إحدى وثمانين، وقاتل معه الحجاجَ غير مرة بالأهواز ودَير الجماجم وغيرها.

ولما انهزم ابن الأشعث من مَسكِن، أتى عبدُ الرحمن بن العباس سجستان، فاجتمع فَلُّ ابن الأشعث، فسار إلى خراسان في عشرين ألفاً، فنزل هراة، وقتل الرُّقاد[1]، فأرسل إليه يزيدُ بن المهلب: قد كان لك في البلاد ممتنع مَنْ هو أهون مني شوكة، فارتحِل إلى بلدٍ ليس لي فيه سلطان، فإني أكره قتالك، وإن أردتَ مالاً أرسلتُ إليك. فأعاد الجواب: إنا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام، ولكنا أردنا أن نُريح، ثم نرحل عنك، وليست بنا إلى المال حاجة.

وأقبل عبد الرحمن بن العباس إلى الجباية، وبلغ ذلك يزيدَ فقال: من أراد أن يُريح ثم يرتحل: لم يَجْبِ الخراج! فسار يزيد نحوه وأعاد مراسلته: إنك قد أرحتَ وسمِنتَ وجَبَيْتَ الخراج، فلك ما جبيتَ وزيادة، فاخرج عني! فإني أكره قتالك.

فأَبَى إلا القتال، وكاتَبَ جُندَ يزيد يستميلهم ويدعوهم إلى نفسه، فعَلِم يزيد فقال: جَلَّ الأمر عن العتاب، ثم تقدم إليه فقاتله، فلم يكن بينهم كثيرُ قتالٍ حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه، وصَبَر، وصبرتْ معه طائفة، ثم انهزموا، وأمر يزيد أصحابه بالكفّ عن اتّباعهم، وأَخَذوا ما كان في عسكرهم، وأَسَروا منهم أسرى، ولحق عبد الرحمن بالسند، كما في «الكامل».

قال ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة»: لما انهزم ابن الأشعث، قام بعده عبد الرحمن بن ربيعة، فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم، فوقع بأرض فارس، ثم صار إلى السند، فمات هناك. انتهى.

٩ ـ عبيد الله بن نبهان

سيَّره الحجاج بن يوسف الثقفي إلى (خَوْر الدَّيْبُل) لتخلية النسوة اللاتي وُلِدن في (جزيرة الياقوت) مُسلمات، ومات آباؤهن، وكانوا تجاراً، فأراد مَلِكها التقرب بهن إلى الحجاج فأهداهن إليه.

فعَرَض للسفينة التي كُنّ فيها قومٌ من ميد الديبل في بوارج، فأخذوا السفينة بما فيها، فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع: يا حجاج!

وبَلَغ الحجّاجَ ذلك، فقال: يا لبيك! فأرسل إلى «داهرَ» يسأله تخلية النسوة، فقال: إنما أَخَذهن لصوصٌ لا أقدر عليهم، فأغزى الحجاجُ عبيدَ الله بن نبهان

[1] يبدو أنه اسم «لأحد الأشخاص على وزن (غُراب). كما يفيده كلام القاموس مادة (رقد).

الديبل، فغزاهم، وقُتل في تلك الغزوة بأرض السند، كما في «فتوح البلدان».

١٠ ـ القاسم بن ثعلبة الطائي

قاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائي، الرجل المجاهد.

كان بالسند، وقاتل الهنود تحت لواء الأمير محمد بن القاسم الثقفي، وقَتَل كثيراً منهم. وهو الذي قَتَلَ داهَرَ بن صِصّة ملك السند ـ رواه البلاذري عن ابن الكلبي.

١١ ـ محمد بن الحارث العِلافي

خرج على الحجاج، وقاتله مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي. ولما انهزم ابن الأشعث أَتَى محمدٌ: عُمان، ثم خرج إلى السند واحتَمَى بداهرَ بن صِصّة ملك السند.

فلما وَلي سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي (مُكْران)، وقَتَل سعيدٌ: صفوى بن لام الحمامي في ذنبٍ اجتراه ـ وكان من العِلافيين ـ، خرج عليه محمدٌ ومعاوية ابنا الحارث وكان معهما خمس مئة مقاتل، فقتلوه، وغلبوا على مكران، فلما أُخبِر به الحجاج، وَلَّى مُجّاعة بن سِعْر التميمي على ثغر الهند، فغزا مُجّاعة وغَنِم، ولحق محمد ومعاوية مع رجالهما بالسند، وسكنوا بأرور سنة خمس وثمانين.

ولما فَتَح محمد بن القاسم الثقفي السند، وقُتل داهر: خرج محمد من أرور، وسار إلى برهمناباد واجتمع بِـ (جي سنگ)، ولما سار (جيْ سنگ) إلى كشمير، خرج معه وعاد من أثناء الطريق، كما في «تاريخ السند».

وفي «تحفة الكرام»: أنه استأمن محمدَ بن القاسم المذكور، فأمّنه. انتهى.

واسم عِلاَف هو: رَبّان[1] بن حُلوان بن عمران بن الْحاف بن قضاعة، وهو أبو جَرْم، كما في فتوح البلدان.

١٢ ـ محمد بن القاسم الثقفي

محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. كان من بني أعمام الحجاج وخَتَنه.

ولاّه الحجاج على ثغر الهند في أيام الوليد بن عبد الملك، وكان بفارس، وقد أمره أن يسير إلى الريّ وعلى مقدمته أبو الأسود جَهْم بن زَحْر الجُعفي، فردَّه إليه، وعَقَد له على ثغر السند، وضَمّ إليه ستة آلاف من جند أهل الشام وخلقاً من غيرهم، وجَهَّزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمَسَالّ، وأمره أن يقيم بشيراز حتى يتتام إليه أصحابه، ويوافيه ما أعدّ له، وعَمَد الحجاج إلى القطن المحلوج، فنقع في خَلّ الخمر الحاذق، ثم جفّف في الظل فقال: إذا صرتم إلى السند فإن الخلّ بها ضيق، فانقعوا هذا القطن في الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا.

فسار محمد بن القاسم إلى مكران، فأقام بها أياماً. ثم أَتَى قَنزبور ففتحها، ثم أتى أرمائيل[2] ففتحها، ثم سار إلى الدَّيبل يوم جمعة، ووافته سُفنٌ كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة، فخَندَق حين نزل دَيْبُل، ورُكزت الرماح على الخندق، ونُشرت الأعلام، وأَنزل الناس على راياتهم، ونصَب منجنيقاً.

وكان بالديبل كنيسة عظيمة عليها دَقَلٌ طويل، وعلى الدقل راية حمراء، فرُمي الدقل فكُسر، فاشتدّ طيرة الكفر من ذلك.

ثم إن محمداً ناهضهم وقد خرجوا إليه، فهزمهم حتى ردَّهم، وأَمر بالسلاليم فوُضعت، وصعد عليها الرجال ففُتحت عَنوة، وهرب عامل داهَر، وقُتل سادن[3] بيت آلهتهم في الديبل، واختَطّ للمسلمين بها،

---

(١) «رَبّان» هو المهملة المفتوحة والموحّدة المشدّدة. كما نص عليه ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» ٦/٣٩٦ ـ ٣٩٧. ووقع بالأصل: «أبان» وهو خطأ.

(٢) في «معجم البلدان» ١/١٨٩ «أرْمَئِيل».

(٣) في «فتوح البلدان» ٥٣٥ «وقُتل سادنا بيت آلهتهم».

وبنى مسجداً وأنزلها أربعة آلاف[1].

ثم أتى محمدٌ (البيرون) فصالحه أهلها، وجعل محمدٌ لا يمر بمدينة إلا فتحها، حتى عبر نهراً دون مِهْران فصالحه أهلها، ووَظّف عليهم الخراج.

وسار إلى (سهبان) ففتحها، ثم سار إلى (مِهْران) فنزل في وسطه، وعَبره مما يلي بلاد «راسل»[2] - ملك قَصَّة (كَچْ) - من الهند، ولقيه داهرَ على فيلٍ، وحوله الفيلة، ومعه التكاكرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله وترجّل داهر، وقاتل، فقُتل عند المساء وانهزم المشركون فقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وكان الذي قَتله في رواية المدائني رجلاً من بني كلاب وقال:

الخيلُ تشهد يوم داهَرَ والقنا
ومحمدُ بن القاسم بن محمدِ

أنّي فَرَجْتُ الجمع غير مُعرِّدٍ
حتى علوتُ عظيمهم بمُهنَّدِ[3]

فتركتُه تحت العَجاج مُجدَّلاً
متعفِّر الخدَّيْن غير مُوسَّد[4]

ثم سار إلى (راوَرْ) ففتحها، وكانت بها امرأة لداهر، فخافت أن تُؤخذ، فأحرقتْ نفسَها وجواريها وجميع مالها.

ثم أتى محمدٌ (برهمناباد العتيقة)، وكان فَلّ داهر ببرهمناباد هذه، فقاتلوه، ففتحها محمد عنوة، وقَتل بها ثمانية آلاف، وقيل: ستة وعشرين ألفاً، وخَلَف فيها عامله.

(١) أفاد العلامة الزركلي في ترجمة (محمد بن القاسم) في التعليق عليها، نقلاً عن بحثٍ بمجلة «المنهل»: أن (الديبُل) المذكورة في فتوحات محمد بن القاسم الثقفي، هي: (كراتشي) الأعلام ٦/ ٣٣٤.

(٢) «راسل» اسم الملك.

(٣) عرّد فهو مُعرِّد: إذا هرب وفَرّ. والمهنّد: السيف الهندي.

(٤) العجَاج: الغبار، والمُجدَّل: المُلقَى على الجَدَالة وهي الأرض، وقوله: غير مُوسَّد: أي لم يُوسَّد، بل صُرِع فتعفر خدّاه.

وسار محمدٌ يريد (الرور) و (بغرور) فتلقاه أهل ساوَنْدرَى، فسألوه الأمان، فأعطاهم إياه. ثم تقدم إلى بسمد فصالح أهلَها، وانتهى إلى الرور وهي على جبل، فحصرهم أشهراً، ففتحها صلحاً، وبنى مسجداً. وسار إلى السكة ففتحها، ثم قطع نهر بَيَاس إلى الملتان، فقاتله أهلها، وانهزموا، ودخلوا المدينة فحصرهم محمد، وضيَّق على أهلها، فنزلوا على الحكم، فقَتل محمدٌ المقاتِلة وسَبَى الذرية، وأصاب ذهباً كثيراً، فسُمِّيت: الملتان (فرج بيت الذهب)[5].

قالوا: ونظر الحجاج، فإذا هو قد أَنفق على محمد ستين ألف ألف درهم، ووَجد ما حُمل إليه عشرين ومئة ألف ألف درهم، فقال: شَفينا غيظنا، وازددنا ستين ألف ألف درهم.

ومات الحجاج، فأتتْ محمداً وفاتُه، فرجع عن الملتان إلى (الرور) و (بغرور)، وكان قد فتحها، فأعطى الناس، ووجَّه إلى البَيْلمان جيشاً فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة، وسالَمَه أهل سرست، ثم أتى محمد الكيرج، فخرج إليه (دَوْهَر)، فقاتله، فانهزم العدو، وهرب دوهر، ويقال: قُتل، ونزل أهل المدينة على حكم محمد، فقَتَل وسَبَى، قال الشاعر:

نحن قتلنا داهراً ودوهراً
والخيل تردى مِنْسراً فمِنْسرا[6]

ومات الوليد بن عبد الملك، ووَلي سليمان بن عبد الملك، فاستعمل صالحَ بن عبد الرحمن على خراج العراق، وولّى يزيدَ بن أبي كبشة[7] السكسكي السند، فحَمَل محمدَ بن القاسم مقيداً مع معاوية بن المهلب، فقال محمدٌ متمثلاً:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسِداد ثغرِ

(٥) وفي «فتوح البلدان» ٥٣٨ والفرج الثغر.

(٦) المِنْسَر والمَنْسِر معاً، كمنبر ومسجد: جماعة الخيل.

(٧) كان في الأصل: يزيد بن أبي كثير، خطأ. راجع ترجمته رقم ١٧ وراجع أيضاً «فتوح البلدان» ٥٣٩ و «تاريخ الأمم» للخضري.

فبكى أهل الهند على محمد، وصوّروه بالكيرج، فحبسه صالح بواسط، فقال:

فلئن ثويتُ بواسطٍ وبأرضها
رهنَ الحديد مكبّلاً مغلولا[١]
فلرُبّ فتية[٢] فارسٍ قد رُعْتُها
ولرب قِرْنٍ قد تركتُ قتيلا

وقال:

لو كنت أجمعتُ الفرار لوُطِّئتْ
إناثٌ أُعِدّتْ للوغى وذكورُ
وما دخلتْ خيلُ السكاسك أرضَنا
ولا كان مِن عَكٍّ عليّ أميرُ
ولا كنت للعبد المزونيّ تابعاً
فيا لك دهرٌ: بالكرام عَثُورُ!

فعذَّبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قَتَلهم، وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح، وكان يرى رأي الخوارج.

وقال حمزة بن بيض الحنفي يرثي محمداً:

إن المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمدِ
ساس الجيوش لسبع عشرة حجةً
يا قرب ذلك سُؤدداً من مولدِ

وقال آخر:

ساس الرجالَ لسبع عشرة حجةً
ولِداتُه عن ذاك في أشغالِ

كانت وفاة الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين، ووفاةُ الوليد وتوليةُ سليمان في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وفي تلك السنة عُذِّب محمد وقُتل بواسط، كما في «الكامل» و «فتوح البلدان» وغيرهما من كتب الأخبار.

(١) ثويت: أقمت. المكبل: المقيد.

(٢) كذا، وفي تاريخ الخضري: قينة.

١٣ ـ محمد بن مصعب الثقفي

محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي.

قدم السند، وقاتل الهنود مع محمد بن القاسم الثقفي. وأَمّره محمد بن القاسم على سرية وبعثه إلى سَدُوسان في خيل وجمازات[٣]، فطلب أهلها الأمان والصلح، وسَفَر بينه وبينهم السُمنيَّة[٤]، فأمّنهم، ووَظَّف عليهم خَرجاً، وأخذ منهم رهناً، وانصرف إلى محمد بن القاسم ومعه من الزط أربعة آلاف.

ثم لما سار محمد بن القاسم إلى مِهران أَمر محمدَ بن مصعب على طليعته، فعبر مهران ما يلي بلاد «راسل» ملك قَصَّة (كچ) ولم نقف على أخباره بعد ذلك.

١٤ ـ محمد بن هارون النمري

محمد بن هارون بن ذراع النمري.

استعمله الحجاج بن يوسف الثقفي على ثغر الهند بعد مُجّاعة بن سِعْر التميمي الذي تُوفي بمكران. فغَزا محمد بن هارون، فغنم، وغلب على الثغر، وقام بالأمر خمس سنين.

ثم لما وَلّى الحجاجُ ابنَ عمه محمدَ بن القاسم الثقفي: كَتَب إلى محمد بن هارون يأمره أن يُجهِّز جنده ويستعد للخروج إلى بلاد السند، فلما أَتَى محمد بن القاسم مكران، وسار إلى قَنّزْبور: لَحِقه بها، وأتى أرمائيل وفتحها، وأقام زماناً يستريح بها، فمات، ودفن بقنبل، لعله سنة ثلاث وثمانين.

١٥ ـ معاوية بن الحارث العلافي

خرج على سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي لما ولي على ثغر الهند، فقتله، وغلب على الثغر.

(٣) جمع جماز وهو البعير السريع العدو. كذا وفي «فتوح البلدان» ٥٣٦ «حمارات» وهو الذي يبدو متَّجهاً.

(٤) السُّمَنيّة: قوم بالهند، دَهريّون، قائلون بالتناسخ. القاموس (سمن).

ثم لما ولي مُجّاعة بن سِعر التميمي على ذلك الثغر، غلب عليه ونزع من يده الأمر، فلحق بالسند واحتمى بداهرَ بن صِصَّة ملك السند، ولما قُتل داهر اجتمع بِـ (جَي سنگ بن داهر)، ثم استأمن محمدَ بن القاسم الثقفي، فأمَّنه.

١٦ ـ المغيرة بن أبي العاصي

المغيرة بن أبي العاصي بن بشر بن دُهمان الثقفي، المجاهد.

وجّهه أخوه عثمان بن أبي العاصي أمير البحرين وعُمان في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى (خَوْر الدَّيْبُل)، فلقي العدو فظَفر، كما في «فتوح البلدان».

وأخوه عثمان كان شريفاً عظيم القدر، ولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُمان والبحرين، وأقطعه الموضع المعروف بالبصرة بشطّ عثمان، كما في كتاب «الاشتقاق» لابن دريد.

وفي «تاريخ السند»: إن المغيرة قُتل بأرض الهند، ودفن بها.

١٧ ـ يزيد بن أبي كبشة

يزيد بن أبي كبشة السكسكي. كان من قواد الدولة الأموية.

استخلفه الحجاج بن يوسف الثقفي عند موته على الحرب والصلاة بالمِصرَيْن: البصرة والكوفة، فأقرّه الوليد. وقيل: بل الوليد هو الذي ولاّه، كما في «وفيات الأعيان».

ولما مات الوليد، وقام بالملك سليمان بن عبد الملك، استعمله على السند، فَحَمل محمدَ بن قاسم الثقفي مقيداً مع معاوية بن المهلب.

ومات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً، سنة ست وتسعين، كما في «الكامل».

● ● ●



الطبقة الثانية

في أهل الهند وفي من قصدها من أهل القرن الثاني

١ ـ أبو عطاء السندي

أبو عطاء السندي، الشاعر المشهور، مولى بني أسد، ثم مولى عمرو بن سماك بن حصين الأسدي.

اسمه: أفلح بن يسار، وقيل: مرزوق. كان سنديا عجمياً لا يُفصح، وفي لسانه عُجمة ولثغة، وكان إذا تكلم لا يُفهمَ كلامه، وكان مع ذلك من أحسن الناس بديهة، وأشدّهم عارضة وتقدّما.

وهو من مخضرمي الدولتين، مدح بني أمية وبني هاشم. وله في كتاب «الحماسة» مقاطيع نادرة، منها قوله:

ذكرتُكِ والخَطِّيّ يَخْطِر بيننا
وقد نَهِلتْ منا المُثقَّفة السُّمرُ

فوالله ما أدري وإني لصادقٌ
أداءٌ عَراني من حِبابكِ، أم سِحرُ

فإن كان سحراً، فاعذِريني على الهوى
وإن كان داءً غيرَه، فلكِ العذرُ

وقوله في ابن هُبيرة، وقد قتله المنصور بواسطٍ، بعد أن أمَّنه:

ألا إن عيناً لم تجُدْ يوم واسطٍ
عليك بجاري دمعها: لجَمُود

عشيةَ قام النائحات، وشُقِّقت
جيوبٌ بأيدي مأتمٍ[1] وخدودُ

فإن تُمْسِ مهجورَ الفناء فربّما
أقام به بعد الوفود وفودُ

فإنك لم تبعُد على متعهدٍ
بَلَى، كلُّ من تحت التراب بعيدُ!

وكان إذا تكلم لا يُفهَم كلامه، ولذلك قال لسليمان بن سليم الكلبي:

أعورتْني الرواة يا ابن سليم
وأَبَى أن يقم شِعري: لساني

وغلا بالتي أُجمجم[2] صدري
وجفاني لعُجمتي: سلطاني

وازدرتني[3] العيون إذ كان لوني
حالكاً[4] مجتوًى[5] من الألوان

فضربتُ الأمور ظهراً لبطن
كيف أحتال حيلةً لبيان[6]

وتمنيتُ أنني كنت بالشعر
فصيحاً وكان بعضَ بياني[7]

---

(١) المأتم: النساء يجتمعن في الخير والشر، وأصله من الأتم، وهو التقاء المسلكين، ومنه الأتوم في صفة النساء ـ التبريزي.

(٢) جمجم الكلام: إذا لم يُفصح به كأنه يتكلم في نفسه.

(٣) ازدراه: احتقره واستخف به، أصله «ازتراه»، قلب التاء دالاً.

(٤) من «حَلَك» إذا اشتد سواده.

(٥) اجتواه: كرهه.

(٦) وفي الأغاني: للساني.

(٧) وفي الأغاني: وبان بعض بناني.

ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابي
عند رحب الفناء والأعطان

فأعطِني[1] ما تضيق عنه رواتي
بفصيح من صالح الغلمان

يُفهِم الناسَ ما أقول من الشعر
فإن البيان قد أعياني

واعتمدني بالشكر يا ابن سليم
في بلادي وسائر البلدان

سترى فيهم قصائد غراً
فيك، سبّاقةً بكل لسان

فأمر له بوَصيف، فسماه «عطاء»، وتبنّاه، وتكنّى به، وروّاه شعره، فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يمتدحه، أو يجتديه، أو إنشاء شعر: أَمَره فأنشد.

قيل إنه قال يوماً: «وإلا منذ لدن ذاوتا وقلتَ: لِبّأَ، ما إنك تصنأ؟ يعني: وإنك منذ دعوتك، وقلتَ: لبيك، ما كنت تصنع؟

وشهد أبو عطاء حرب بني أمية وبني العباس، وآب مع بني أمية، وقُتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة، وانهزم هو.

وحكى المدائني أن أبا عطاء كان يقاتل المُسوِّدة، وقُدّامه رجل من بني مُرّة يكنى أبا زياد[2] قد عَثَر[3] فرسه، فقال لأبي عطاء: أعطني فرسك! أقاتل عني وعنك - وقد كانا أيقنا بالهلاك -، فأعطاه أبو عطاء فرسه، فركبه المُرّي ومضى على وجهه ناجياً، فقال أبو عطاء:

لعمرك إنني وأبا زياد[4]
لكالساعي إلى لمع السراب

رأيت لخيله يطغون[5] فيها
وفي الطمع: المذلةُ للرقاب

فما أغناك عن طلب ورزق
وما أغناك عن[6] سرق الدواب

وأشهد أن مُرّةَ حَيُّ صِدْقٍ
ولكن لستَ فيهم[7] في النصاب[8]

وعن المدائني أن يحيى بن زياد الحارثي وحماد الراوية، كان بينهما وبين مُعلّى بن هُبيرة ما يكون بين الشعراء من المنافسة، وكان مُعلّى يحب أن يطرح حماداً في لسان من يهجوه.

قال حماد: فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول: «زُجّ»، و «جرادة»، و «مسجد بني شيطان»؟ قال حماد: فقلت له: نعم، فما تجعل لي على ذلك؟ قال: بَغلتي بسَرْجها ولجامها! فأخذتُ عليه بالوفاء وَثْقاً[9].

وجاء أبو عطاء إلينا، فقال: مَرْهبا مَرْهبا! هيّاكم الله! - بلفظ الحاء هاءً، لأنه أعجمي -، فرحّبنا به، وعرضنا عليه العَشاء، فأبَى، وقال: هل عندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا، فشرب حتى احمرّت عيناه، فقلت له: يا أبا عطاء! كيف علمُك باللغز؟ فقال: جيد، فقلت:

أَبِنْ لي إنْ سألتُ أبا عطاء
يقيناً كيف علمك بالمعاني

فقال:

خبيرٌ آلِمٌ، فاسأل تزِدْني
بها تَبًّا وآياتِ المثاني

أراد: «عالم»، «تجدني»، «طَبًّا».

فقلت:

---

(١) كذا، وفي الأغاني: فاكفني.
(٢) وفي الأغاني: أبا يزيد.
(٣) وفي الأغاني: عقر.
(٤) وفي الأغاني: أبا يزيد.
(٥) وفي الأغاني: رأيت مخيلة فطمعت.
(٦) وفي الأغاني: فما أعياك من طلب ورزق - فما يعييك في...
(٧) وفي الأغاني: منهم.
(٨) يريد: لست في الأصل الكريم منهم.
(٩) وفي الأغاني: موثقاً.

فـمـا اسـم جـريـدة[1] فـي رأس رمـح
دُويـن الـكـعـب لـيـسـت بـالـسـنـان

فقال:

هـو الـزز الـذي إن بـات ذَيْـفـاً
لِـسَـدْرك، لـم تـزل لـك أَوْلـتـان

أراد: «الزج»، «ضيفاً»، «لصدرك»، «عولتان».

فقلت ـ فرّج الله عنك ـ:

فـمـا صـفـراء تُـدعـى أم عـوف
كـأن رجـيـلـتـيـهـا مِـنـجـلان

فقال:

أردتَ زَرادة وأَزُنّ زَنّـاً
بـأنـك مـا أردتَ سـوى لـسـانـي

أراد: «جرادة»، «أظن ظناً».

فقلت:

أتـعـرف مـسـجـداً لـبـنـي تـمـيـم
فـويـق الـمـيـل دون بـنـي أبـان

فقال:

بـنـو سَـيْـتـان دون بـنـي أبـان
كـكُـرب أبـيـك مـن أبْـد الـمُـدان

أراد: «شيطان»، «كقرب»، «عبد المدان».

قال حماد: فرأيت عينيه قد ازدادت حمرةً، ورأيت الغضب في وجهه، وتخوّفته، فقلت: يا أبا عطاء! هذا مقام المستجير بك، ولك نصف ما أخذتُه! قال: فاصدُقني! فأخبرتُه، فقال: أولَى لك، قد سلمتَ وقد سَلم لك جُعلك، خذه بورك لك فيه! فلا حاجة بي إليه، وانقلب نحو[2] مُعلّى بن هبيرة.

وحُكي أن أبا عطاء وَفد على نصر بن سيار، ثم أنشده:

(١) وفي الأغاني: حديدة.
(٢) وفي الأغاني: يهجو.

قـالـت بـريـكـة بـنـتـي وهـي عـائـنـة[3]:
إن الـمُـقـام عـلـى الإفـلاس تـعـذيـب
مـا بـال هَـمٍّ دخـيـلٍ بـات مـحـتـضـراً
رأسَ الـفـؤاد، فـنـومُ الـعـيـن تـرحـيـب[4]
إنـي دعـانـي إلـيـك الـخـيـر مـن بـلـدي
والـخـيـر عـنـد ذوي الإحـسـان[5] مـطـلـوب

فأمر له بأربعين ألف درهم.

ومات أبو عطاء بعد الثمانين والمئة، كما في «فوات الوفيات» للكتبي.

٢ ـ إسرائيل بن موسى البصري

إسرائيل بن موسى، أبو موسى البصري، نزيل الهند، كان من أتباع التابعين.

روى عن حسن البصري، وأبي حازم الأشجعي، ومحمد بن سيرين، ووهب بن مُنبِّه.

وعنه: سفيان الثوري، وابن عيينة، وحسين بن علي الجعفي، ويحيى بن سعيد القطان.

وثّقه أبو حاتم. وله في «صحيح البخاري» فَرْد حديثٍ مكرر في أربعة مواضع. وهو ثقة، من السادسة.

قال الحافظ في «تهذيب التهذيب»: قال ابن معين وأبو حاتم: ثقة، زاد أبو حاتم: لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس.

قلت: ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: كان يسافر إلى الهند، وقال الأزدي وحده: فيه لين. وليس هو الذي روى عن وهب بن منبه، ورَوَى عنه الثوري، ذاك شيخ يماني، وقد فَرّق بينهما غير واحد. انتهى.

وقد ذكره السمعاني في «الأنساب». قال: أبو موسى، إسرائيل بن موسى الهندي، بصري، كان ينزل الهند فنُسب إليها. روى عن الحسن، وروى عنه

(٣) وفي الأغاني: قالت تريكة بنتي وهي عاتبة.
(٤) وفي الأغاني: توجيب.
(٥) وفي الأغاني: الأحساب.

ابن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، والحسين الجعفي. قال يحيى بن معين: إسرائيل صاحب الحسن: ثقة. انتهى.

٣ ـ بسطام بن عمرو التغلبي

قدم الهند مع أخيه هشام بن عمرو في أيام المنصور الخليفة العباسي، وناب في الحكم عن أخيه بمنصورة مدة من الزمان. ولما سار هشام إلى بغداد استخلفه في بلاد السند كلها.

ومات هشام سنة **١٥٧**[١]، فوَلَّى المنصور: معبدَ بن الخليل على بلاد الهند، ومات معبد سنة **١٥٩**، فولَّى المهديّ بن المنصور العباسي: رَوْحَ بن حاتم، وعَزَله في تلك السنة، ثم وَلَّى بسطامَ بن عمرو التغلبي[٢]، فقام بالأمر أياماً، وعُزل سنة ستين ومئة، كما في «الكامل».

٤ ـ تميم بن زيد العتبي

وُلِّي على أرض السند في أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، سنة إحدى عشرة ومئة مكان الجنيد بن عبد الرحمن المُرِّي، فضَعُف ووهن، ومات قريباً من الدَّيْبل بماءٍ يقال له «ماء الجواميس».

وكان من أسخياء العرب، وَجد في بيت المال ثمانية عشر ألف ألف درهم طاطرية، فأسرع فيها.

وكان قد شَخَص معه في الجند فتًى من بني يربوع يقال له: «خنيس» ـ وأمه من طيء ـ إلى الهند، فأتت الفرزدقَ فسألته أن يكتب إلى تميم في إقفاله، وعاذتْ بقبر (غالبٍ) ـ أبيه ـ، فكَتَب الفرزدق إلى تميم:

أتتني فعاذتْ يا تميمُ بغالب
وبالحفرة السافي عليها ترابُها
فهبْ لي خنيساً واتخذْ فيه منّةً
لحوبةِ أُمّ ما يسوغ شرابُها
تميمَ بن زيد، لا تكوننْ حاجتي
بظهرٍ ولا يخفى عليك جوابها
فلا تُكثرِ الترداد فيها فإنني
مَلُولٌ لحاجاتٍ بِطَيٍّ طِلابُها

٥ ـ الجنيد بن عبد الرحمن المُرِّي

الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المُرِّي، أحد أجواد الدنيا.

ولاّه عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق على أرض السند، ثم ولاّه إياه هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي.

ولما وَلّى هشامُ خالدَ بن عبد الله القَسْري: العراق، كَتَب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبته سنة سبع ومئة، فأتى الجنيد الدَّيْبُل، ثم نزل شطّ مهران، فمنعه (جي سِنْگ بن داهر) العبور، وقال: إننا مسلمون، فقد استعملني الرجل الصالح ـ يعني عمرَ بن عبد العزيز ـ على بلادي ولستُ آمَنُك، فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج.

ثم إنهما ترادّا الرهن، وكَفَر جي سنگ وحارَبَه، وقيل: لم يحاربه ولكن الجنيد تجنَّى عليه، فأتى الهند فجمع وأخذ السفن واستعدّ للحرب، فسار الجنيد إليه في السفن أيضاً، فالتقَوا، فأُخذ جي سنگ أسيرا وقد جنحتْ سفينته، فقتله، وهرب أخوه چچْ ـ بالجيم الفارسية: مُعرّبة صَصْ ـ إلى العراق ليشكو غدر الجنيد، فخدعه الجنيد حتى جاء إليه فقتله.

وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نَقَضوا، فاتخذ كِباشاً نطّاحة، فصَكَّ بها حائط المدينة حتى ثَلَمه، ودخلها عنوة فقَتَل وسبى وغنم.

أما (الكِباش النطّاحة) فليس المراد هٰهنا بذلك: الغنم، وإنما هي آلة من خشب وحديد يَجُرّونها بنوع من الحبل، فتدقّ الحائط فينهدم، وقد بطَلت هذه الآلة كالمنجنيقات، لمّا حدثت الآلات النارية من المدافع وغيرها، كبطلان النَّبال.

ثم إن الجنيد وَجّه العمال إلى مَرْمد والمَندل ودَهْنَج وبَروص.

(١) وفي «الكامل» ٦/١٣ وتاريخ ابن جرير: إن هشاماً عُزل في هذه السنة. ولم يذكرا موته.

(٢) كذا، وفي «الكامل» ٦/٤٨ وتاريخ ابن جرير في حوادث سنة ستين ومئة: «وفيها عُزل بسطام بن عمرو عن السند، واستُعمل عليها روح بن حاتم».

وكان الجنيد يقول: القتل في الجزع أكبر منه في الصبر.

ووجّه جيشاً إلى آزين، ووجّه حبيب بن مرة في جيش إلى أرض مالْوَه فأغاروا على آزين، وغزوا بهرنمد فحرقوا ربضها، وفتح الجنيد البيلمان والجُزر، وحصل في منزله سوى ما أعطى زُوَّارَه: أربعين ألف ألف، وحَمَل مثلها، قال جرير:

أصبح زُوّار الجنيد وصحبُه
يُحيّون صَلْتَ الوجه جمّاً مواهبُه

وقال أبو الجويرية:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ
قومٌ بأحسابهم أو مجدهم، قَعَدوا
مُحَسَّدون على ما كان من كرمٍ
لا يَنزع الله منهم ماله حُسِدوا

قال ابن الأثير في «الكامل»: إن الجنيد أهدى لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم - امرأة هشام بن عبد الملك - قلادة من جوهر، فأعجبتْ هشاماً، فأهدى لهشام قلادة أخرى، فاستعمله هشام على خراسان سنة إحدى عشرة ومئة، وقاتل التتر غير مرة، وتزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، فغضب هشام وعَزَله، ووَلّى عاصماً خراسان، وكان الجنيد قد سَقَى بطنُه[1]، فقال هشام لعاصم: إنْ أدركتَه وبه رَمَقٌ فأزهق نفسه! فقدم عاصم وقد مات الجنيد، وكان بينهما عداوة، فأخذ عُمارةَ بن حريم - وكان الجنيد قد استخلفه، وهو ابن عمه - فعذَّبه عاصم، وعَذَّب عمال الجنيد.

وكان من الأجواد الممدوحين، غير محمود في حروبه. مات بمَرْو في سنة ست عشرة ومئة، فقال أبو الجويرية عيسى بن عصمة يرثيه:

هلك الجُود والجنيد جميعاً
فعلى الجُود والجنيد السلامُ
أصبحا ثاويَيْن في أرض مَرْوٍ
ما تغنّتْ على الغصون الحَمامُ
كنتما نزهة الكرام، فلمّا
مِتَّ: مات الندى ومات الكرام

ذكره الطبري في «تاريخ الأمم والملوك».

٦ - جَهْم بن زَحْر الجعفي

جَهْم بن زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سَعْنة - بمهملة ونون - الجعفي، أبو الأسود.

أمّره الحجاج على ستة آلاف من جند أهل الشام، وبعثه إلى الري ليجتمع بمحمد بن القاسم الثقفي ويسير معه إلى الهند، فلحق به وسار معه إلى ثغر الهند. فأتى مكران وأقام بها زماناً، ثم أتى قَنَّزبور ففتحها، ثم سار إلى الدَّيْبُل فقاتل أهلها قتالاً شديداً وفتحها.

وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أنْ وَجِّه مَنْ قِبَلك من أهل العراق إلى قتيبة، ووَجِّه إليهم جهم بن زحر بن قيس، فإنه في أهل العراق خيرٌ منه في أهل الشام، وكان محمد وادًّا لجهم بن زحر، فبعث سليمانَ بن صعصعة وجَهْمَ بن زحر، فلما ودَّعه جهمٌ بكى وقال: يا جهم! إنه للفراقُ، قال: لا بد منه.

قال: وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين، فغزا مع قتيبة بن مسلم الشاش وكاشْغَر، وغزا الصين. وأمّره قتيبةُ على سبعة آلاف من أهل الكوفة. ثم لما تولّى الخلافةَ سليمانُ بن عبد الملك، وخلعه قتيبة، ودعا الناس إلى خلعه: قاتله قتالاً شديداً، ولما غشي القوم الفسطاط قطعوا أطنابه، فقال جهم بن زحر لسعد: انزل فحُزَّ رأسه! فنزل سعد فاحتزّ رأسه، فقال حضين بن المنذر:

وإن ابن سعد وابن زحر تعاورا
بسيفَيْهما رأس الهمام المُتوَّجِ
عشية جئنا بابن زحرٍ وجئتم
بأدغم مرقوم الذراعين دَيْزَجِ[2]

---

(١) سَقَى بطنُه: اجتمع في بطنه سائلٌ مَصْليّ لا يكاد يَبرأ منه. المعجم الوسيط ١/ ٤٣٧.

(٢) الدَّيْزَج من الخيل: مُعرّب (دِيزَه) بالكسر، ولمّا عرّبوه فتحوه. القاموس المحيط، باب الجيم، حرف الدال.

أصمّ غُداني كأن جبينه
لطاخة نِقْسٍ في أديمٍ مُمجمجِ

وكان ذلك سنة ست وتسعين.

ووَلَّى سليمان بن عبد الملك يزيدَ بن المهلّب خراسان، فلازمه جهم بن زحر، وكان مِن يزيدَ بمكان، فغزا معه جرجان وأبلى فيه بلاءً حسناً. ولما فتحها الله سبحانه، ولاّه يزيد على جرجان، فأقام بها زماناً.

ولما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص على خراسان: أَخذ الذين وَلُوا ليزيد بن المهلَّب، فحبسهم، وكان فيهم جهم بن زحر، فحُمل على حمار من (قَهَنْدَزمَرْو)[1] فمرُّوا به على الفيض بن عمران، فقام إليه فوَجَأ أنفه، فشتمه جهم، فغضب سعيد على جهم فضربه مئتَيْ سوط.

وأَمَرَ سعيدٌ بجهم والذين كانوا في السجن، فدُفعوا إلى ورقاء بن نصر الباهلي، فقَتَلوا في العذاب جهماً، وكان ذلك سنة اثنتين بعد المئة، كما في «تاريخ الأمم والملوك» للطبري.

٧ ـ حبيب بن المهلّب العتكي

حبيب بن المهلب بن أبي صُفرة العَتَكي، أحد رجال الدولة الأموية.

استعمله سليمان بن عبد الملك على بلاد السند سنة ست وتسعين، فقَدِمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم، ورجع جي سنگ بن داهر إلى (برهمناباد)، فنزل حبيب على شاطىء مهران، فأعطاه أهل الرور الطاعة، وحارب قوماً فظفر بهم.

ثم مات سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين، ووَلي مُلكَه عمرُ بن عبد العزيز، فعزل حبيب عن السند سنة مئة، كما في «الكامل».

٨ ـ حَكَم بن عوانة الكلبي

وُلِّي على أرض السند في أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، بعد ما تُوفِّي بها تميم بن زيد العتبي.

ولاّه خالد بن عبد الله القَسْري أمير العراق، وقد كَفَر أهل الهند إلا أهل (قَصّ ـ كَجّ ـ)، فلم يَرَ للمسلمين ملجأً يلجؤون إليه، فبَنَى من وراء البحيرة مما يلي الهند مدينةً سماها «المحفوظة»، وجعلها مأوى لهم.

وكان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي مع الحكم، وكان يُفوِّض إليه ويُقلِّده جسيم أموره وأعماله، فأغزاه من المحفوظة، فلما قدم عليه وقد ظفر، أَمَره فبَنَى دون البحيرة مدينة وسماها «المنصورة»، فهي التي ينزلها العمال بعده. وخلَّص الحكم ما كان في أيدي العدو مما غلبوا عليه، ورضي الناس بولايته.

وكان خالد بن عبد الله القَسْري أمير العراق يقول: واعجباً! وَلّيتُ فتى العرب ـ يعني تميماً ـ فرُفِض وتُرِك، ووَلّيتُ أبخل العرب فرُضي به ـ انتهى.

وقُتل الحكم في أرض السند سنة اثنتين وعشرين ومئة.

٩ ـ حميم بن سامة السامي

كان من رجال محمد بن الحارث العلافي، انتقل معه إلى السند، واحتمى بداهر وسكن بالرور.

ولما فَتَح محمد بن القاسم الثقفي السند، خرج إلى برهمناباد واجتمع بجي سنگ، ولما خرج جي سنگ إلى كشمير سار معه إلى تلك البلاد. ولما أقطع صاحبُ كشمير عمالة شاكلها لجي سنگ: استعمل جي سنگ حميماً على تلك العمالة. ولما مات جي سنگ ولم يترك أحداً يَرِثه: استقلّ حميم بإقطاعه وتداول أولاده ملكه إلى قرون متطاولة، كما في «تاريخ السند».

(١) قَهَنْدَز: قال ياقوت: «بفتح أوّله وثانيه وسكون النون وفتح الدال وزايٍ، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة. وأكثر الرواة يُسمّونه: قُهُنْدِز، وهو تعريب (كُهَن دِز) معناه: القلعة العتيقة... لأن (كُهَن) هو العتيق. و (دِز) قلعة. ثم كثُر حتى اختص بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مُفردةً في غير مدينة مشهورة».
قال: «وهو في مواضع كثيرة» فذكر منها: «قهندز مَرْو». معجم البلدان ٤/٤٧٥.

١٠ ـ الربيع بن صَبِيح السعدي

الشيخ المحدث: الربيع بن صبيح السعدي، أبو بكر ـ وقال: أبو حفص ـ البصري، مولى بني سعد بن زيد مناة.

روى عن الحسن البصري، وحُميد الطويل، ويزيد الرقاشي، وأبي الزبير، وأبي غالب صاحب أبي أمامة، وثابت البُناني، ومجاهد بن جَبْر وغيرهم.

وعنه: سفيان الثوري، ووكيع، وابن مهدي، وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان، وآدم بن أبي إياس، وعاصم بن علي، وعدة.

وكان صالحاً، صدوقاً، عابداً، مجاهداً، ضعَّفه غير واحد من العلماء. وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة مستقيمة، ولم أر له حديثاً منكراً جداً، وأرجو أنه لا بأس به ولا بروايته. وقال العقيلي في «الضعفاء»: بصري سيد من سادات المسلمين. وقال العجلي: لا بأس به، وقال الفلاس: ليس بالقوي، وقال الحاكم: ليس بالمتين عندهم، وحَكَى بشر بن عمر عن شعبة أنه عَظَّم الربيع بن صبيح، وقال ابن حبان: كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، وكان يُشبَّه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته، فكان يَهِم فيما يروي حتى وقع في حديثه المناكير من حيث لا يشعر، لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد. وذكر الرامَهُرْمزي في «الفاصل» أنه أول من صَنَّف بالبصرة. انتهى ملخصاً من «تهذيب التهذيب».

قال الجلبي في «كشف الظنون» بعد ذكره في أول مَنْ صَنَّف في الإسلام: واعلم أنه اختلف في أول من صَنَّف، فقيل: أول من صَنَّف: الإمام عبد الملك بن عبد العزيز البصري، وقيل: أبو النصر سعيد بن أبي عروبة، ذكرهما الخطيب. وقيل: ربيع بن صبيح، قاله أبو محمد الرامهرمزي. ثم سفيان بن عيينة، ثم صنَّف الموطأ: مالك بن أنس بالمدينة، ثم عبد الله بن وهب بمصر، ومَعْمَر بن راشد وعبد الرزاق باليمن، وسفيان الثوري ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة، وحماد بن سلمة ورَوْح بن عُبادة بالبصرة، وهُشَيم بواسط، وعبد الله بن المبارك بخراسان. انتهى.

قال الطبري في «تاريخ الأمم والملوك»: إنه خرج غازياً إلى السند فيمن خرج مع عبد الملك بن شهاب المِسْمَعي من مُطوِّعة أهل البصرة، فمات بها. انتهى.

وكانت وفاته في سنة ستين ومئة بأرض السند، كما في «المغني».

١١ ـ سفيح بن عمرو التغلبي

دخل أرض السند مع صِنْوه هشام بن عمرو، وكان بها إذ خرجتْ خارجةٌ ببلاد السند، فوجَّهه هشام فخرج في جيشه.

فبينا هو يسير إذ لقي عبدَ الله بن محمد العلوي يتنزَّه على شاطىء مهران، فمضى يريده، فقال أصحابه: هذا ابن رسول الله ﷺ، وقد تركه أخوك متعمداً مخافة أن يبوء بدمه فلم يقصده، فقال: ما كنت لأَدع أَخْذه، ولا أدع أحداً يحظى بأخذه أو قتله عند المنصور. فقَتَل عبدَ الله ـ بقصةٍ شرحتُها في ترجمة عبد الله، وترجمة أخيه هشام ـ.

١٢ ـ عبد الله بن محمد العلوي

جدُّنا الكبير: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي المشهور بعبد الله (الأشتر) بن محمد (النفس الزكية) بن عبد الله (المَحْض).

وهو أول من وَطِىء أرض الهند من أهل بيت النبي ﷺ فيما أظن.

وُلد ونشأ بالمدينة، وتفقّه على أبيه وجدِّه، وقدم الهند في أيام المنصور العباسي.

وسبب قدومه: أن والده محمد بن عبد الله لما خرج على المنصور، وجَّهه إلى البصرة، فاشترى منها خيلاً عِتاقاً ليكون سبب وصولهم إلى عمر بن حفص العتكي، وكان والياً على أرض السند من قِبَل المنصور، وكان ممن بايع محمداً من قواد المنصور، وكان يتشيع.

فساروا في البحر إلى السند، فأمرهم عمر أن يُحضِروا خيلهم، فقال بعضهم: إنا جئناك بما هو خيرٌ من الخيل وبما لك فيه خير الدنيا والآخرة، فأعطنا

الأمان! إما قبلتَ منّا، وإما سترتَ وأمسكتَ عن أذانا حتى نخرج عن بلادك راجعين! فأمّنه، فذكر له حالَهم وحالَ عبد الله بن محمد، أرسله أبوه إليه، فرحَّب بهم وبايعهم، وأنزل عبدَ الله عنده مختفياً، ودعا كبراء أهل البلد وقواده وأهل بيته إلى البيعة فأجابوه، فقطع ألويتهم البِيْض، وهيأ لُبْسَه من البياض ليخطب فيه، وتهيأ لذلك يوم الخميس.

فوصله مركبٌ لطيف فيه رسولٌ من امرأة عمر بن حفص: تُخبره بقتل محمد بن عبد الله، فدخل على عبد الله فأخبره وعزّاه، فقال له عبدُ الله: إن أمري قد ظهر، ودمي في عُنقك، فقال عمر: قد رأيتُ رأياً، هٰهنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كبير المملكة، وهو على شوكة أشد تعظيماً لرسول الله ﷺ، وهو وَفِيٌّ، أُرسل إليه وأعقد بينك وبينه عقداً فأُوجّهك إليه، فلستَ تُرام معه، ففعل ذلك.

وسار إليه عبد الله، فأكرمه وأظهر بِرَّه، وتسللتْ إليه الزيدية حتى اجتمع معه أربع مئة إنسان من أهل البصائر، فكان يركب فيهم ويتصيد في هيئة الملوك وآلاتهم.

فلما انتهى ذلك إلى المنصور بَلَغ منه ما بلغ، وكتب إلى عمر بن حفص يخبره ما بلغه، فقرأ الكتابَ على أهله وقال لهم: إنْ أقررتُ بالقصة عَزَلني، وإن صرتُ إليه قتلني، وإن امتنعتُ حاربني، فقال له رجل منهم: أَلْقِ الذنب عليّ، وخذني وقيِّدني! فإنه سيكتب في حَمْلي إليه، فاحملني! فإنه لا يُقدم عليّ، لمكانك في السند وحال أهل بيتك بالبصرة، فقال عمر: أخاف عليك خلاف ما تظن، قال: إن قُتلتُ، فنفسي فداء لنفسك! فقيَّده وحبسه وكتب إلى المنصور بأمره، فكتب إليه المنصور يأمره بحمله، فلما صار إليه ضرب عنقه.

ثم استعمل على السند هشام بن عمرو التغلبي، وأمر أن يكاتب ذلك الملك بتسليم عبد الله بن محمد، فسار هشام إلى السند فملكها، وكره أَخْذَ عبد الله بن محمد، وأقبل يُرِي الناس أنه يكاتب ذلك الملك، واتصلت الأخبار بالمنصور بذلك، فجعل يكتب إليه يستحثه.

فبينا هو كذلك: إذ خرجت خارجةٌ ببلاد السند، فوجَّه هشامٌ أخاه سفيحاً[1] فخرج في جيشه وطريقُه بجنبات ذلك الملك، فبينا هو يسير إذْ غَبَرةٌ قد ارتفعت، فظنّ أنهم مقدمة العدو الذي يقصده، فوجَّه طلائعه، فزحفتْ إليه، فقالوا: هذا عبد الله بن محمد العلوي يتنزَّه على شاطىء مهران! فمضى يريده فقال نصحاؤه: هذا ابن رسول الله ﷺ! وقد تركه أخوك متعمداً مخافة أن يبوء بدمه فلم يقصده، فقال: ما كنت لأدع أَخْذه، ولا أدع أحداً يحظى بأخذه أو قتله عند المنصور.

وكان عبد الله في عشرةٍ، فقَصَده، فقاتله عبد الله، وقاتل أصحابُه حتى قُتِل وقُتِلوا جميعاً، فلم يُفلِت منهم مُخبِرٌ، وسقط عبد الله بين القتلى فلم يشعر به، وقيل: إن أصحابه قذفوه في مهران حتى لا يُحمَل رأسه، فكتب هشام بذلك إلى المنصور، فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك، فحاربه حتى ظفر به، وقَتَله، وغلب على مملكته.

وكان عبد الله قد اتخذ سراري، فأولد واحدةً منهن ولداً، وهو محمد بن عبد الله الذي يقال له: ابن الأشتر، فأخذ هشام السراري والولد معهن، فسيّرهنّ إلىٰ المنصور، فسيّر المنصور الولد إلى عامله بالمدينة، وكتب معه بصحة نسبه وتسليمه إلى أهله، وكان ذلك سنة إحدى وخمسين ومئة كما في «الكامل».

١٣ ـ عبد الملك بن شهاب المِسْمَعي

سيَّره المهدي بن المنصور العباسي إلى بلاد الهند سنة تسع وخمسين ومئة، وفَرَض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد، وأشخصهم معه ومن المُطوِّعة الذين كانوا يلزمون المرابطات: ألفاً وخمس مئة رجل.

ووجَّه معه قائداً من أبناء أهل الشام يقال له: ابن الحباب المَذْحِجي، في سبع مئة من أهل الشام، وخرج معه من مُطوِّعة أهل البصرة بأموالهم: ألفُ رجل فيهم، فيما ذكر الربيع بن صَبِيح، ومن

---

(١) وفي «الكامل» ٥/٥٩٧ سَفَنَّجاً.

الأساوريين والسبابجة أربعة آلاف رجل.

فولّى عبدُ الملك بن شهاب: المنذرَ بن محمد الجارودي، الألفَ الرجل المُطوِّعة من أهل البصرة، وولّى ابنه غسان بن عبد الملك: الألفَيْ الرجل الذين من فرض البصرة، وولّى ابنه عبد الواحد بن عبد الملك: الألف والخمس مئة الرجل من مُطوِّعة المرابطات، وأفرد يزيدَ بن الحباب في أصحابه.

فخرجوا، وكان المهدي وجّه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم، فمضوا لوجههم، وساروا في البحر حتى نزلوا على باربد سنة ستين ومئة، فلما نازلوها حصروها من نواحيها، وحرَّض الناسُ بعضَهم بعضاً على الجهاد، وضايقوا أهلها، ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوةً، واحتمى أهلها بالبد (بت خانه) الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم، فأُحرق بعضهم وقُتل الباقون، واستُشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً، وأفاءها الله عليهم، فهاج عليهم البحر، فأقاموا إلى أن يَطِيب، فأصابهم مرض في أفواههم، فمات منهم نحو من ألف رجل منهم الربيع بن صَبِيح، ثم رجعوا فلما بلغوا ساحلاً من فارس يقال له «بحر حمران» عَصَفَتْ بهم الرِّيح ليلاً، فانكسر عامة مراكبهم، فغرق البعض ونجا البعض، ووصل عبد الملك إلى بغداد، فولاّه المهدي بن المنصور على بلاد السند سنة إحدى وستين ومئة، وعزله بعد سبعة عشر يوماً[1] من قدومه أرض الهند، كما في «الكامل».

١٤ ـ عمر بن حفص العتكي

عمر بن حفص بن عثمان بن قَبِيصة بن أبي صفرة العتكي، المعروف بـ «هَزار مَرْد» ـ يعني: ألف رجل ـ.

كان من قواد المنصور ممن بايع محمدَ بن عبد الله العلوي المشهور بالنفس الزكية.

استعمله المنصور على السند والهند سنة اثنتين وأربعين ومئة، فقَدِمها، فحاربه عيينة بن موسى التميمي، فسار حتى وَرَد السند فغلب عليها، وقام بالملك.

وفي أيامه قدم الهندَ عبدُ الله بن محمد بن عبد الله العلوي ـ وقد تقدم خبره في ترجمته ـ، وقد عزل المنصور في تلك القصة عمرَ بن حفص عن السند سنة إحدى وخمسين ومئة، واستعمله على إفريقية.

فسار إلى قَيْروان في خمس مئة فارس، فاجتمع وجوه البلد، فوَصَلهم وأحسن إليهم، وأقام والأمور مستقيمةٌ ثلاث سنين.

فسار إلى الزّاب لبناء مدينة «طبنة» بأمر المنصور، واستَخلف على القيروان حبيبَ بن حبيب المهلبي، فخَلَتْ إفريقية من الجند، فثار بها البربر واجتمعوا بطرابلس، ووَلّوا عليهم أبا حاتم الإباضي، وعمّت الفتنة البلاد كلها.

ورجع عمر إلى القيروان فحَصَرُوه، وطال الحصار حتى أكلوا دوابّهم، وفي كل يومٍ يكون بينهم قتال وحرب.

فلما ضاق الأمر بعُمر وبمن معه، فعزم على إلقاء نفسه إلى الموت، فأتى الخبرُ أن المنصور قد سيَّر إليه يزيدَ بن حاتم المهلبي في ستين ألف مقاتل، وأشار عليه مَنْ عنده بالتوقف عن القتال إلى أن يَصِل العسكر، فلم يفعل، وخرج وقاتل، فقُتل في منتصف ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومئة، كما في «الكامل».

١٥ ـ عمرو بن محمد الثقفي

عمرو بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، الذي كان والدُه فَتح بلاد السند.

وكان مع الحكم بن عوانة الكلبي حين وُلّي بلادَ السند، فكان يُفوِّض إليه ويقلّده جسيم أموره وأعماله، فلما قُتل الحكم سنة اثنتين وعشرين ومئة، قام بالمُلك، ورَضِي بولايته هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، فحارب العدوّ وظفر، ثم بَغَى عليه مروان بن يزيد بن المهلّب، فقَتَله.

ولما مات هشامٌ ووَلِي بعده يزيد بن الوليد: عَزَل

(١) وفي «الكامل»: ثمانية عشر يوماً.

عمرَو بن محمد سنة خمس وعشرين ومئة.

١٦ ـ عمرو بن مسلم الباهلي

استعمله عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح، على بلاد السند والهند سنة مئة.

وكَتَب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد كانت بلغتْهم سيرتُه ومذهبه. فأسلم جيْ سنگ والملوك، وتسمّوا بأسماء العرب. وغزا عمرو بن مسلم بعض الهند فظفر.

وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عُمر ويزيد بن عبد الملك، فلما كان أيام هشام بن عبد الملك ارتدّوا عن الإسلام، وكان سببه ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وقدم بنو المهلب إلى السند هاربين في أيام يزيد بن عبد الملك، فوَجَّه إليهم هلال بن أحوز التميمي، فقَتَل مدرك بن المهلب بقَنْدابيل (قَنْدهار)، وقَتَل المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بني المهلب، وقَتَل معاوية بن يزيد في آخرين، كما في «فتوح البلدان».

١٧ ـ عيينة بن موسى التميمي

عيينة بن موسى بن كعب التميمي. كان والده على شُرَط السفاح، فاستخلف مكانه المسيَّب بن زهير، وقدم السند وقدم معه ولده عيينة.

ولما سار أبوه إلى العراق استخلفه على السند، وخلعه المنصور سنة اثنتين وأربعين ومئة.

وسبب خلعه أن أباه استخلف المسيب بن زهير على الشُّرَط، فلما مات موسى: أقام المسيبُ على ما كان يَلِي من الشُّرَط، وخاف أن يُحضِر المنصور عيينةَ فيُولِّيه ما كان إلى أبيه، فكَتَب إليه ببيت شعرٍ ولم ينسُب الكتاب إلى نفسه:

فـأرضَـك أرضَـك، إنْ تـأتِـنـا
تَـنَـمْ نـومـةً لـيـس فـيـهـا حـلـم

فخلع الطاعة. فلما بلغ الخبرُ إلى المنصور سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة، ووجّه عمر بن حفص العتكي عاملاً على السند والهند، فحاربه عيينة، فسار حتى ورد السند فغلب عليها، كما في «الكامل».

١٨ ـ ليث بن طريف الكوفي

استعمله المهدي بن المنصور العباسي على بلاد السند ـ وكان مُولَّداً[١] من مواليه ـ فقام بالأمر مدة من الزمان.

وخرج عليه الزُّطّ (جات) سنة خمس وستين ومئة، فسيَّر إليه المهدي جيشاً كثيفاً، فقاتل الزطَّ وقتلهم. وعزله هارون بن المهدي، لعله سنة سبعين ومئة.

١٩ ـ محمد بن عبد الله العلوي

السيد الشريف: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي المديني، المشهور بابن الأشتر.

وُلد بأرض السند، ولما قُتل والده عبد الله: سيَّره هشام بن عمرو التغلبي أمير السند إلى المنصور الخليفة العباسي، فسيَّره المنصور إلى عامله بالمدينة وكَتَب معه بصحة نَسَبِه وتسليمِه إلى أهله سنة إحدى وخمسين ومئة، كما في «الكامل».

وقال جمال الدين أحمد بن علي الداودي في «عمدة الطالب»: قال الشيخ أبو نصر البخاري: قُتل عبد الله الأشتر بالسند، وحُملت جاريته وصبيٌّ معها يقال له «محمد» بعد قتله، وكَتَب أبو جعفر المنصور إلى المدينة بصحة نسبه، وقال: كَتَبَ إلى حفص بن عمر المعروف بـ «هَزَار مَرْد» أمير السند، بذلك.

ثم قال الشيخ أبو نصر البخاري: ورُوي عن جعفر الصادق أنه قال: كيف يثبت النسب بكتابة رجل إلى رجل! ذكر ذلك أبو اليقظان ويحيى بن الحسن العقيقي وغيرهما، والله أعلم. ثم قال أبو نصر البخاري: وقال آخرون: أَعقَب، وصحَّ نسبُه. انتهى.

أما ما نَقَل جمال الدين عن جعفر الصادق، فيقدح فيه: أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ وكانت الوقعة في سنة ١٥١، فلا تصح نسبة هذا القول إلى جعفر الصادق.

---

(١) كذا، ولعله: مولى.

ووَلَد محمد بن عبد الله الأشتر خمسة بنين: طاهراً، وعليا، وأحمد، وإبراهيم، والحسن الأعور الجواد.

وعَقِبُ محمد بن عبد الله الأشتر ـ الذي لا خلاف فيه ـ: من الحسن الأعور الجواد، وكان أحدَ أجواد بني هاشم الممدوحين المعدودين ويكنى أبا محمد، قتيل، قتله طيء في ذي الحجة سنة ٢٥١. وقال ابن الشعراني النسابة: قُتل الحسن أيام المعتز.

وَعَقِبُ الحسن الأعور الجواد من أربعة رجال، وهم: أبو جعفر محمد نقيب الكوفة، وأبو عبد الله الحسين نقيب الكوفة أيضاً، وأبو محمد عبد الله، والقاسم. وذكر ابن طباطبا أبا العباس أحمد بن الحسين الأعور أيضاً.

وكان أعقب عبدُ الله بن الحسن الأعور من ثلاثة رجال: علي والقاسم وأحمد، كما في «عمدة الطالب».

أما القاسم بن عبد الله بن الحسن الأعور بن محمد بن عبد الله الأشتر، فخرج من عَقِبه طيِّبٌ كثير، منهم شيخ الإسلام قطب الدين محمد بن أحمد بن يوسف بن عيسى بن حسن بن الحسين بن جعفر بن قاسم، المُتوفَّى بمدينة كَرَهْ سنة ٦٧٧، وهو من أجدادنا، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

٢٠ ـ مروان بن يزيد المهلبي

قدم الهند هارباً في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي، وسكن بأرض السند، ثم بَغَى على عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي، فقتله عمروٌ في أيام هشام بن عبد الملك.

٢١ ـ مَعْبد بن الخليل التميمي

استعمله المنصور العباسي على السند سنة سبع وخمسين ومئة، وكان بخراسان. كَتَب إليه بولايته، فسار إلى بلاد السند وفَتَح ما استغلق.

ومات بالسند سنة تسع وخمسين ومئة في أيام المهدي بن المنصور، كما في «الكامل».

٢٢ ـ مُغَلِّس العبدي

استعمله عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم الخراساني على أرض السند، فأخذ على طَخَارستان، وسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند، فلَقِيه منصورٌ، فقتله وهزم جنده نحو سنة ثلاث وأربعين ومئة.

٢٣ ـ منصور بن جمهور الكلبي

منصور بن جمهور الكلبي، أحد الستة الذين قَتَلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي.

استعمله يزيد بن الوليد على العراق سنة ست وعشرين ومئة. ولم يكن منصور من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية، ولأنه شهد قتل الوليد، وقال له يزيد لما ولاّه العراق: اتق الله! واعلم أني قتلتُ الوليد، لفِسقِه ولِمَا أَظهر من الجور، فلا تركب مِثْلَ ما قتلناه عليه!

فقام بالمُلك مدةً قليلة، عزله يزيد في تلك السنة، فكان يثير الفتن في نواحي الأرض، ولمّا رأى أنه لا ملجأ له، قدم الهند مع أخيه منظور سنة ثلاثين ومئة، وقاتل يزيد بن عرار، فظفر به، وقتله، واستقلّ بأرض السند.

فلما كان أول الدولة العباسية، وَلَّى أبو مسلم عبدُ الرحمن بن مسلم: مُغلِّساً العبدي ثغر السند، وأخذ على طخارستان، وسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند، فلَقِيه منصورٌ، فقتله وهزم جنده.

فلما بلغ أبا مسلم ذلك عَقَد لموسى بن كعب التميمي، ثم وجَّهه إلى السند في اثني عشر ألفاً، فلما قَدِمها كان بينه وبين منصور بن جمهور (مِهْران)، ثم التقيا فهَزَم منصوراً وجيشه، وقَتَل منظوراً أخاه، وخرج منصور مفلولاً هارباً حتى ورد الرمل، فمات عطشاً في الرمال. وقد قيل: أصابه بطنه فمات.

وسمع خليفته على السند بهزيمته، فرحل بعيال منصور وثقله فدخل بهم بلاد الخزر، وكان ذلك سنة أربع وثلاثين ومئة، كما في «الكامل».

٢٤ ـ منظور بن جمهور الكلبي

قَدِم أرض السند مع أخيه منصور بن جمهور سنة ثلاثين ومئة، وقاتل معه بها، وقُتل سنة أربع وثلاثين ومئة، قتله موسى بن كعب التميمي، كما تقدم.

٢٥ ـ موسى بن كعب التميمي

عَقَد له أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، ثم وجَّهه إلى ثغر السند لقتال منصور بن جمهور الكلبي، وكان على شُرط السفاح، فاستخلف مكان المسيّب بن زهير، وقدم السند في اثني عشر ألفاً سنة أربع وثلاثين ومئة وكان بينه وبين منصور بن جمهور: (مهران)، ثم التقيا فهَزم منصوراً وقَتَل أخاه منظوراً، وخرج منصور مفلولاً هارباً حتى ورد الرمل فمات عطشا.

فقام موسى بالـمُـلك، ورَمَّ المنصورة، وزاد في مسجدها، وغزا وافتتح، ثم سار إلى العراق واستَخلَف ابنه عيينة بن موسى على السند، كما في «الكامل».

وتُوفّي سنة إحدى وأربعين ومئة على قول الطبري.

٢٦ ـ موسى بن يعقوب الثقفي

موسى بن يعقوب بن محمد بن شيبان بن عثمان الثقفي، الفقيه.

ولاّه القضاءَ والخطابةَ محمدُ بن القاسم الثقفي بالرور سنة ثلاث وتسعين، وتداول أولاده القضاء بها إلى قرون متطاولة. وكل واحد منهم كان يلقّب بِـ (الصدر الإمام الأجلّ بدر الملة والدين سيف السنة ونجم الشريعة).

٢٧ ـ نَجِيح بن عبد الرحمن السندي

الفقيه العالم: نَجِيح بن عبد الرحمن، أبو معشر السندي، صاحب «المغازي»، ذكره السمعاني في «الأنساب»، والذهبي في «طبقات الحفاظ». وفي «تهذيب التهذيب»: قال السمعاني: إنه كان مولى أم سلمة من أهل المدينة وأم موسى بن مهدي، يَروي عن محمد بن عمرو، ونافع، وهشام بن عروة. روى عنه العراقيون.

قال أبو نُعيم: كان أبو معشر سندياً، وكان رجلاً ألكن، يقول: حدثنا محمد بن قعب ـ يريد: ابن كعب ـ، مات في سنة سبعين ومئة، وصلّى عليه هارون الرشيد في السنة التي استُخلف فيها، ودُفن في المقبرة الكبيرة ببغداد.

وكان ممن اختلط في آخر عمره وبقي ـ قبل أن يموت ـ سنتين في تغيّر شديد لا يدري ما يُحدِّث به، وكثُر المناكير في روايته من قِبَل اختلاطه، فبطل الاحتجاج به. انتهى.

وقال الذهبي في «طبقات الحفاظ»: إنه كاتب امرأةً من بني مخزوم، فأدّى إليها، فاشترت أم موسى بنت المنصور ولاءه فيما قيل. وكان من أوعية العلم على نقصٍ في حفظه.

رأى أبا أمامة بن سهل، ورَوَى عن محمد بن كعب القُرَظي، وموسى بن يسار، ونافع، وابن المنكدر، ومحمد بن قيس، وطائفة. ولم يدرك سعيد بن المسيّب وذلك في «جامع» أبي عيسى الترمذي، وأظنه «سعيد المقبُري» فإنه يُكثر عنه.

حدَّث عنه ابنه محمد، وعبد الرزاق، وأبو نُعيم، ومحمد بن بكار، ومنصور بن أبي مُزاحم، وطائفة.

قال ابن معين: ليس بالقوي، وقال أحمد بن حنبل: كان بصيراً بالمغازي وكان لا يقيم الإسناد، وقال أبو نُعيم: كان أبو معشر سندياً ألكن يقول: حدثنا محمد بن قعب ـ يريد: كعب ـ، وقال أبو زرعة: صدوق، وقال النسائي: ليس بالقوي. قلت[1]: قد احتج به النسائي ولم يخرج له الشيخان.

وكان أبيض أزرق سميناً، أشخصه معه المهدي إلى العراق وأَمَر له بألف دينار، وقال: تكون بحضرتنا فتُفقِّه مَنْ حولنا. انتهى.

وله من الكتب: كتاب المغازي، ذكره ابن النديم في «فهرسته». تُوفّي أبو معشر في رمضان سنة سبعين ومئة.

---

(١) القائل هو الذهبي.

٢٨ ـ نصر بن محمد الخزاعي

نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي.

استعمله المهدي بن المنصور العباسي على بلاد السند سنة إحدى وستين ومئة، مكان رَوْح بن حاتم، وشَخَص إليها حتى قَدِمها، ثم عُزل وولي مكانه محمد بن سليمان، فوَجَّه إليها عبد الملك بن شهاب المسمعي فقَدِمها على نصر بغتةً، ثم أذن له في الشخوص، فشَخَص حتى نزل الساحل على ستة فراسخ من المنصورة، فأتى نصر بن محمد عهده على السند، فرجع إلى عمله، وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر يوماً، فلم يَعْرِض له، فرجع إلى البصرة، فاستقل نصر بن محمد على ولايته زماناً. ومات بالسند سنة أربع وستين ومئة، كما في «تاريخ الأمم والملوك».

٢٩ ـ وداع بن حميد الأزدي

استعمله يزيد بن المهلّب على (قَنْدابِيل) من أعمال السند، وقال له حين خرج لقتال مَسْلمة بن عبد الملك: إني سائر إلى هذا العدو، ولو قد لقيتُهم لم أبرح العرصة حتى تكون لي أو لهم، فإن ظفرتُ أكرمتُك، وإن كانت الأخرى كنتَ بقندابيل حتى يَقْدَم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً.

فلما قُتل يزيد اجتمع آل المُهلّب بالبصرة، وحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية، ثم لجّجوا في البحر حتى انتهوا إلى (قَنْدابِيْل).

وبعث مَسْلمةُ بن عبد الملك هلالَ بن أحوز التميمي في أثرهم، فلحقهم بقندابيل، فأراد آل المُهلَّب دخول قندابيل، فمنعهم وداع بن حميد. وكاتبه هلال بن أحوز ولم يباين آل المهلب فيفارقهم، فتبيّن لهم فراقه لما التقوا وصَفُّوا، كان وداع بن حميد على الميمنة، وعبد الملك بن هلال على الميسرة ـ وكلاهما أزدي ـ، فرفع لهم هلال راية الأمان، فمال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال، وارفضّ عنهم الناس فخلّوهم.

ومشى آل المهلب بأسيافهم فقاتلوا حتى قُتلوا من عند آخرهم إلا أبا عيينة المهلب وعثمان بن المفضل، فلحقا بـ (رتبيل). وبُعِث بنسائهم وأولادهم إلى مَسْلمة، كما في «تاريخ الأمم والملوك» للطبري.

٣٠ ـ هشام بن عمرو التغلبي

استعمله المنصور على السند.

وكان سبب استعماله: أن المنصور كان يفكّر فيمن يولّيه السند، فبينا هو راكبٌ والمنصور ينظر إليه، إذ غاب يسيراً ثم عاد، فاستأذن على المنصور فأدخله، فقال: إني لما انصرفتُ من الموكب لقيتْني أختي فلانة، فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتُها لأمير المؤمنين، فأطرق ثم قال: اخرج! يأتِك أمري، فلما خرج قال المنصور لحاجبه الربيع: لولا قول جرير:

لا تطلبنّ خُؤولةً في تغلب
فالزنج أكرم منهم أخوالاً

لتزوجتُ إليه. قل له: لو كان لنا حاجة في النكاح لَقَبِلتُ، فجزاك الله خيراً! وقد ولّيتُك السند، فتجهز إليها.

وأمره أن يكاتب ذلك المَلِك بتسليم عبد الله بن محمد العلوي المشهور بالأشتر، فإن سَلَّم، وإلا حارِبْه.

فسار هشام إلى السند فمَلَكها، وكره أَخْذ عبد الله الأشتر، وأقبل يُري أنه يُكاتِب المَلِك الذي كان عبد الله في بلاده، واتصلت الأخبار بالمنصور بذلك، فجعل يكتب إليه يستحثه.

فبينا هو كذلك إذ خرجتْ خارجةٌ ببلاد السند، فوجَّه هشام أخاه سفيحاً، فخرج في جيشه وطريقُه بجنبات ذلك المَلِك، فبينا هو يسير: إذ غَبَرةٌ قد ارتفعت، فظن أنهم مقدمة العدو الذي يَقصِد، فوجَّه طلائعه فزحفتْ إليه، فقالوا: هذا عبد الله بن محمد العلوي يتنزه على شاطىء مهران، فمضى يريده فقال نصحاؤه: هذا ابن رسول الله ﷺ! وقد تركه أخوك متعمداً مخافة أن يبوء بدمه فلم يقصده، فقال: ما كنت لأدع أخذه ولا أدع أحداً يحظى بأخذه أو قتله عند المنصور. وكان عبد الله في عشرةٍ، فقَصَده، فقاتله

عبدُ الله، وقاتل أصحابُه حتى قُتِل وقُتِلوا جميعاً، فلم يُفلت منهم مخبرٌ، وسقط عبد الله بين القتلى فلم يُشعَر به. وقيل: إن أصحابه قذفوه في (مهران) حتى لا يُحمَل رأسه.

فكتب هشام بذلك إلى المنصور، فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك. فحاربه حتى ظفر به وقَتَله وغلب على مملكته، ووجَّه عمرو بن جمل في بوارج إلى نارند، ووجَّه إلى ناحية الهند، فافتتح كشمير، وأصاب سبايا ورقيقاً كثيراً، وفَتَح الملتان، وكان بقندابيل متغلِّبة من العرب فأجلاهم عنها، وأتى القَنْدَهار في السفن ففتحها، وهدم الكنيسة وبنى موضعها مسجداً، فأخصبت البلاد في ولايته، فتبرّكوا به.

ثم سار إلى بغداد، وعُزل عن الولاية بالسند، ومات بها سنة سبع وخمسين ومئة، كما في «الكامل».

٣١ ـ يزيد بن عرار

وُلِّي على أرض السند في أيام وليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي سنة خمس وعشرين ومئة، وكان بها من قبلُ. فقام بالأمر، وأحسن سيرته في الناس، وقاتل العدو.

وكان يفتح الناحية قد نَكَث أهلُها، حتى جاء منصور بن جمهور الكلبي فقاتله، وقُتل في حدود سنة ثلاثين ومئة.

الطبقة الثالثة
في أعيان القرن الثالث

١ ـ أبو علي السندي

الشيخ الكبير: أبو علي السندي، كان من أهل الحقائق والمواجيد.

صَحِبه أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى البسطامي المتوفَّى سنة إحدى وستين ومئتين.

قال أبو يزيد: صحبتُ أبا علي السندي، فكنتُ أُلقِّنه ما يقيم به فرضَه، وكان يُعلِّمني التوحيد والحقائق صِرْفاً.

وحُكي عن أبي يزيد أنه قال: دخل عليّ أبو علي السندي وكان معه جِرابٌ، فصبَّه بين يديّ، فإذا هو ألوان الجواهر! فقلت له: من أين لك هذا؟ قال: وافيتُ وادياً ههنا، فإذا هي تضيء كالسراج! فحملتُ هذا منها، قال: فقلت له: كيف كان وقتُك وقت ورودك الوادي؟ قال: كان وقتي وقتَ فترةٍ عن الحال الذي كنتُ فيه قبل ذلك، وذكر الحكاية.

والمعنى في ذلك: أن في وقت فترته شَغَلُوه بالجواهر.

وقال أبو يزيد: قال لي أبو علي السندي: كنتُ في حال: (منّي، بي، لي)، ثم صرت في حال: (منه، به، له).

والمعنى في ذلك: أن العبد يكون ناظراً إلى أفعاله ويضيف إلى نفسه أفعاله، فإذا غَلَب على قلبه أنوار المعرفة يَرَى جميع الأشياء من الله، قائمةً بالله، معلومةً لله، مردودة إلى الله.

ذكره أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي في كتابه «اللمع».

٢ ـ ابن دهن الهندي

ابن دهن الهندي، الحكيم، من الأطباء المشهورين. كان إليه بِيمارستان البرامكة ببغداد.

نَقَل إلى العربية من اللسان الهندي عدة كتب، منه استانكر الجامع، وكتاب سندستاق، معناه: كتاب صفوة النجح. ذكره ابن بشر في «فهرسته».

٣ ـ بشر بن داود المهلّبي

بشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلب بن أبي صُفرة العَتَكي، أحد ولاة السند.

كان مع أبيه، فلما تُوفِّي أبوه سنة خمس ومئتين قام بالأمر، وكَتَب إليه المأمون بن الرشيد العباسي بولاية الثغر على أن يَحمِل كل سنةٍ: ألف ألف درهم، فأطاعه زماناً، ثم عَصَى ومَنَع الحمل، فوجَّه المأمون إليه حاجبَ بن صالح سنة إحدى عشرة ومئتين، فهزمه بشر بن داود فانحاز إلى كرمان، ثم استعمل غسان بن عباد على السند سنة ثلاث عشرة ومئتين، فقَدِمها، وخرج بشرٌ إليه بالأمان، وورد به مدينة السلام سنة ست عشرة ومئتين، كما في «الكامل».

٤ ـ جعفر بن محمد الملتاني

أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، المَلِك الملتاني.

ذكره جمال الدين أحمد بن علي الداودي في «عمدة الطالب»، قال: وكان قد خاف بالحجاز فهرب في ثلاثة عشر رجلاً من صُلبه، فما استقرّت به الدار حتى

دخل الملتان، فلما دخلها فَزِع إليه أهلها وكثير من أهل السواد، وكان في جماعةٍ قَوِي بهم على البلد حتى مَلَكه، وخوطب بالملك، ومَلَك أولاده هناك. وأولد ثلاثة مئة وأربعة وستين ولداً.

قال ابن خداع: أعقب من ثمانية وعشرين ولداً، وقال الشيخ الشرف العبيدي: أعقب من نيف وخمسين رجلاً، وقال البيهقي: أعقب من ثمانين رجلاً.

قال الشيخ أبو الحسن العمري بعد أن ذكر المُعقِّبين من ولد الملك الملتاني: أربعة وأربعون رجلاً، قال لي الشيخ أبو اليقظاني عمار، وهو يعرف طَرَفاً كثيراً من أخبار الطالبيين وأسمائهم: إن عدّتهم أكثر من هذا، ومنهم ملوك وأمراء وعلماء ونسّابون، وأكثرهم على رأي الإسماعيلية، ولسانهم هندي، وهم يحفظون أنسابهم، وقَلّ من يعلق عليهم ممن ليس منهم. هذا كلامه. انتهى.

٥ ـ داود بن يزيد المهلّبي

داود بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المُهلّب بن أبي صُفرة العَتَكي.

استخلفه أبوه عند موته بالقيروان على إفريقية سنة سبعين ومئة، فعزله هارون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومئة، واستعمله على أرض السند والهند سنة أربع وثمانين ومئة، وكان معه أبو صمة المتغلب وهو مولى لكندة، فقدم الهند ومَلَكها، ودوَّخ الثغر وأحكم أموره، ولم يزل أمر ذلك الثغر مستقيماً إلى عهد المأمون، وبقي داود بالسند إلى آخر عهده من الدنيا.

تُوفِّي سنة خمس ومئتين في أيام المأمون، كما في «الكامل».

٦ ـ صالح بن بهلة الهندي

صالح بن بهلة الهندي، الطبيب المشهور. كان في أيام الرشيد هارون بالعراق.

ذكره ابن أبي أُصيبعة في «طبقات الأطباء»، والقِفطي في «أخبار الحكماء». قال القفطي: إنه كان هندي الطب، حَسَن الإصابة فيما يعاينه ويُخبر به من تقدمة المعرفة على طريق الهند.

ومن عجيب ما جرى له: أن الرشيد في بعض الأيام قُدِّمتْ له الموائد، فطَلَب جبرائيل بن بختيشوع ليحضُر أكله ـ على عادته في ذلك ـ فطُلب فلم يوجد، فلعنه الرشيد.

وبينما هو في لعنِهِ، إذ دخل عليه، فقال له: أين كنت؟ وطفق يذكره بشرٍّ، فقال: إن اشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمِّه إبراهيم بن صالح وتَرَك تناولي بالسَّبّ كان أشبه. فسأله عن خبر إبراهيم، فأعلمه أنه خَلّفه وبه رَمَقٌ ينقضي آخِرُه وقت صلاة العتمة. فاشتدّ جزع الرشيد من ذلك وأَمَر برفع الموائد وكثُر بكاؤه.

فقال جعفر بن يحيى: يا أمير المؤمنين! جبرائيل طِبُّه روميٌّ، وصالح بن بهلة الهندي: في العلم بطريقة أهل الهند في الطب: مثلُ جبرائيل في العلم بمقالات الروم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضاره ويوجّهه إلى إبراهيم بن صالح ليُفهِمنا عنه، فَعَل.

فأمر الرشيد بإحضاره وتوجيهه وبالمصير إليه بعد منصرفه من عند إبراهيم، ففعل ذلك جعفر.

ومضى صالح بن بهلة إلى إبراهيم حتى عاينه وجَسَّ عرقه، وصار إلى جعفر، فدخل جعفر على الرشيد فأخبره بحضور صالح بن بهلة، فأمره الرشيد بإدخاله إليه، فدخل ثم قال: يا أمير المؤمنين، أنت الإمام وعاقد ولاية القضاء للأحكام، ومهما حكمتَ به لم يجُز لحاكم فسخُه، وأنا أُشهدك وأُشهد على نفسي مَنْ حَضَرك: أن إبراهيم بن صالح إنْ تُوفِّي في هذه الليلة وفي هذه العلة، أن كل مملوكٍ لصالح بن بهلة حُرٌّ لوجه الله! وكل دابةٍ له فحبيسٌ في سبيل الله! وكل مالٍ له فصدقةٌ على المساكين! وكل امرأةٍ له فطالقٌ ثلاثاً! فقال الرشيد: حلفتَ يا صالح بالغيب! فقال صالح: كلا يا أمير المؤمنين، إنما الغيب ما لا دليل عليه ولا علم به، ولم أقل ما قلتُ إلا بدلائل بينة وعلم واضح.

فسُرِّي عن الرشيد ما كان يَجِد، وطَعِم، وأُحضر له النبيذ فشرب.

فلما كان وقت العتمة، وَرَد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة إبراهيم بن صالح على الرشيد،

فاسترجع وأقبل على جعفر بن يحيى باللوم في إرشاده إلى صالح بن بهلة، وأقبل يلعن الهند وطِبَّهم ويقول: واسوأتا من الله أن يكون ابن عمي يتجرع غصص الموت وأنا أشرب النبيذ! ثم دعا برطل من النبيذ ومَزَجه بالماء وألقى فيه من الملح شيئاً، وأخذ يشرب منه ويتقيّأ حتى قَذَف ما كان في جوفه من طعامه وشرابه.

وبكَّر إلى دار إبراهيم، فقَصَد الخدمُ بالرشيد إلى رُواقٍ فيه الكراسي والمساند والنمارق، فاتكأ الرشيد على سيفه ووقف وقال: لا يحسُن الجلوس في المصيبة بالأحبة على أكثر من البُسُط، فارفعوا هذه الفرش والنمارق! ففُعل ذلك. وجلس الرشيد على البساط، وصارت سُنّةٌ لبني العباس من ذلك اليوم، ولم تكن السنة كذلك.

ووقف صالح بن بهلة بين يدي الرشيد، فلم ينطق أحد إلى أن سَطَعتْ روائح المجامر، فصاح صالح بن بهلة عند ذلك: الله الله يا أمير المؤمنين أن تحكم عليّ بطلاق زوجتي فيتزوجها من لا تَحِلّ له! الله الله أن تُخرجني من نعمتي ولم يلزمني حِنثٌ! الله الله أن تَدفن ابنَ عمك حياً! فوالله ما مات! فأطلِق لي الدخول عليه والنظر إليه! وهتف بهذا القول مرات.

فأذن له بالدخول على إبراهيم، ثم سمع الجماعةُ تكبيراً، فخرج صالح بن بهلة وهو يكبِّر، ثم قال: يا أمير المؤمنين، قم حتى أُريك عَجَباً! فدخل إليه الرشيد ومعه جماعة من خواصه، فأَخرج صالحٌ إبرةً كانت معه وأَدخَلها بين ظُفر إبهام يده اليسرى ولحمه، فجذب إبراهيم يده وردَّها إلى بدنه، فقال صالح: يا أمير المؤمنين، هل يُحسّ الميّت الوجَع؟! فقال: يا أمير المؤمنين! أخاف إن عالجتُه فأفاق وهو في كفنٍ يجد منه رائحة الحنوط: أن ينصدع قلبه فيموت موتاً حقيقياً! ولكنْ مُرْ بتجريده من الكفن، وردِّه إلى المغتسل وإعادة الغُسل عليه حتى يزول منه رائحة الحنوط، ثم يُلبَس مثل ثيابه التي كان يَلبسها في حال صحته، ويُطيَّب بمثل ذلك الطيب، ويُحوَّل إلى فراش من فُرُشه التي كان يجلس وينام عليها، حتى أُعالجه بحضرة أمير المؤمنين فإنه يكلّمه من ساعته.

قال أبو سلمة: فوَكَلني الرشيد بالعمل بما حدّ صالح بن بهلة، ففعلتُ ذلك. قال: ثم سار الرشيد وأنا معه ومسرور إلى الموضع الذي فيه إبراهيم.

ودعا صالح بن بهلة بكندس ومنفخة من الخزانة، ونفخ من الكندس في أنفه، فمكث مقدار سدس ساعة، ثم اضطرب بدنه، وعطس، وجلس، فكلّم الرشيدَ وقبَّل يده.

وسأله الرشيد عن قضيته، فذَكَر أنه كان نائماً نوماً لا يذكر أنه نام مثله قط طيباً، إلا أنه رأى في منامه كلباً قد أهوى إليه، فتوقّاه بيده، فعضَّ إبهام يده اليسرى عضةً انتبه بها وهو يحس بوجعها، وأراه إبهامه التي كان صالح بن بهلة أَدخَل فيها الإبرة.

وعاش إبراهيم بعد ذلك دهراً، ثم تزوج العباسة بنت المهدي، وولي مصر وفلسطين، وتُوفِّي بمصر، وقبرُه بها. انتهى.

٧ ـ عبد الله بن عمر الهبّاري

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الربيع الهبّاري القرشي، أحد ولاة السند.

قام بالملك بعد والده عمر بن عبد العزيز، واستقلّ به مدة من الزمان. وكان يخطب للخليفة العباسي في جامع المنصورة، وتداول أولاده ملكها، إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود بن سُبُكْتَكِين صاحب (غَزْنة).

٨ ـ عمر بن عبد العزيز الهباري

عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الربيع بن عبد الرحمن بن هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي، المتغلب على بلاد السند. قَدِمها جدّه مع الحكم بن عوانة الكلبي، وسكن في الهند.

وكان عمر هذا قَتَل عمران بن موسى البرمكي كما تقدم. ولما ولي عنبسة بن إسحاق الضبي من قِبَل المعتصم بالله العباسي أذعن له بالطاعة، ثم لما قُتل هارون بن أبي خالد المَرْوَرُّوذي سنة أربعين ومئتين وَثَب واستولى على الملك، وأذعن له بالطاعة أهل المنصورة، ورضي بولايته المتوكل على الله العباسي، فقام بالأمر مدة من الزمان كما في «فتوح البلدان».

وقال ابن خلدون في الجزء الثاني من «تاريخه»: إن جدَّه المنذر ابن الربيع قد قام بقرقيسيا في أيام السفاح، فأَسَر وسَلَب، وأما عمر بن عبد العزيز صاحب السند فإنه وَلِيها في ابتداء الفتنة إثر قتل المتوكل، وتداول أولاده مُلكها، إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود ابن سبكتكين صاحب غزنة وما دون النهر من خراسان، وكانت قاعدتهم المنصورة. انتهى.

وأما جده هبّار بن الأسود - بتشديد الموحدة - فله صحبة بالنبي ﷺ، كما في كتاب «الاشتقاق» لابن دُرَيد.

٩ - عمران بن موسى البَرْمكي

عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي.

كان مع أبيه في بلاد السند، فلما مات أبوه سنة إحدى وعشرين ومئتين قام بالأمر، فكَتَب إليه المعتصم بالله العباسي بولاية الثغر، فخرج إلى القيقان وهم زُطٌّ، فقاتلهم فغَلَبهم، وبَنَى مدينةً سماها: «البيضاء» وأسكنها الجند. ثم أتى المنصورة وصار منها إلى قَنْدابِيل وهي مدينة على الجبل وفيها متغلِّب يقال له محمد بن الخليل، فقاتَلَه وفَتَحها وحَمَل رؤساءها إلى قصدار. ثم غزا المِيد وقَتَل منهم ثلاثة آلاف، وسكر سكرا يعرف بسكر الميد، وعسكر عمران على نهر الرور.

ثم نادى بالزط الذي بحضرته، فأتوه فخَتَم أيديهم، وأخذ الجزية منهم، وأمرهم بأن يكون مع كل رجل منهم إذا اعترض عليه كلبٌ، فبلغ الكلب خمسين درهماً. ثم غزا الميد ومعه وجوه الزط، فحَفَر من البحر نهراً أجراه في بَطِيحتهم حتى مَلُح ماؤهم وشَنَّ الغارات عليهم.

ثم وقعت الفتنة بين النزارية واليمانية، فمال عمران إلى اليمانية، فسار إليه عمر بن عبد العزيز الهبّاري فقَتَله وهو غافل عنه، كما في «فتوح البلدان».

١٠ - عنبسة بن إسحاق الضبي

استعمله المعتصم بالله العباسي على بلاد السند بعد ما قُتل عمران بن موسى البرمكي والِيهِ على تلك البلاد، فأذعن له أهلها بالطاعة، فقام بالأمر إلى أيام المتوكل على الله العباسي وعَزَله المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

وهو الذي هدم منارة الكنيسة العظمى بالدَّيْبُل، وجعلها مَحْبساً للجناة. وابتدأ في مَرَمّة المدينة بما نُقض من حجارة تلك المنارة، فعُزل قبل استتمام ذلك. وولي بعده هارون بن أبي خالد المَرْوَرُّوذي فقُتل بها، كما في «فتوح البلدان».

١١ - غسان بن عباد الكوفي

استعمله المأمون بن هارون الخليفة العباسي سنة ثلاث عشرة ومئتين.

ولما عزم على تولية غسان قال لأصحابه: أخبروني عن غسان! فإني أريده لأمر عظيم، فأطنبوا في مدحه، فنظر المأمون إلى أحمد بن يوسف وهو ساكتٌ، فقال: ما تقول يا أحمد؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ذلك رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه، لا يصرف به إلى طبعة[1] إلا انتصف منهم، فمهما تخوّفتَ عليه فإنه لن يأتي أمراً يُعتَذر منه، فأطنب فيه، فقال: لقد مدحتَه على سوء رأيك فيه، قال: لأني كما قال الشاعر:

كَفَى شكراً لما أسديتَ: أني
صَدَقْتُك في الصديق وفي عداتي

قال: فأعجب المأمونَ كلامُه وأدبه.

واستعمل غسان على السند، فقدِمها، وخرج بِشرٌ[2] إليه بالأمان، فورد به مدينة السلام سنة ست عشرة ومئتين، فقال الشاعر:

سيف غسان رونق الحرب فيه
وسِمام الحتوف في ظُبتيه
فإذا جرّه إلى بلد السند
فألقى المقادَ بِشرٌ إليه
مُقْسِماً لا يعود، ما حجّ لله
مُصَلٍّ وما رَمَى جمرتَيْه

(١) كذا، وفي الطبري: لا تصرف به إلى طبقة.
(٢) أي بشر بن داود المتقدمة ترجمته.

غــادراً يــخــلــع الــمــلــوك ويــغــتــا

ل جــنــوداً تــأوي إلــى ذروتــيــه

ذكره الطبري في «تاريخ الأمم والملوك».

١٢ ـ منصور بن حاتم النحوي

منصور بن حاتم النحوي، نزيل الهند.

كان مولى آل خالد بن أسيد. روى عنه البلاذري في كتابه «فتوح البلدان».

وهو الذي رأى الدَّقَل الذي كان على منارة البد مكسوراً بمدينة دَيْبُل، وإن عنبسة بن إسحاق هَدَم أعلى تلك المنارة وجعل فيها سجناً، وإن داهراً والذي قتله: مُصوَّران بِبَروص، وبُدَيل بن طَهْفة مصوَّر بقَنْدابِيْل.

١٣ ـ منكة الهندي

منكة الهندي، الحكيم، من المشهورين من أطباء الهند.

ذكره ابن أبي أُصيبعة في «طبقات الأطباء»، قال: كان عالماً بصناعة الطب، حَسَن المعالجة، لطيف التدبير، فيلسوفاً من جملة المشار إليهم في علوم الهند، متقناً للغة الهند ولغة الفرس، وهو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسي.

وكان في أيام الرشيد هارون، وسافر من الهند إلى العراق في أيامه، واجتمع به وداواه.

ووجدتُ في بعض الكتب أن منكة الهندي كان في جملة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي وكان ينقل من اللغة الهندية إلى الفارسية والعربية.

ونقلتُ من كتاب أخبار الخلفاء والبرامكة أن الرشيد اعتلّ علةً صعبة، فعالجه الأطباء، فلم يجد من عِلّته إفاقةً، فقال له أبو عمر الأعجمي: بالهند طبيب يقال له منكة، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم، فلو بَعَث إليه أمير المؤمنين فلعلّ الله أن يَهَب له الشفاء على يده، قال: فوجَّه الرشيد مَنْ حَمَله ووصله بصلةٍ تُعينه على سفره، فقدم وعالج الرشيد فبرأ من علّته بعلاجه، فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية.

قال: فبينما كان منكة ماراً في الخلد إذا هو برجل من المائتين قد بَسَط كساءه وألْقَى عليه عقاقير كثيرة، وقام يصف دواءً عنده معجوناً فقال في صفته: هذا دواء للحُمَّى الدائمة، وحُمَّى الغِبّ، وحُمَّى الربع، ولوجع الظهر والركبتين، والخام والبواسير والرياح، ووجع المفاصل، ووجع العينين، ولوجع البطن، والصداع، والشقيقة، ولتقطير البول، والفالج، والارتعاش. ولم يدَعْ علةً في البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاؤها. فقال منكة لترجمانه: ما يقول هذا؟ فترجم له ما سمع.

فتبسّم منكة وقال: على كل حال مَلِك العرب جاهلٌ، وذلك أنه إن كان الأمر على ما قال هذا، فلِمَ حملني من بلدي، وقطعني عن أهلي، وتكلّف الغليظ من مؤنتي وهو يجد هذا نُصْبَ عينه وبإزائه؟ وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا، فلِمَ لا يقتله؟ فإن الشريعة قد أباحت دم هذا ومَنْ أشبهه، لأنه إن قُتِل: ما هي إلا نفسٌ تحيا بفنائها أنفس خلقٍ كثير، وإن تُرِك هذا الجاهل: قَتَل في كل يوم نفساً، وبالحريّ أن يقتل نفسَيْن أو ثلاثة أو أربعة في كل يوم، وهذا فسادٌ في الدين ووهن في المملكة. انتهى.

ومن جملة ما نقله منكة الهندي من اللغة الهندية إلى العربي: كتاب سيسر، وعشر مقالات ـ ويجري مجرى الكُنّاش ـ نقله بأمر يحيى بن خالد البرمكي. وكتاب أسماء عقاقير الهند، فسَّره لإسحاق بن سليمان الهاشمي. ونقل كتاب شاناق الهندي في السموم، نقله من الهندي إلى الفارسي، كما في كتاب «الفهرست» لابن النديم.

١٤ ـ موسى بن يحيى البرمكي

موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أحد رجال الدولة العباسية.

كان مع غسان بن عباد في أرض الهند، فلما سار غسان إلى مدينة السلام سنة ست عشرة ومئتين استعمله على بلاد السند، فقام بالأمر وأحسن إلى الناس، وقَتَل راجَهْ بالا ملك الشرق وقد بذل له خمس مئة ألف درهم على أن يَستبقيه. وكان (بالا) هذا التَوَى على غسان وكَتَب إليه في حضور عسكره فيمن حضره من

الملوك، فأبى ذلك وأثر موسى أثراً حسناً، كما في «فتوح البلدان».

والذي يظهر من «وفيات الأعيان»: أن المأمون استعمله على السند. قال ابن خَلِّكان في «الوفيات»: قال القاضي يحيى بن أكثم: سمعتُ المأمون يقول: لم يكن كيحيى بن خالد وكوَلَدِه أحدٌ في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة، ولقد صدق القائل حيث يقول:

أولاد يحيى أربع ... كأربع الطبائع

فهم إذا اختبرتهم ... طبائع الصنائع

قال القاضي: فقلت له: يا أمير المؤمنين! أما الكفاية والبلاغة والسماحة فنعرفها فيهم، ففيمن الشجاعة؟ فقال: في موسى بن يحيى، وقد رأيت أن أُوليه ثغر السند. انتهى.

تُوفِّي موسى سنة إحدى وعشرين ومئتين، كما في «الفتوح».

١٥ ـ هارون بن خالد المَرْوزي

استعمله المتوكل على الله العباسي على بلاد السند سنة اثنتين وثلاثين ومئتين. ووقعت العصبية بين اليمانية والنزارية في أيامه مرةً أخرى، فقتلوه سنة أربعين ومئتين، كما في «الكامل».

الطبقة الرابعة
في أعيان القرن الرّابع من أهل الهند

١ ـ إبراهيم بن محمد الدَّيْبُلي

الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله الدَّيْبُلي السندي، العالم المحدِّث.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، والحموي في «معجم البلدان». قال السمعاني: يروي عن موسى بن هارون، ومحمد بن علي الصائغ الكبير وغيرهما.

٢ ـ أحمد بن عبد الله الدَّيْبُلي

الشيخ أحمد بن عبد الله بن سعيد أبو العباس الدَّيْبُلي، من الغرباء الرّحّالة المتقدمين في طلب العلم، ومن الزهاد الفقراء العبّاد.

سكن نيسابور أيام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. وهو خانكاه الحسن بن يعقوب الحدادي، تزوج في المدينة الداخلة، ووُلد له، وكان البيت في الخانكاه برسمه. ويأوي إلى أهله في المدينة بعد أن يصلّي الصلوات في المسجد الجامع، وكان يلبس الصوف، وربما مَشَى حافياً.

سمع بالبصرة أبا خليفة القاضي، وببغداد جعفر بن محمد الفريابي، وبمكة المفضل بن محمد الجَنَدي ومحمد بن إبراهيم الدَّيْبُلي، وبمصر علي بن عبد الرحمن ومحمد بن زيان، وبدمشق أبا الحسن أحمد بن عُمير بن جُوصا، وببيروت أبا عبد الرحمن مكحولاً، وبحَرّان أبا عَروبة الحسين بن أبي معشر، وبتُسْتَر أحمد بن زهير التُستَري، وبعَسْكر مُكَرَم: عَبْدان بن أحمد الحافظ، وبنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأقرانهم.

سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال: تُوفِّي بنيسابور في رجب، سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة، ودُفن في مقبرة الحِيرة، كما في «الأنساب» للسمعاني.

٣ ـ أحمد بن محمد المنصوري

أبو العباس، أحمد بن محمد بن صالح المنصوري السندي، كان قاضي المنصورة. له تصانيف في مذهب داود الأصفهاني.

سمع الأثرم وطبقته. ورَوَى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، كما في «المعجم». وقد أدركه المقدسي بالمنصورة وقال في كتابه «أحسن التقاسيم»: رأيت القاضي أبا العباس المنصوري داودياً إماماً في مذهبه، وله تدريس وتصانيف، قد صنَّف كتباً عديدة حسنة. انتهى.

وقال محمد بن إسحاق النديم في كتابه «الفهرست» إنه كان على مذهب[1] من أفاضل الداوديين، وله كتب جليلة حسنة كبارٌ، منها: كتاب المصباح كبيرٌ، وكتاب الهادي، وكتاب النير. انتهى. وذكره السمعاني في «الأنساب» ولم يزد على ما ذكر شيئاً.

٤ ـ خلف بن محمد الدَّيْبُلي

الشيخ خلف بن محمد الموازني الديبلي، نزيل بغداد.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، قال: إنه نزل بغداد، وحدَّث بها عن علي بن موسى الدَّيْبُلي. روى عنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران ابن الجندي. انتهى.

---

(١) في الفهرست: على مذهب داود.

٥ ـ ناصر الدين سُبُكْتِكِين الغَزْنوي

الملك المؤيد المنصور: ناصر الدين سُبُكتِكين الغازي، ملك غَزْنة. كان من غلمان ألبتكين صاحب جيش غزنة للسامانية.

اتفق الناس عليه بعد ما تُوفِّي أبو إسحاق بن ألبتكين سنة ست وستين وثلاث مئة، ولم يُخلِّف من أهله وأقاربه مَنْ يصلُح للتقدم، فاتفقوا على سُبُكتِكين لِمَا عرفوه من عقله ودينه ومروءته وكمال خِلال الخير فيه، فقدَّموه عليهم وولَّوه أمرهم وحلفوا له وأطاعوه، فوَلِيهم وأحسن السيرة فيهم، وساس أمورهم سياسةً حسنةً، وجعل نَفْسَه كأحدهم في الحال والمآل، وكان يدّخر من إقطاعه ما يعمل منه طعاماً لهم في كل أسبوع مرتين.

ثم لما عَظُم شأنه وارتفع قدره وحَسُن بين الناس ذكره، تعلّقت الأطماع بالاستعانة به، فأتاه صاحب (بُسْت) مستعيناً به، وضَمِن له مالا مقررا وطاعة يبذلها له. فتجهز وسار معه ونزل على (بُسْت)، وقاتل خَصِيمه قتالا شديدا، وتسلّم صاحبه البلد، ثم إنه أخذ في المطل، فقاتله واستولى على (بُسْت).

ثم إنه سار إلى قُصْدار، وكان متولِّيها قد عَصَى عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها، وظنّ أن ذلك يمنعه، فسار إليه جَرِيدةً[١] مُجِدًا، فلم يشعر إلا والخيل معه، فأُخذ من داره، ثم إنه مَنَّ عليه وردَّه إلى ولايته وقرَّر عليه مالاً يحمله كل سنة.

ثم جَمَع العساكر وسار نحو الهند فافتتح قلاعاً حصينة على شواهق الجبال، وبنى المساجد بها، في سنة سبع وستين وثلاث مئة، ورجع إلى غَزْنة سالماً ظافراً.

ولما رأى (جي پال) ملك پنجاب ما دهاه، وأن بلاده تُملَك من أطرافها، أخذه ما قَدُم وحَدُث، فحَشَد وجمع واستكثر من الفيول، وسار حتى اتصل بولاية سُبُكتِكين، وسار سُبُكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من المُتطوِّعة، فالتقوا واقتتلوا أياماً كثيرة، وصبر الفَريقان، وبالقرب منهم عقبة غورك، وفيها عينُ ماءٍ لا تَقبَلُ نجساً ولا قذراً، وإذا أُلقي فيها شيءٌ من ذلك اكفهرّت السماء وهبّت الرياح، وكثر الرعد والبرق والأمطار، ولا تزال كذلك إلى أن تُطهَّر من الذي أُلقي فيها.

فأَمَر سُبُكتِكين بإلقاء نجاسة في تلك العين، فجاء الغيم والرعد والبرق، وقامت القيامة على الهنود لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وتوالت عليهم الصواعق والأمطار، واشتدّ البرد حتى هلكوا، وعَمِيتْ عليهم المذاهب، واستسلموا لشدّة ما عاينوه، وأرسل (جي پال) إلى سُبُكتِكين يطلب الصلح، وتردّدت الرسل، فأجابهم إليه ـ بعد امتناع من ولده محمود ـ على مالٍ يؤدّيه، وبلادٍ يُسلِّمها، وخمسين فيلاً يحملها إليه. فاستقرّ ذلك، ورهن عنده جماعةً من أهله على تسليم البلاد، وسيَّر معه سبكتكين من يتسلّمها، فإن المال والفِيَلة كانت مُعجَّلةً، فلما أبعد (جي پال) قَبَض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضاً عن رهائنه.

فلما سمع سُبُكتِكين بذلك: جمع العساكر، وسار نحو الهند، فأَخرَب كل ما مرّ عليه من بلادهم، وقَصَد لَمْغان[٢] وهي من أحسن قلاعهم، فافتتحها عنوة، وهدم بيوت الأصنام، وأقام فيها شعار الإسلام، وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها، فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة.

فلما بلغ الخبر (جي پال) سُقِط في يده، وجمع العساكر وسار في مئة ألف مقاتل، فلقيه سُبُكتِكين، وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع الهنود، ففعلوا ذلك، فضَجِر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملةً واحدة، فعند ذلك اشتدّ الأمر وعظُم الخطب، وحَمَل أيضاً المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض، فانهزم الهنود، وأَخَذهم السيف من كل جانب، وأُسر منهم ما لا يُعَدّ، وغُنِم أموالهم وأثقالهم ودوابّهم الكثيرة، وذَلّ الهنود بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية، ورضوا بأن لا يُطلَبوا في أقاصي بلادهم. ولما قَوي سُبُكتِكين بعد هذه الواقعة أطاعه الأفغانية والخلج، وصاروا في طاعته.

---

(١) الجَرِيدة: خيلٌ لا رَجَّالة فيها.

(٢) ويقال لها: لامغان. معجم البلدان ٥/٩ و ٢٧.

ثم لما اتّفق الفائق بأبي علي وأصحابه، واتفقوا على مكاشفة الأمير نوح بن منصور الساماني صاحب بُخارى بالعصيان، فلما فعلوا ذلك كَتَب الأمير نوح إلى سُبُكتِكين وهو بغَزْنة: يُعرِّفه الحال ويأمره بالمسير إليه ليُنجده.

وكان سُبُكتِكين في هذه الفتن وهو حينئذٍ بغَزْنة[1]، فلما أتاه كتاب نوح ورسولُه أجابه إلى ما أراد، وسار نحوه جَرِيدةً واجتمع به، وقرّرا بينهما ما يفعلانه. وعاد سُبُكتِكين فجمع العساكر وحَشَد، وسار من غَزْنة ومعه ولده محمود نحو خراسان، وسار نوح فاجتمع هو وسُبُكتِكين، فقصدوا أبا علي وفائقاً، فالتقَوْا بنواحي هَرَاة واقتتلوا، فانهزم أصحاب أبي علي، ورَكِبهم أصحاب سُبُكتِكين يأسِرون ويقتلون ويَغْنمون، فعاد إلى نيسابور، وأقام نوح وسُبُكتِكين بظاهر هراة حتى استراحوا، وساروا إلى نيسابور، فلما عَلِم بهم أبو علي سار هو وفائقٌ نحو جُرجان. واستولى نوحٌ على نيسابور، واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان: محمودَ بن سبكتكين، ولقَّبه: «سيفَ الدولة»، ولقَّب أباه سُبُكتِكين: «ناصر الدولة».

وعاد نوح إلى بُخارَى، وسُبُكتِكين إلى هَراة، وأقام محمود بنيسابور، وذلك في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، ثم رجع[2] إلى غَزْنة، ثم سار إلى بَلْخ وقد ابتنى بها دوراً ومساكن، فمرض وطال مَرَضه، وانزاح إلى هواء غَزْنة، فسار عن بَلْخ إليها، فمات في الطريق، فنُقل ميتاً إلى غَزْنة ودُفن بها.

وكان مدة ملكه نحو عشرين سنةً، وكان عادلاً خَيِّراً، كثير الجهاد، حَسَن الاعتقاد، ذا مروءة تامة، وحُسن عهدٍ ووفاء، لا جَرَم بارك الله في بيته، ودام مُلكهم مدةً طويلة جاوزت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم. وكانت وفاته في سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، كما في «الكامل».

٦ ـ سَرْباتك الهندي

سَرْباتك ـ بفتح أوله وسكون الراء ثم موحدة وبعد الألف مثناة ـ ملك الهند.

(١) يعني: كان مشغولاً بالغَزْو. الكامل ٩/١٠٢.

(٢) أي سبكتكين.

ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» والحافظ في «الإصابة». قال الحافظ: روى أبو موسى في «الذيل» من طريق ميسر[3] بن أحمد الإسفرائيني صاحب يحيى بن يحيى النيسابوري، حدثنا مكي بن أحمد البَرْذَعي، سمعت إسحاق بن إبراهيم الطوسي يقول وهو ابن سبع وتسعين سنة قال: رأيت سَرْباتك ملك الهند في بلدةٍ تُسمّى «قَنُّوج» ـ بقاف ونون ثقيلة وواو ساكنة وبعدها جيم، وقيل: ميم بدل النون ـ فقلت له: كم أَتَى عليك من السنين؟ فقال: سبع مئة وخمس وعشرون سنة! وزَعَم أن النبي ﷺ أَنفَذ إليه حذيفةَ وأسامةَ وصهيباً رضي الله عنهم يدعونه إلى الإسلام، فأجاب وأسلم، وقَبِل كتاب النبي ﷺ.

قال الذهبي في «التجريد»: هذا كذبٌ واضح، وقد عَذَر ابنُ الأثير ابن منده في تركه إخراجه.

وقال أبو حاتم أحمد بن محمد بن حامد البلوي، أنبأنا بالويه بن بكر بن إبراهيم بن محمد بن فرحان الصوفي الحافظ، سمعت أبا سعيد مظفر بن أسد الحنفي المطيّب، سمعتُ سَرْباتك الهندي يقول: رأيتُ محمداً ﷺ مرتين بمكة، وبالمدينة مرة، وكان من أحسن الناس وجهاً، رَبْعةً من الرجال.

قال عمر: مات سَرْباتك سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وهو ابن ثمان مئة سنة وأربع وتسعين، قاله مظفَّر بن أسد. انتهى.

٧ ـ شعيب بن محمد الدَّيبلي

أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد بن شعيب بن بَزِيع بن سوّار[4] الدَّيبلي، المعروف بابن أبي قَطِران[5] الدَّيبلي.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، قال: إنه قدم مصر

(٣) كذا، وفي الإصابة: «بشر».

(٤) ويقال أيضاً: ابن سنان، راجع الإكمال لابن ماكولا والمصادر المذكورة معه.

(٥) في الأصل: ابن أبي قطعان. وما أثبته هو من المصادر التي عزوتُ إليها في التعليقة رقم (١). وانظر أيضاً تعليق الشيخ المُعلِّمي على الإكمال لابن ماكولا ٣/٣٥٤.

وحدَّث بها، قال أبو سعيد بن يونس: كتبتُ عنه. انتهى.

٨ ـ أبو محمد عبد الله المنصوري

أبو محمد عبد الله بن جعفر بن مُرّة المنصوري[١] المُقرىء. كان أسود، سمع الحسن بن مُكْرَم وأقرانه، وروى عنه الحاكم أيضاً، كما في «الأنساب» للسمعاني.

٩ ـ علي بن موسى الدَّيْبُلي

علي بن موسى الدَّيْبُلي، العالم المحدِّث. روى عنه خلف بن محمد الموازيني الدَّيْبُلي، كما في «الأنساب».

١٠ ـ عمر بن عبد الله الهَبَّاري

عمر بن عبد الله بن عمر بن عمر بن عبد العزيز الهبّاري، أبو المنذر، القرشي السندي. كان من ولاة السند استقلّ بالملك بعد والده.

أدركه المسعودي سنة ٣٠٣ بالمنصورة. وله ولدان: محمد، وعلي. ووزيره زياد. وله ثمانون فِيَلةً مقاتلة، وثلاث مئة ألف قرية تحت سلطته. وقاعدة مملكته: (المنصورة).

قال المسعودي في «مروج الذهب»: كان دخولي إلى بلاد المنصورة في هذا الوقت (أي بعد الثلاث مئة) والمَلِكُ عليها: أبو المنذر عمر بن عبد الله، ورأيت بها وزيره زياداً، وابنَيْه محمداً وعلياً، ورأيت بها رجلاً سيداً من العرب ومَلِكاً من ملوكهم وهو المعروف بحمزة، وبها خَلْقٌ من وَلَد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم من وَلَد عمر بن علي ووَلد محمد بن علي.

وبين ملوك المنصورة وبين أبي الشوارب[٢] القاضي قرابةٌ ووُصْلة نسب، وذلك أن ملوك المنصورة الذين المُلْكُ فيهم في وقتنا هذا: من ولد هَبّار بن الأسود. ويُعرَفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي، وليس هو عمرَ بن عبد العزيز الأموي.

وقال المسعودي: ولمَلِك المنصورة فِيَلة حربية وهي ثمانون فيلاً، رسمُ كل فيلٍ أن يكون حوله خمس مئة راجل، وإنه تُحارب ألوفاً من الخيل. ورأيت له فيلَيْن عظيمين كانا موصوفَيْن عند ملوك السند والهند، لِمَا كانا عليه من البأس والنجدة والإقدام على قتل الجيوش، كان اسم أحدهما «منعرفلس» والآخر «حَيدرَه».

ولمنعرفلس هذا أخبار عجيبة وأفعال حسنة، وهي مشهورة في تلك البلاد وغيرها. منها: أنه مات بعض سُوّاسِهِ فمكث أياماً لا يَطْعَم ولا يشرب، يُبدِي الحنين ويُظهِر الأنين كالرجل الحزين، ودموعُه تجري من عينيه لا تنقطع.

ومنها: أنه خرج ذات يوم من حائزة ـ وهي دار الفيلة ـ و «حيدرة» وراءه، وباقي الثمانين تَبَعٌ لهما، فانتهى منعرفلس في سيره إلى شارعٍ قليل العرض من شوارع (المنصورة)، ففاجأ في مسيره امرأةً على حين غفلة، فلمّا بصُرتْ به دَهِشتْ، واستلقت على قفاها من الجزع، وانكشفت عنها أطمارها في وسط الطريق، فلما رأى ذلك «منعرفلس» وقف بعرض الشارع مستقبلاً جنبه الأيمن من وراءه من الفِيَلَة مانعاً لهم من النفوذ من أجل المرأة، وأقبل يشير إليها بخرطومه بالقيام، ويجمع عليها أثوابها، ويستر منها ما بدا، إلى أن انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد إليها زوجها، فاستقام الفيل في طريقه، واتّبعه الفِيَلة. انتهى.

١١ ـ فتح بن عبد الله السندي

فتح بن عبد الله السندي أبو نصر، الفقيه المتكلم. كان مولى لآل الحسن بن الحكم[٣]. ثم عَتَق. وقرأ الفقه والكلام على أبي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وروى عن الحسن بن سفيان وغيره.

---

(١) نسبة إلى (المنصورة) مدينة بالسند.

(٢) الصواب: ابن أبي الشوارب، وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي، كان قاضي بغداد، تولّى قضاءها من عهد المتوكل إلى زمن المقتدر، استخلف بالنيابة عن جعفر بن عبد الواحد سنة ٣٤١، وتُوفِّي سنة ٤١٧ عن ٨٨ سنة، وبنو أبي الشوارب بيتٌ مشهور ببغداد. وكان أكثرهم قضاة بعد أبي الحسن هذا، كما في «دائرة المعارف» للبستاني.

(٣) في «الأنساب» ٧/ ٢٧١ ـ ٢٧٢ لآل الحكم.

وقال السمعاني في «الأنساب»: حدثنا أبو العلاء أحمد بن محمد بن الفضل من لفظه بأصبهان، أنا أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن علي الأديب، أنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني عبد الله بن الحسين قال: كنا يوماً مع أبي نصر السندي وفينا كثرةٌ حوالَيْه ونحن نمشي في الطين، فاستقبلَنا شريفٌ سكران قد وقع في الطين، فلما نظر إلينا شَتَم أبا نصر وقال: يا قِنُّ! يا عبد! أنا كما ترى، وأنت تمشي وخلفك هؤلاء! فقال له أبو نصر: أيها الشريف! تدري لِمَ هذا؟ لأني متبعٌ آثار جدّك، وأنت متبعٌ آثار جدّي. انتهى.

١٢ ـ محمد بن إبراهيم الدَّيْبُلي

أبو جعفر محمد بن إبراهيم عبد الله الدَّيْبُلي، ساكن مكة.

ذكره الحموي في «معجم البلدان» والسمعاني في «الأنساب». قال السمعاني: يروي كتاب التفسير لابن عيينة عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وكتاب «البرّ والصِّلة» لابن المبارك عن أبي عبد الله الحسين بن الحسن المَرْوزي عنه، يروي عن عبد الحميد بن صبيح أيضاً. روى عنه أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن المقري. انتهى[١].

١٣ ـ محمد بن محمد الدَّيْبُلي

أبو العباس محمد بن محمد بن عبد الله الورّاق الدَّيْبُلي الزاهد.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، قال: وكان صالحاً عالماً، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي، وجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، وعَبْدان بن أحمد بن موسى العسكري، ومحمد بن عثمان بن أبي سويد البصري وأقرانهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ. وتُوفِّي في شهر رمضان سنة خمس[٢] وأربعين وثلاث مئة، صلّى عليه أبو عمرو بن نجيد.

١٤ ـ المُنبِّه بن الأسد القرشي

الأمير أبو اللباب المنبه بن الأسد القرشي السامي، أحد ولاة السند. كانت قاعدة مُلكه: مُلْتان. أدركه المسعودي سنة **٣٠٣** قال في «مروج الذهب»: إنه من ولد سامة بن لُؤيّ بن غالب، وهو ذو جيوش ومَنَعة، وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار، وحول ثغر المسلمين (الملتان) من ضِياعه وقُراه: عشرون ومئة ألف قرية مما يقع عليه الإحصاء والعد.

وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمُلْتان، يقصده أهل السند والهند من أقاصي بلادهم بالنذور والأموال والجواهر والعود وأنواع الطيب، ويَحُجّ إليه الألوف من الناس. وأكثرُ أموال صاحب الملتان مما يُحمَل إلى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه مئة دينار، وإذا خُتم بالخاتَم أَثَّر فيه كما يؤثر في الشمع، وغير ذلك من العجائب التي تُحمَل إليه. وإذا نَزَلت الملوكُ من الكفار على الملتان وعَجَز المسلمون عن حربهم: هدّدوهم بكسر هذا الصنم وتعويره، فترحل الجيوش عنهم عند ذلك.

وكان دخولي إلى بلاد الملتان بعد الثلاث مئة والملك بها أبو الدلهات[٣] المنبه بن أسد القرشي. انتهى.

---

(١) وقال عنه الذهبي في «السير» ١٥/ ٩ ـ ١٠ «وكان مُسند الحرم في وقته». ثم أرّخ وفاته سنة ٣٢٢.

(٢) كذا في الأصل ونسخة ميكروفلمية في «الأنساب» وهي أصلاً من محفوظات كوپريلي بتركيا. وكذا هو في النسخة المطبوعة من «الأنساب» ٥/ ٤٤٠ بتحقيق الشيخ المُعلِّمي. ووقع التاريخ في نسختين خطيتين من «الأنساب» ـ وهما من محفوظات الجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكن ـ هكذا: «سنة ٣٥٤».

(٣) هكذا في الأصل.



الطبقة الخامسة

في أعيان القرن الخامس من أهل الهند

١ ـ إبراهيم بن مسعود الغزنوي

الملك المؤيد: إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين الغزنوي، السلطان الصالح، ظهير الدولة، رضي الدين، أبو المظفر.

وَلي المُلك بعد أخيه فَرخ زاد في سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، فأحسن السيرة، واستعدّ للجهاد، ففَتَح حصوناً امتنعت على أبيه وجدّه، وكان يصوم رجباً وشعبان ورمضان.

فلما ولي الملك أقرّ الصلح بينه وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان، على أن يكون كلُّ واحد منهما على ما بيده، ويترُك منازعة الآخر، فوقع الاتفاق واليمين.

وسار نحو الهند للغزاة في سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة، ففَتَح قلعة (أَجُودَهنْ) على مئة وعشرين فرسخاً من لاهور، ثم سار إلى قلعة (روپال) وفتحها، وسار إلى دره نوره، وكان فيها قوم من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها افراسياب التركي من قديم الزمان، ولم يتعرض إليهم أحد من الملوك، فدعاهم إلى الإسلام أولاً فامتنعوا من إجابته وقاتلوه فظفر بهم، ثم سار إلى (دره) وهو بَرٌّ بين الخليجين، وفي طريقه عقباتٌ كثيرة، فقصدها وفتحها.

وكان عادلاً، مجاهداً، كريماً، عاقلاً، ذا رأيٍ متين، يقول: لو كنتُ موضع أبي مسعود بعد وفاة جدي محمود، لما انفصمتْ عُرَى مملكتنا، ولكني الآن عاجزٌ عن أن أستردّ ما أخذوه، واستولى عليه ملوك، وقد اتسعت مملكتهم.

وكان جيدَ الخط، يكتب بخطّه كل سنةٍ مصحفاً، ويبعثه مع الصدقات إلى مكة.

مات سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وقيل: إنه تُوفِّي سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة.

٢ ـ أحمد بن نيالتگين الغزنوي

أحمد بن نيالتگين الغزنوي، الرجل المجاهد.

كان من غلمان محمود بن سُبُكْتِكين السلطان، وتنبّل في عهده حتى صار خازناً له، وكان مُلازِمَه في الظعن والإقامة.

فلما مات محمود وقام بالمُلك ابنه مسعود: قَرَّبه إلى نفسه، وولاّه على بلاد الهند سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، فناب عنه.

وسار إلى مدينة بَنَارَسْ فشنَّ الغارة على البلاد، ونَهَب وسَبَى وخرّب الأعمال وأكثر القتل والأَسْر، فلما وصل إلى المدينة دخل من أحد جوانبها، ونَهَب المسلمون في ذلك الجانب يوماً من بُكرةٍ إلى آخر النهار، ولم يفرُغوا من نهب سُوق العطارين والجوهريين حَسْبُ، وباقي أهل البلد لم يعلموا بذلك، لأن طوله منزل من منازل الهنود وعَرْضه مثله، فلما جاء المساء لم يجسُر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله، فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره، وبلغ من كثرة ما نَهَب المسلمون أنهم اقتسموا الذهب والفضة كَيْلاً، ولم يصل إلى هذه المدينة عسكر من المسلمين قبله، فرجع إلى لاهور وجمع الجموع، ومال إليه الأتراك.

قال البيهقي: فحسده القاضي أبو الحسن علي

الشيرازي، وأخبر الأمير أنه لم يبعث إلى الأمير من الغنائم إلا قليلاً وأنه يريد الخروج والبَغْي عليه، فغضب عليه مسعود، وسَيَّر إليه جيشاً كثيفاً من الأتراك والهنود، وأَمَّر عليهم تِلَك الهندي، وكان ابنَ حلاّقٍ، ولكنه صحب الأفاضل، وتمهّر في اللغة الفارسية، وتنبّل في عهد محمود، وأقرّه مسعود ثقةً بجَلَده ونهضته، وأَمّره على الهنود بخراسان.

فسار إلى لاهور وقاتله قتالاً شديداً، فانهزم أحمد بن نيالتگين ومضى هارباً إلى المُلْتان. وقَصَد بعضَ الملوك ومعه جمع كثير من العساكر، فلم يكن لذلك المَلِك قُدرةٌ، وطَلَبَ منه سُفناً ليعبُر نهر السند فأَحضر له السفن.

وكان في وسط النهر جزيرةٌ ظنّها أحمد ومن معه متصلةً بالبرّ من الجانب الآخر، ولم يعلموا أن الماء محيط بها، فتقدم ذلك الملك إلى أصحاب السفن بإنزالهم في الجزيرة والعَوْد عنهم، ففعلوا ذلك، وبقي أحمد ومن معه فيها وليس لهم طعام إلا ما معهم، فبقُوا بها تسعة أيام، ففني زادهم، وأكلوا دوابّهم، وضعُفت قُواهم، فأرادوا خوض الماء، فلم يتمكنوا منه لعُمقه وشدّة الوحل فيه، فوصل الزُّطّ إليهم وهم على تلك الحال، وكان تِلَك الهندي وَعَد لقاتله بخمس مئة ألف درهم، فأَوقعوا بهم وقَتَلوا أكثرهم، وأخذوا ولداً لأحمد أسيراً، وقتلوا أحمد ومن معه، وكان ذلك سنة خمس وعشرين وأربع مئة.

وقد قَصّ هذه القصة ابنُ الأثير في «الكامل» وأخطأ في مواضع منها، فقال: ولاّه محمود على بلاد الهند، وأقرّه مسعود ثقةً بجَلَده ونهضته، وأنه غزا مدينة نرسَى سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

وقال: لما سار مسعود إلى خراسان وأبعَد، عَصَى أحمد بن نيالتگين بالهند. فاضطُرّ مسعود إلى العود، وقدم الهند، فأصلح الفاسد، وأعاد المخالف إلى طاعته، ثم لمّا سار إلى خراسان وأبعد، عاد أحمد بن نيالتگين إلى إظهار العصيان، فَسيَّر مسعود إليه جيشاً كثيفاً.

وقال: إنهم لما أخذوا ولداً لأحمد أسيراً ورآه أحمد: قَتَل نفسه في سنة ست وعشرين وأربع مئة.

وهذا كله خطأ، والصواب ما ذكر البيهقي في «تاريخه»، لأنه كان في دار الإنشاء بغَزْنة في عهد مسعود، وكان يكتب في تاريخه كل ما يقع من الأمور بمرأى منه ومسمعٍ.

ع: فإن القول ما قالتْ حَذَامِ.

٣ ـ أرياق الحاجب الغزنوي

الأمير الكبير أرياق الغزنوي الحاجب.

كان من غلمان السلطان محمود بن سُبُكتِكين الغزنوي، خَدَمه مدةً، وتنبّل في عهده حتى أَمَّره محمود على جيش الهند، فناب عنه مدة طويلة بمدينة لاهور، وضبط البلاد واستولى على المملكة استيلاء كاملاً، واستبدّ بالأمر، فاستقدمه محمود إلى غَزنة، فاعتذر إليه بأعذار باردة، وعَرف محمودٌ حاله، ولكنه مات في تلك المدة، ووَلي بعده محمدٌ، وطلبه فلم يأته.

ثم وَلي مسعودٌ وعَرَف استبداده بالأمر، فاستقدمه إلى معسكره ببَلْخ واحتال بقدومه إليه، فأَمّنه أحمد بن الحسن المهمندي الوزير، فذهب إلى بلخ وكان معه قوّته ورجاله من الأتراك والهنود. فتلقّاه الأمير بالقبول والإكرام، وخَلَع عليه، وقرَّبه إلى نفسه، حتى اغترّ الحاجب بإكرامه، ووقع في اللذات والخمور، وغَفَل عن مكيدته.

فقَبَض عليه الأمير ذات يوم وقد غلب عليه السُكْر، وكان ذلك في التاسع عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، فذهبوا به إلى قَهَنْدَزْ، ثم إلى غَزْنة وحبسوه بقلعتها، ثم ذهبوا به إلى الغور. صرّح به البيهقي في تاريخه.

٤ ـ أبو الفرج الروينى

العميد الأجلّ الكامل: أبو الفرج بن مسعود الروينى[١] اللاهوري، أحد الشعراء المُفلقين.

ذكره البَدَايوني في «المنتخب»، قال: إنه كان المرجعَ والمقصدَ في الشعر، أخذ عنه مسعود بن

(١) كذا، وفي «لباب الألباب»: الروني.

سعد بن سلمان اللاهوري، وخلقٌ كثير، وكان عظيمَ المنزلة عند السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي، له ديوان شعر بالفارسية. انتهى.

وقال العوفي في «لباب الألباب»: إنه وُلد ونشأ بمدينة لاهور، وكان أوحدُ الدين محمد بن محمد الأنوري الشاعر المشهور يتتبّع كلامه ويطالع ديوانه، وقال فيه:

اندران مجلس كه من داعي بشعر بو الفرج

تاشنيدستم ولوعى داشتستم بس تمام

ومن شعره قوله:

نعل اسپ تو هلالست وستامش كو كبست

آفتابست أو واسپش آسمانها را مدار

آسماني پر كواكب بر زمين هرگز كه ديد

كافتاب أو يكى باشد هلال أو هزار

تُوفِّي سنة أربع وثمانين وأربع مئة، كما في «شَمْع أنجُمَنْ».

٥ ـ أبو المنصور بن علي الغزنوي

الشيخ الفاضل: أبو منصور بن أبي القاسم علي النوكي الغزنوي، الدَّبِير[1] المشهور.

خَدَم الملوك الغزنوية مدةً من الزمان بمدينة غَزْنة، ثم بعثه السلطان مسعود بن محمود الغزنوي إلى الهند سنة ست وعشرين وأربع مئة مع ابنه الأمير مجدود بن مسعود لمّا أمره على بلاد الهند، فولاّه ديوان الإنشاء بالهند، فسكن بمدينة لاهور، كما في «تاريخ البيهقي».

٦ ـ أبو النجم أياز الغزنوي

الأمير أياز الغزنوي، أبو النجم. كان من غلمان محمود بن سُبُكتِكين الغزنوي.

تأدّب على أفضل الدين محمد الكاشاني وأَخَذ عنه. وله مع محمود أخبارٌ مشهورة لا حاجة إلى ذكرها.

ولما مات محمود تولّى المملكةَ ولدُه محمد، وكان مسعود بن محمود بأصفهان، فلما نُعِي إليه أبوه سار إلى خراسان وقَصَد غَزْنة، فانحاز أياز عن محمد وسار إلى مسعود فلحقه بنيسابور، ورجع إلى غَزْنة معه وخَدَمه مدة طويلة، ولما أَمَّر مسعودٌ ولدَه مجدوداً على عساكره بالهند: جَعَل إياز أتابكاً له في سنة سبع وعشرين وأربع مئة، فأقام بالهند، وضبط البلاد، وجمع الجموع، وأحسن إلى الناس.

ولم يزل في بلاد الهند إلى أن تُوفِّي بلاهور سنة تسع وأربعين وأربع مئة، صرّح به أبو الفداء في تاريخه.

٧ ـ حسين الزنجاني

الفقيه الزاهد: فخر الدين حسين الزنجاني اللاهوري. كان من المشايخ المشهورين في العلم والطريقة.

أَخذ عن الشيخ أبي الفضل محمد بن حسن الختلي وصَحِبه مدةً من الزمان، ثم قدم الهند وسكن بلاهور، ومات بها يوم وَفَد إليها الشيخ علي بن عثمان الهجويري صاحب «كشف المحجوب»، كما في «فوائد الفؤاد».

٨ ـ داود بن نصير الملتاني

داود بن نصير بن حميد الملتاني، أبو الفتح، وقيل: أبو الفتوح، كان أمير الملتان.

نُقل عنه خبثُ اعتقاده، ونُسب إلى الإلحاد، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه فأجابوه، فرأى محمود بن سُبُكتِكين الغزنوي أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه، فسار نحوه، فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرةَ الزيادة، عظيمةَ المدّ، فأرسل إلى «آنند پال» يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى الملتان فلم يُجبه إلى ذلك، فابتدأ به قبل الملتان وقال: نجمع بين غزوتين فدخل في بلاده وجاسَهَا، وأكثرَ القتلَ فيها والنهبَ لأموال أهلها والإحراق لأبنيتها.

ثم سار إلى ملتان، ولما سمع أبو الفتح بخبر إقباله عليه: عَلِم عَجْزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه،

---

(١) أي الكاتب المُجوِّد الكبير.

فَنَقَل أمواله إلى (سرانديب) وأَخلَى الملتان، فوصل محمود إليها ونازَلَها، وفَتَحها عنوةً، وألزم أهلَها عشرين ألف درهم كما في «الكامل».

وفي «تاريخ فرشته»: إن أبا الفتح لم يساعده في غزوته إلى بهاطية مع خبث اعتقاده، ولذلك خرج إليه محمود سنة ٣٩٦هـ، وسلك طريقاً غير طريق الملتان لئلا يشعر به أبو الفتح، وهو أحسّ بذلك، فحرّض «آنندپال» على أن يسُدّ طريقه، فقاتله محمود، ثم سار إلى الملتان، فتحصن أبو الفتح في البلدة، وصالحه بعد سبعة أيام على أن يَبعث إليه كلّ سنةٍ عشرين ألف دينار. انتهى.

٩ ـ رُوزْبَهْ بن عبد الله اللاهوري

الشيخ أبو عبد الله رُوزْبَهْ بن عبد الله النكتي اللاهوري، الفاضل المشهور في عهد سلطان مسعود بن محمود الغزنوي.

ذكره نور الدين محمود العوفي في «لباب الألباب»، قال: وله قصائد غراء في مدائح مسعود بالفارسية، ومن شعره قوله:

بنرگس بنگرى چون جام زرين
بزير جام زرين چشمه چشمه
توگوئي چشم معشو قست مخمور
زناز ونيكوئي گشته كرشمه

١٠ ـ سعد بن سلمان اللاهوري

الشيخ الفاضل: سعد بن سلمان الهَمَذاني اللاهوري، أحد الأفاضل المشهورين.

بَعَثه السلطان مسعود بن محمود الغزنوي إلى بلاد الهند سنة ست وعشرين وأربع مئة مع ابنه الأمير مجدود بن مسعود الغزنوي لمّا أمّره على بلاد الهند، فجعله مستوفي الممالك بها، فسكن بمدينة لاهور، صرّح به البيهقي في تاريخه.

وهو خَدَم الملوك الغزنوية ستين سنةً، ووَلي الأعمال الجليلة، وحصل له عُروضٌ وعَقارٌ بالهند، وفيه يقول ولده مسعود بن سعد في القصيدة التي مدح بها السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي:

شصت سال تمام خدمت كرد
پدر بنده سعد بن سلمان
گه بأطراف بودي أز عمال
گه بدرگاه بودي أز اعيان

١١ ـ عطاء بن يعقوب الغزنوي

أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي، الكاتب العميد الأجلّ المعروف بناكوك.

ذكره نور الدين محمد العوفي في «لباب الألباب» وأبو الحسن علي بن الحسن الباخَرْزي في «دمية القصر» وياقوت الحموي في «معجم الأدباء».

قال العوفي: ولما وردتْ رايات السلطان إبراهيم بن مسعود الهندَ، كان عطاء بن يعقوب أسيراً في لاهور، وقد أَتَى على أسره ثماني سنين. وله ديوان شعر بالعربي، وآخَر بالفارسي. ونقل ياقوت في «المعجم» عن القاضي معين الدين محمد بن محمود الغزنوي صاحب «سر السرور» كلاماً في مدائحه قد تأنّق فيه بعبارات بديعة لا فائدة في نقلها.

ومن شعره قوله:

الله جارُ عصابةٍ ودّعتُهم
والدمع يَهْمِي والفؤاد يَهيمُ
قد كان دهري جَنّةً في ظلهم
ساروا فأضحى الدهرُ وهو جحيمُ
كانوا غيوثَ سماحة وتكرّم
فاليومَ بعدهم: الجفونُ غيومُ
رَحَلُوا على رغمي ولكن حبّهم
بين الفؤاد المستهام مُقيمُ
قد خانهم صَرْفُ الزمان لأنهم
كانوا كِراماً والزمان لئيمُ
طلّقتُ لذّاتي ثلاثاً بعدهم
حتى يعود العِقد وهو نظيمُ
اللّهُ حيث تحمّلوا جارٌ لهم
والأمن دارٌ والسرور نديمُ

والـعـيـش غَـضٌ والـمـنـاهـل عـذبـةٌ
والـجـوّ طَـلْـقٌ والـريـاح نـسـيـمُ

وقوله:

بـهـنـد أوفـتـادم چـو آدم زجـنـت
بـتـاويـل وتـلـبـيـس بـهـتـان مـنـكـر
نـه گـنـدم چـشـيـده نـه آورده عـصـيـان
نـه مـن قـول إبـلـيـس راكـرده بـاور
اگـر گـنـدمـي بـدهـمـي جـرم آدم
هـمـه جرم مـن أزجـوي هـست كـمـتـر
بـلاي مـن آمـد هـمـه دانـش مـن
چـو روبـاه رامـو وطـاوس راپـر

وله في مدح إبراهيم بن مسعود من قصيدة طويلة:

بـ گـنـه مـانـده هـشـت سـال بـهـنـد
چـون گـنـه گـار در عـذاب ألـيـم
دل چـو كـانـون ديـده چـون آتـش
كـار نـا مـسـتـقـيـم وحـال سـقـيـم
چـه كـنـى حـال خـويـش راپـنـهـان
چـه زنـى طـبـل خـيـره زيـر گـلـيـم
حـال خـود شـاه رابـگـوي ومـپـرس
وتـوكـل عـلـى الـعـزيـز الـرحـيـم
مـلـك تـاج بـخـش قـلـعـه سـتـان
بـا ظـفـر بـو الـمـظـفـر إبـراهـيـم
زخـم أوكـوه رادو پـاره كـنـد
عـدل او مـوى راكـنـد بـدونـيـم
خـشـم أو كـل مـن عـلـيـهـا فـان
عـفـو يـحـيـي الـعـظـام وهـي رمـيـم
فـتـح بـارايـتـش قـريـب وقـريـن
جـودبـا حـضـرتـش قـديـم ومـقـيـم

تُوفّي سنة إحدى وتسعين وأربع مئة كما في «لباب الألباب». وذكر في «كشف المحجوب» أن له ديوان شعر بالفارسي، و «منهاج الدين» كتابٌ في التصوف.

١٢ ـ علي بن عثمان الهجويري

الشيخ الإمام العالم الفقيه الزاهد: أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجُلاّبي ـ بضم الجيم وتشديد اللام وكسر الموحدة ـ الهجويري الغزنوي ثم اللاهوري. كان من الرجال المعروفين بالعلم والمعرفة.

أَخَذ عن الشيخ أبي الفضل محمد بن الحسن الختلي وصَحِبه مدةً من الزمان، ثم ساح معظم المعمورة، وحجّ وزار، ولازم الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد الأشقاني وأخذ عنه بعد العلوم، وأخذ عن الشيخ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيري، والشيخ أبي سعيد بن أبي الخير المهنوي، وأبي علي الفضل بن محمد الفارْمَذي، وخلقٍ آخرين من العلماء والمحدّثين، ولازمهم مدةً، ثم قدم الهند وسكن بمدينة لاهور.

ومن مصنفاته: «كشف المحجوب» وهو من الكتب المعتبرة المشهورة عند أهل العلم والمعرفة، جمع فيه كثيراً من لطائف التصوف وحقائقه. ذكره الشيخ عبد الرحمن الجامي في «نفحات الأنس» وأثنَى على علمه ومعرفته.

مات لعشر بقين من ربيع الثاني سنة خمس وستين وأربع مئة بمدينة لاهور، فدُفن بها. وقبره ظاهرٌ مشهور.

١٤ ـ القاضي علي الشيرازي

الشيخ الفاضل: أبو الحسن علي الشيرازي، أحد الأفاضل المشهورين في عصره.

١٤ ـ مجدود بن مسعود الغزنوي

الأمير مجدود بن مسعود بن محمود بن سُبكتِكين الغزنوي اللاهوري، الأمير.

وُلد ونشأ بغَزْنة في نعمة أبيه، وسيّره والده إلى لاهور سنة ست وعشرين وأربع مئة، وولاّه على ما فَتَح محمود ونُوّابه في أرض الهند، فناب عنه مدة من الزمان وأحسن السيرة.

مات بلاهور، لعلّه في حدود سنة خمس وثلاثين وأربع مئة في أيام أخيه مودود بن مسعود الغزنوي،

كما في «تاريخ فرشته»، والمشهور أنه مات ببلدة (هانسِي) ودُفن بها.

١٥ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني

الإمام العالم الأستاذ: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المُنجِّم، أحد الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والأفاضل في الصناعة الطبية، والأماثل في علم الهندسة والهيئة والنجوم وحكمة الهنود.

ذكره ابن أبي أُصيبعة في «طبقات الأطباء» وقال: منسوب إلى بيرون[1] وهي مدينة في السند. كان مشتغلاً بالعلوم الحِكمية، فاضلاً في علم الهيئة والنجوم، وله نظر جيد في صناعة الطب. وكان معاصراً للشيخ الرئيس وبينهما مباحثات ومراسلات، وقد وجدتُ للشيخ الرئيس أجوبة مسائل سأله عنها أبو الريحان البيروني، وهي تحتوي على أمور مفيدة في الحكمة. انتهى.

وأقام أبو الريحان البيروني بخُوارزم، فاشتهر بالخُوارزمي. ودخل بلاد الهند، وسكن بها عدة سنين، وتعلّم من حكمائها فنونَهم، وعلَّمهم طرق اليونانيين في فلسفتهم، ولم يكن له في زمانه نظير، ولا كان أحذقَ منه بعلم الفلك بكل دقائقه.

وله من الكتب: «كتاب الجماهر في الجواهر» يتضمن الكلام في الجواهر وأنواعها وما يتعلق بهذا المعنى، ألَّفه لأبي الفتح مودود بن مسعود الغزنوي، و «كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية» في النجوم والتاريخ، مجلَّد، ألَّفه لشمس المعالي قابوس، وبيَّن فيه التواريخ التي يستعملها الأمم والاختلاف في الأصول هي مباديها، و«كتاب تجريد الشعاعات والأنوار» ألَّفه لشمس المعالي قابوس المذكور، و «كتاب الأحجار» يذكر فيه خواص الأحجار الكريمة وغيرها، و «كتاب مقاليد الهيئة»، و «كتاب الشموس الشافية للنفوس» وكتاب «الصيدلة» في الطب، استقصَى فيه معرفة ماهيات الأدوية، ومعرفة أسمائها، واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلَّم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه. وقد رتَّبه على حروف المعجم، و «كتاب الاستيعاب في تسطيح الكرة»، و «كتاب العمل بالإصطرلاب»، و «كتاب القانون المسعودي» ألَّفه لمسعود بن محمود بن سُبُكتِكين الغزنوي وحذا فيه حَذْو بَطْلَيْمُوس، و «كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» على طريق المدخل، ألَّفه سنة **٤٢٢**هـ لأبي الحسن علي بن أبي الفضل الخاصي، و «كتاب التنبيه على صناعة التمويه»، و «كتاب العجائب الطبيعية والغرائب الصناعية» ومقالة في تلافي عوارض الزلة في «كتاب دلائل القبلة»، ورسالة في تهذيب الأقوال، وكتاب الأظلال، ومقالة في استعمال الإصطُرلاب الكري، وكتاب «الزيج المسعودي» ألَّفه للسلطان مسعود بن محمود المذكور، واختصار كتاب بطلميوس القلوذي، وكتاب الإرشاد في أحكام النجوم، و «الاستشهاد باختلاف الأرصاد» ذكره في «الآثار الباقية» وقال: إن أهل الرصَد عَجَزوا عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى، فوَضَع هذا التأليف لإثبات هذا المُدَّعى.

وله شرحٌ على ديوان أبي تمام، وكتاب مختار الأشعار والآثار.

وله كتابٌ نفيس في وصف بلاد الهند، اشتهر باسم «عجائب الهند»، وفيه الكثير من المعلومات الهندسية والفلكية المتعلقة بالجغرافية الرياضية، ومذاهب الهنود ودياناتهم.

وله قصائد غرّاء بالعربية، منها قصيدة ذَكَر فيها مَنْ صَحِب من الملوك، ثم قال:

ولما مضوا، واعتضتُ عنهم عصابةً
دَعَوا بالتناسي فاغتنمتُ التناسيا

وخُلِّفتُ في غَزْنِينَ لحماً كمضغةٍ
على وَضَمٍ للطير للعِلم ناسيا

ذكره الحموي في «معجم البلدان» وقال: «ذكرتُ

---

(١) قال السمعاني في «الأنساب»: بِيْرُون بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وبعدها الواو وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى خارج خوارزم، فإن بها مَنْ يكون مِن خارج البلد ولا يكون من نفسها: يقال له: فلان بيروني يقال: فلان بيروني است، ويقال بلغتهم: انبريل است، والمشهور بهذه النسبة أبو ريحان المنجِّم البيروني.

القصيدة في كتاب «معجم الأدباء»[1].

١٦ ـ يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين الغزنوي

الإمام العادل المظفر، يمين الدولة: محمود بن سُبُكتِكِين الغازي الغزنوي، السلطان المشهور.

وُلد ليلة عاشوراء سنة سبع وخمسين وثلاث مئة من إحدى بنات الزابلية، ونشأ في نعمة والده وشاركه في الغزوات، وفَتَح الفتوحات العظيمة فولاّه والده على نيسابور، ولقَّبه الأمير نوح بن منصور الساماني بِ «سيف الدولة».

وكان بنيسابور إذ مات والده سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، فقام بالأمر بعده ولدُه إسماعيل بوصية من أبيه، واجتمعت عليه الكلمة، وغَمَرهم بإنفاق الأموال فيهم.

فلما بلغ محموداً نَعْيُ أبيه كَتَب إلى إسماعيل، ولاطفَه في القول، وقال له: إن أبي لم يستخلفك دوني إلا لكونك كنتَ عنده وأنا كنتُ بعيداً عنه، ولو أُوقف الأمر على حضوري لفاتت مقاصده، ومن المصلحة أن نتقاسم الأموال بالميراث، فتكون أنت مكانَك بغَزْنة وأنا بخراسان، ونُدبِّر الأمور ونتفق على المصالح فلا يطمع فينا عدوّ، فأبى إسماعيل موافقته على ذلك، فخرج محمود إلى هَرَاة وجدَّد مكاتبة أخيه وهو لا يزداد إلا اعتياصاً، فقصده بغَزْنة ونازَلَها في جيش عظيم، وحاصرها واشتد القتال عليها، ففتحها ونزل إسماعيل في حكم أمانه وتسلّم منه مفاتيح الخزائن، ورتَّب في غَزْنة النُوّاب والأكفاء، وانحدر إلى بَلْخ.

وكان في بعض بلاد خراسان نُوّاب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان، فجرتْ بين محمود وبينهم حروب، انتصر فيها عليهم ومَلَك بلاد خراسان، وانقطعت الدولة السامانية منها سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، واستتبَّ له المُلك، وسَيَّر له الإمام القادر بالله خلعة السلطنة ولقَّبه بِ «أمين الملة» وبِ «يمين الدولة».

وسار إلى سجستان، وصاحبُها خلف بن أحمد سيَّر ولدَه طاهراً إلى قهستان فملكها، ثم إلى بوشنج فملكها ـ فسار نحو خلف بن أحمد، فتحصن بحصن اصبهند، فضَيَّق عليه، فخضع خلفٌ، وبذل أموالاً جليلة ليُنفِّس عن خِناقه، فأجابه محمودٌ إلى ذلك.

وأحب أن يغزو الهند غزوةً تكون كفارة لِمَا كان منه من قتال المسلمين، فَثَنى عِنانه نحو الهند سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، فنزل على مدينة پِيْشاوَرْ، وقاتل «جي پال» وأَسَره، وغنم أموالاً جليلة وجواهر نفيسة.

ثم سار نحو ويهند فأقام عليها محاصِراً لها حتى فتحها قهراً، وسيَّر طائفةً من عسكره إلى جماعة من الهند اجتمعوا بشعاب تلك الجبال، فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم، ولم يَنْجُ منهم إلا الشريد الفريد. ثم غزا بهاطية، فقتل المُقاتِلة وسَبَى الذرية وأخذ الأموال، واستخلف بها مَنْ يعلم مَنْ أسلَم مِن أهلها سنة خمس وتسعين.

ثم غزا الملتان وقصد صاحبَها أبا الفتح داود بن نصير بن حميد القرمطي الذي نُقل عنه خُبثُ اعتقاده، فسار نحوه سنة ست وتسعين، وأرسل إلى «آنندپال» يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى الملتان، فلم يُجِبْه إلى ذلك، فابتدأ به ودخل في بلاده وجاسَهَا وأكثر القتل فيها، ففرّ آنندپال إلى كشمير، فسار محمود نحو الملتان، فنازَلَها وقاتل أهلها حتى افتتحها عنوةً وصالح أبا الفتح على أن يبعث إليه كلّ سنةٍ عشرين ألف دينار[2].

فرجع إلى غَزْنة وسار نحو الهند سنة سبع تسعين، نحو «سِكْ پال» الذي ارتدّ عن الإسلام، فسار إليه مُجِدًّا، فحين قاربه فَرَّ الهندي من بين يديه، واستعاد محمود ولايته وأعادها إلى حكم الإسلام ورجع. ثم استعدّ لغزوةٍ أخرى سنة ثمان وتسعين، فسار نحو الهند ووصل إلى (نگركوت) ومَلَكها، وأخذ من الجواهر النفيسة ومن أواني الذهب والفضة والدراهم والدنانير ما لا يُحَدّ.

---

(١) ذكره ياقوت في «معجم البلدان» في «غَزْنين» ٤/٢٢٨ وذكر هذين البيتين، ثم أحال على كتابه الآخر «معجم الأدباء».

(٢) في «الكامل»: «درهم».

وسار نحو الهند سنة أربع مئة عازماً على غزوها، فسار إليها واخترقها واستباحها، ولما رأى مَلِكُ الهند أنه لا قوة له به: راسَلَه في الصلح والهدنة على مالٍ يؤدّيه، فصالحه. ثم سار إلى الهند سنة أربع وأربع مئة، وقاتل الهنود أشد قتال، وغنم ما معهم من مالٍ وفيلة وسلاح وغير ذلك. وسار إلى الهند سنة خمس وأربع مئة وقَصَد (تَهانيْسَر)، فهدم الكنائس وكَسَر الأصنام وأخذ الجواهر النفيسة والذهب والفضة وغيرها من الأموال الطائلة.

وكذلك سار إلى كشمير سنة ست[1] وأربع مئة وحاصر قلعة (لوه كوٹ)، واضطرّ الناس ممن يلازمه من البرد والثلج إلى ترك المحاصرة، فرجع إلى غَزْنة. ثم سار سنة سبع وأربع مئة ووصل إلى (قَنُّوج) وفَتَح ما حولها من الولايات الفسيحة، وبلغ إلى حصن قَنُّوج، وكان حصيناً منيعاً لا يكاد أن يُفتَح، ولكن الله سبحانه أَلقَى الرعب في قلب صاحبها، فصالحَه، ثم سار إلى (مِيْرَتْ) ومَلَكها، ثم فتح (مهاون)، وفتح (مَتهْرا) مولد كِرشْن، وهدم الكنائس وكسر الأصنام، وأخذ الأموال الجليلة، وكذلك فتح قلاعاً كثيرة.

وفي سنة تسع وأربع مئة احتشد وجمع أكثر مما تقدم، وقصد كالنجر[2] وسلك مضائقها وفتح مغالقها، وعبر (نهر گنگ)، وجاس البلاد وغنم الأموال وأكثر القتل في الهنود والأَسْر. وفي سنة أربع عشرة وأربع مئة قصد كالنجر، وفتح قلعة (گوالْيار)، وفتح كالنجر على مالٍ يؤدّيه صاحبها.

وفي سنة ست عشرة وأربع مائة قَصَد الهند، وسار إلى (سُومْنات)، وكانت بلدة كبيرة على ساحل البحر، فافتتحها عنوة، وكَسَر الصنم المعروف بِـ «سُومْنات»، وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غَزْنة فجعله عَتَبة الجامع، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مئتا مَنٍّ، وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضية، وقيمة ما في البيوت تزيد على عشرين ألف ألف دينار، فأخذ الجميع ورجع إلى غَزْنة سنة سبع عشرة وأربع مئة، وكَتَب إلى الديوان العزيز ببغداد كتاباً يذكر فيه ما فتح الله على يديه من بلاد الهند، فلقّبه الإمام القادر بالله العباسي بِـ «كهف الدولة والإسلام».

وقد جَمَع سيرتَه أبو النصر محمد بن عبد الجبار العُتبي الفاضل، في كتابه المشهور «تاريخ اليَمِيني». وذكر تاجُ الدين السبكي في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» وأطال الكلام في مناقبه وقال: إنه كان حنفيا ثم انتقل إلى مذهب الشافعي في قصة صلاة القَفّال. وذكر إمامُ الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجُويني في كتابه «مُغيث الخلق في اختيار الأحق» قصة صلاة القفال بحضوره، وهي مشهورة لا نُطوِّل الكلام بذكرها. وذكر القاضي أحمد بن خَلِّكان في كتابه «وفيات الأعيان» ترجمته فأجاد فيها، وذكر ابن الأثير في «الكامل» غزواتِه وفتوحاتِه مفصّلاً، وأبو الفداء في تاريخه بالإجمال، وذَكَر خلقٌ آخرون في كتبهم، وإني ذكرت شيئاً واسعاً من فتوحاته وغزواته في «جَنّة المَشرق»[3].

وللسلطان مصنفات منها: «التفريد» في الفروع، ذكره صاحب «كشف الظنون»، ونَقَل عن الإمام مسعود بن شيبة أن السلطان المذكور كان من أعيان الفقهاء، وكتابه هذا مشهورٌ في بلاد غَزْنة، وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل، ولعله نحو ستين ألف مسألة. انتهى. وفي «التاتارخانية» نقولٌ منه.

ولـمّا رَأَى أن مذهب الشافعي أوفق بظواهر الحديث، تَشَفَّع، بعد أن جَمَع علماء المذهبين، كما ذكره ابن خَلِّكان. انتهى.

وكان عاقلاً دَيِّناً خَيِّراً، عنده علم ومعرفة، وصنّف له العلماء كثيراً من الكتب في فنون العلم، وقصده أهل العلم من أقطار البلاد، وكان يُكرِمهم ويُقبِل

(١) في «الكامل»: أن غزوة كشمير كانت سنة سبع.

(٢) كذا، وفي «الكامل» سنة ٤٠٩ وقصد بَيْدا وأخذ مُلكه، وابتدأ في طريقه بالأفغانية فقصد بلادهم، وسلك مضائقها، وفتح مغالقها وعبر گنگ»، ويأتي قصد كالنجر بعد قليل سنة ٤١٤هـ.

(٣) طُبع هذا الكتاب باسم «الهند في العهد الإسلامي».

عليهم ويُعظِّمهم ويُحسن إليهم، وكان عادلاً كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم، كثيرَ المعروف، كثيرَ الغزوات، ملازماً للجهاد، وفتوحه مشهورة، وفيه ما يستدل على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد. ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق.

وكان جَدَّد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى والرشيد وأحسن عمارته، وكان أبوه سُبُكتِكين خَرَّبه، وكان أهل طوس يُؤذون مَنْ يزوره، فمنعهم عن ذلك.

وكان رَبْعةً، مليح اللون، حَسَن الوجه، صغير العينين، أحمر الشعر. وكان مَرَضُه سوء مزاج وإسهالاً، وبقي كذلك سنتين.

وكان قويّ النفس لم يَضَعْ جَنْبه في مرضه، بل كان يستند إلى مِخَدّة، فأشار عليه الأطباء بالراحة، وكان يجلس للناس بكرةً وعشيةً فقال: أتريدون أن أعتزل الإمارة؟ فلم يزل كذلك حتى تُوفِّي إلى رحمة الله سبحانه قاعداً، وكان ذلك في الحادي عشر من صفر، وقيل ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين وأربع مئة بغَزْنة، كما في «الكامل».

١٧ ـ شهاب الدين مسعود بن محمود الغزنوي

الملك الفاضل المؤيد، شهاب الدين، جمال الملة: أبو سعد مسعود بن محمود بن سُبُكتِگين الغازي الغزنوي، السلطان المشهور.

تَنَبَّل في أيام أبيه، وفتح بلاد طَبَرسْتان، وبلد الجبل وأصفهان وغيرها. وقلّده الإمام القادر بالله خراسان، ولقَّبه «الناصر لدين الله»، وخَلَع عليه، وطَوَّقه سِواراً، كلها في حياة والده.

وكان بأصفهان حين تُوفِّي والده بغَزْنة، وقام بالأمر بعده ولدُه محمدٌ بوصيته، واجتمعت عليه الكلمة، فلما بلغه الخبر سار إلى خراسان، وكَتَب إلى أخيه محمد أنه لا يريد من البلاد التي وَصَّى له أبوه بها شيئاً، وأنه يكتفي بما فتحه من بلاد طبرستان وغيرها، ويطلب منه الموافقة، وأن يُقدِّمه في الخطبة على نفسه، فأجابه محمد جواب مُغَالِطٍ.

وكان محمدٌ هذا سيءَ التدبير منهمكاً في لذّاته، فسار إلى أخيه مسعود محارباً له، وكان بعض عساكره يميل إلى مسعود لكِبَره وشجاعته، ولأنه قد اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد، وبعضُها يخافه لقوة نفسه، فثار بمحمد جُندُه، فأخذوه وحملوه إلى قلعة ووَكلّوا به، واستقرّ المُلك لمسعود.

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة سيَّر عسكراً إلى التيز ومكْران فَمَلَكها وما جاورها. وفي تلك السنة سيَّر عساكره إلى كِرْمان فملكوها، وفي تلك السنة عَصَى نائبُه في أرض الهند أرياق الحاجب، فاستقدمه إلى معسكره ببلْخ، واحتال لقدومه إليه، فأَمَّنه أحمد بن الحسن المهمندي الوزير، وتلقّاه مسعود بالرحب والإكرام وأوقعه في اللذات والخمور، فلما غَفَل عن المكيدة قَبَض عليه ووَلّى على بلاد الهند أحمد نيالتگين الحاجب.

وفي سنة خمس وعشرين وأربع مئة عَصَى نائبُه أحمد نيالتگين ببلاد الهند، فسيَّر إليه جيشاً كثيفاً، فقُتل بقصةٍ شرحتُها في ترجمة (أحمد)، ووَلَّى ولدَه الأمير مجدوداً على بلاد الهند، وفي سنة ست وعشرين أجلَى الغُزَّ وهزمهم، وسار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها.

وفي سنة ثلاثين وأربع مئة سار نحو خراسان وجرى له مع بني سلجوق خُطوبٌ يطول شرحها، وفَتَح بعض قلاعها سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة، وعاد إلى غَزْنة وسيَّر ولده مودوداً إلى خراسان في جيش كثيف ليمنع السلجوقية عنها.

وسار مسعود بعدهم بسبعة أيام يريد بلاد الهند ليَشْتُو بها على عادة والده، فلما سار أخذ أخاه محمداً مسمولاً واستصحب الخزائن، وكان عازماً على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقية، فلمّا عَبَر سَيْحُون وعَبَر بعض الخزائن: اجتمع انوشتكين وجمعٌ من الغلمان ونهبوا ما تخلّف من الخزانة، وأقاموا أخاه محمداً وسلّموا عليه بالإمارة، وبقي مسعود في مَنْ معه من العسكر وحفظ نفسه، فالتقى الجمعان واقتتلوا، وعظُم الخطب على الطائفتين.

ثم انهزم عسكر مسعود وتحصّن في رباط ماريكله،

ثم خرج إليهم فقَبَضوا عليه، وأنفذه محمد إلى قلعة كيكي محفوظاً، وأَمر بإكرامه وصيانته، ثم فوّض محمدٌ أَمْر دولته إلى ولده أحمد، وكان فيه خَبْطٌ وهَوَجٌ فاتفق مع ابن عمه يوسف، وابن على خويشاوند وغيرهما على قتل مسعود، فقتلوه.

وكان السلطان مسعود شجاعاً كريماً، ذا فضائل كثيرة، مُحباً للعلماء، كثيرَ الإحسان إليهم والتقرب لهم، صنّفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلم كـ «القانون المسعودي» في الفنون الرياضية، صنَّفه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المُنجِّم، و «الكتاب المسعودي» في الفقه الحنفي، صنّفه القاضي أبو محمد الناصحي.

وكان مسعودٌ كثيرَ الصدقة والإحسان إلى أهل الحاجة، تصدّق مرةً في شهر رمضان بألف ألف درهم، وأكثَرَ الإدرارات والصلات، وعَمَر كثيراً من المساجد في ممالكه. وكانت صنائعه ظاهرةً مشهورةً تسير بها الركبان مع عِفّة عن أموال رعاياه. وأجاز الشعراء بالجوائز العظيمة، أَعطَى شاعراً على قصيدةٍ: ألف دينار، وأَعطَى آخَر بكل بيتٍ: ألف درهم. وكان يكتب خطاً حسناً.

وكان مُلكه عظيماً فسيحاً، مَلَك أصفهان، والرَّيّ، وهَمَذان وما يليها من البلاد ومَلَك طبرستان، وجُرجان، وخراسان، وخُوارزم، وبلاد الراوَن، وكِرْمان، وسِجِستان، والسند، والرُّخّج، وغَزْنة، وبلاد الغُور، وپنْجاب من أقطاع الهند، ومَلَك كثيراً منها، وأطاعه أهل البَرّ والبحر، ومناقبه كثيرة، وقد صُنِّفت فيها التصانيف المشهورة، فلا حاجة إلى الإطالة.

وكانت وفاته في سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة كما في «الكامل».

١٨ ـ نوشتكين الحاجب الكرخي

نوشتكين الحاجب الكرخي. كان من قواد الدولة الغزنوية.

ولاّه عبد الرشيد بن محمود بن سُبُكْتِكِين الغزنوي على بلاد الهند ـ لعلّه سنة إحدى وأربعين وأربع مئة ـ وبعثه إلى لاهُور، فناب عنه، وأحسن السيرة، وفتح نگركوت مرةً ثانية، كما في «تاريخ فَرِشْتَه».

● ● ●

الطبقة السادسة
في أعيان القرن السادس من أهل الهند

١ ـ أحمد بن زين المُلتاني

الشريف أحمد بن زين بن عمر بن عبد اللطيف الحسيني الملتاني. كان من نسل إسماعيل بن جعفر بن محمد العلوي.

وُلد بأرض الهند، وسار إلىٰ بغداد، وأخذ عن أساتذة الزوراء، وأدرك بها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السُهْرَوَرْدي وطبقته وأخذ عنهم، ولقي الشيخ مودود الچِشْتي بقرية چِشْت عند رجوعه إلى الهند. ويُذكر له كشوفٌ وكرامات.

مات سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وقبرُه بناحية الملتان، كما في «تاريخ الأولياء».

٢ ـ أحمد بن محمد التميمي المنصوري

أبو العباس، أحمد بن محمد بن صالح التميمي المنصوري، من أهل المنصورة. ذكره السمعاني في «الأنساب»، قال: وأبو العباس أحمد بن محمد بن صالح التميمي القاضي السمعاني في «الأنساب»، قال: وأبو العباس أحمد بن محمد بن صالح التميمي القاضي المنصوري من أهل المنصورة، سكن العراق، وكان أظرفَ مَنْ رأيتُ مِن العلماء، سمع بفارس أبا العباس بن الأثرم، وبالبصرة أبا رَوْق الهِزّاني. انتهى.

٣ ـ بَخْتيار بن عبد الله الهندي

أبو الحسن، بَخْتيار بن عبد الله الهندي الصوفي الزاهد.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، قال: إنه عتيق محمد بن إسماعيل اليعقوبي القاضي من أهل بُوشَنْج. شيخٌ صالح، سديد السيرة. سافر مع سيده إلى العراق والحجاز وكُور الأهواز، وسمع ببغداد: الشريف أبا نصر محمداً، وأبا الفوارس طِرَاداً ابنَيْ محمد بن علي الزَّيْنَبِي، وأبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، وبالبصرة أبا علي عليَّ بن أحمد بن علي التُّستَري، وأبا القاسم عبد الملك بن علي بن خلف بن شعبة الحافظ، وأبا يَعْلَى أحمد بن محمد بن الحسن العبدي، وجماعةً كثيرة من أهل الطبقة بأصفهان وسائر بلاد الجبل وخُوزستان. سمعتُ منه بفوشنج[١] وهَرَاة. تُوفِّي سنة اثنتين أو ثِلاث وأربعين وخمس مئة[٢].

٤ ـ بَخْتيار بن عبد الله الهندي

أبو محمد، بختيار بن عبد الله الهندي الفَصّاد.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، قال: إنه عتيق الإمام والدي رحمه الله. سافر معه إلى العراق والحجاز، وسَمَّعه الحديث الكثير. وكان عبداً صالحاً، سمع ببغداد أبا محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السَّراج، وأبا الفضل محمد بن عبد السلام بن أحمد الأنصاري، وأبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري[٣]، وبهَمَذان أبا محمد عبد الرحمن بن حَمْد[٤] بن الحسن

---

(١) هي (بُوشَنْج) نفسها السابقة.

(٢) ذكره السمعاني في رسم (الهندي) من «الأنساب» ١٣/ ٤٣٤.

(٣) كما في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١٣ وقع في الأصل: «وأبا الحسين ابن المبارك...» وذلك تبعاً لنسخة «الأنساب» التي كانت بيد المؤلف.

(٤) في الأصل: «عبد الرحمن بن أحمد»، وفي «معجم البلدان» ٢/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧ «عبد الرحمن بن محمد»، وفي «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٢٣٩ «عبد الرحمن بن حَمْد».

الدُّوني، وبأصفهان أبا الفتح محمد بن أحمد الحدّاد وطبقتهم، وسمعتُ منه شيئاً يسيراً. وتُوفي بمَرْو في صفر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة[١].

٥ ـ مُعزّ الدولة بَهْرام شاه الغزنوي

الملك العادل الباذل: مُعزّ الدولة، بَهْرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين الغزنوي، السلطان المشهور.

وُلد ونشأ بغَزْنة، وتُوفّي والده مسعود سنة ثمان وخمس مئة، فقام بالمُلك بعده ولده أَرْسَلان شاه، فقَبَض على إخوته وسَجَنهم، وهرب بَهْرام شاه إلى خراسان واحتمى بصاحبها سَنْجَر بن مَلِك شاه، فتجهز سَنْجَر للمسير إلى غَزْنة وسار إليها ومعه بهرام شاه، ووقع المَصافّ بينه وبين أرسلان شاه، فهَزَمه، ودخل غَزْنة فأجلَس بَهْرام شاه على سرير جدّه محمود، فأقام الخطبة بغَزْنة له ولسَنْجر[٢]، فرجع سَنْجر إلى خراسان.

وذهب أرسلان شاه إلى بلاد الهند، فاجتمع عليه أصحابه، فقَوِيتْ شوكته، فتوجه إلى غَزْنة، فلما عَرَف بَهْرام شاه قَصْده إليه، خرج إلى بامِيان وأرسل إلى سنجر يُعلمه الحال، فأرسل إليه عسكراً، وأقام أرسلان شاه بغَزْنة شهراً واحداً، ولما بلغه وصول عسكر سنجر: انهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان، وسار بَهْرام شاه في أثره وقَتَله سنة اثنتي عشرة وخمس مئة.

ثم قام بالمُلك بعده وأحسن السيرة في رعيته، وقَرَّب إليه العلماء وأحسن إليهم، وقدم بلادَ الهند وأصلح الفاسد، وأَخَذ على محمد باهليم نائبِه بأرض الهند وقد عَصَى عليه فأدخله في السجن، ثم أطلقه وأَمّره مرةً ثانية، وعاد إلى غزنة، فلما أبعد عن الهند جمع محمد باهليم المذكور عسكراً من الأفغانية والخلج وغيرهما، وشَنّ الغارة على الهنود، وفتح بلاداً وقلاعاً، ثم أظهر العصيان مرةً ثانيةً.

فلما سمع بَهْرام شاه رجع إلى الهند، فلَقِيه بعساكره، واقتتلوا أشد قتال، فقُتِل محمد هذا ومعه أبناؤه، فأَمَّر على الهند حسين بن إبراهيم العلوي ورجع إلى غزنة، وقصده سنجر شاه بعساكره سنة خمس وعشرين وخمس مئة فانهزم عنه، ثم بذل له سنجر الأمان وأعاد إليه بلده وفارق غَزْنة عائداً إلى بلاده.

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة قَصَده سيف الدين السوري الغوري ومَلَك مدينة غَزْنة، ففارقها بَهْرام شاه قبل وصوله إلى غزنة إلى بلاد الهند، وجمع جموعاً كثيرة وعاد إلى غَزْنة، فمَلَكها وصَلَب السوريَّ سنة أربع وأربعين وخمس مئة. فلما سمع ذلك علاء الدين ملك الغور قَصَد غزنة بعساكره، ومات بهرام شاه قبل وصوله إلى غزنة.

وكان عادلاً، حَسَن السيرة، جميل الطريقة، مُحباً للعلماء، مُكرماً لهم، باذلاً لهم الأموال الكثيرة، وجامعاً للكتب، تُقرَأ بين يديه ويَفهم مضمونها، صنَّفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلم، منها: «مخزن الأسرار» صنَّفه له النظامي الگنجوي، ومنها: «كَلِيلة ودِمْنة» ترجموه من العربي إلى الفارسي له، ومنها: «الحديقة» صنَّف له أبو المجد مجدود بن آدم الغزنوي المعروف بِـ (السَّنائي) سنة خمس وعشرين وخمس مئة.

وكانت مدة ولاية بهرام شاه خمساً ـ وقيل: ستاً ـ وثلاثين سنة. قال ابن الأثير في «الكامل»: إنه مات في شهر رجب سنة ثمان وأربعين وخمس مئة. وقال فِرِشْتَه في «تاريخه»: إنه مات سنة سبع وأربعين وخمس مئة على الأصح.

٦ ـ سالار حسين العلوي

سالار حسين بن إبراهيم العلوي، أحد قواد الدولة الغزنوية.

أَمَّره بَهْرام شاه الغزنوي على بلاد الهند بعدما قُتل محمدٌ باهليم نائبُه بأرض الهند، فناب عنه مدة.

(١) ذكره السمعاني في رسم (الهندي) أيضاً. «الأنساب» ١٣/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٢) كذا، وفي «الكامل» ١٠/ ٥٠٦ وأن تكون الخطبة بغَزْنة للخليفة، وللسلطان محمود، وللملك سَنْجَر، وبعدهم لبَهْرام شاه.

٧ ـ حسين بن أحمد العلوي

السيد الشريف: حسين بن أحمد بن حمزة بن عمر ابن محمد بن محمد العلوي المكي ثم الهندي الهانْسَوِي، المشهور بنعمة الله الولي. كان من نسل الإمام عليّ الرِّضا العلوي على ما قيل.

قدم الهند وأَمّره شهاب الدين على سَرِيَّةٍ بعثها إلى قلعة هانسي سنة ثمان وثمانين وخمس مئة فاستُشهد بها. وبَنَى على قبره بعض الأمراء مسجداً، وهذه كتابته: أَمَر ببناء هذا المسجد: عليُّ بن اسفنديار في عشر ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة.

٨ ـ خُسرو شاه الغزنوي

الملك الفاضل: خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين الغزنوي اللاهوري، أحد الملوك الغزنوية.

خرج من غَزْنة لما دخلها علاء الدين الغوري، ومَلَكها سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، فدخل الهند وخَلَف أباه في المُلك بلاهور، ولم يزل بها حتى مات سنة خمس وخمسين وخمس مئة، فقام بالمُلك بعده ولده خُسرو ملك[١].

وقيل: إنه لم يَمُت ولم يزل مَلِكاً على بلاد الهند حتى مَلَكها شهاب الدين الغوري، وقَبَض عليه، وأرسله إلى أخيه علاء الدين ملك الغور، ومعه ولده خسرو ملك، فحبسهما في بعض القلاع، كما في «الكامل».

والصواب المعوّل عليه: أنه مات بلاهور سنة خمس وخمسين وخمس مئة. وكانت مدة حكومته سبعَ سنين، كما في «طبقات ناصري».

٩ ـ خُسرو مَلِك اللاهوري

الملك الفاضل: خُسرو مَلِك بن خُسرو شاه بن بهرام شاه الغزنوي اللاهوري، سلطان الهند وخاتم الملوك الغزنوية.

قام بالمُلك بعد والده سنة خمس وخمسين وخمس مئة، بلاهور، واستقلّ به زماناً، فاجتمع لديه الفضلاء ونالوا منه الصِّلات الجزيلة.

وقَصَد شهاب الدين الغوري الهند سنة خمس وسبعين، وقيل: سبع وسبعين، فلما سمع خُسرو مَلِك ذلك: سار في من معه إلى ماء السند، فمنعه من العبور، فرجع عنه، وقصد پِشَاوَرْ فَمَلكها وما يليها من جبال الهند وأعمال الأفغان، ثم رجع إلى غَزْنة واستراح بها.

ثم خرج منها سنة تسع وسبعين، وقيل: ثلاث وثمانين، وسار نحو لاهور في جمعٍ عظيم، فعَبَر إليها وحَصَرها، وأرسل إلى صاحبها خُسرو مَلِك وإلى أهلها يتهدّدهم إن منعوه، وأعلمهم أنه لا يزول حتى يملك البلد، وبذل الأمان على نفسه وأهله وماله، فامتنع عليه، وأقام شهاب الدين محاصراً له، فلما رأى أهل البلد ذلك ضعُفت نيّاتهم في نصرة صاحبهم، وطلبوا الأمان من شهاب الدين، وخرجوا إليه، ودخل الغُوريّة في البلد.

وأرسل غياث الدين إلى أخيه يطلب صاحب الهند، فسيَّره إليه ومعه ولده بَهْرام شاه، فأَمَر بهما غياثُ الدين، فرُفعا إلى بعض القلاع، وقتلوهما سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، كما في «طبقات ناصري».

١٠ ـ طغاتگين الحاجب

الأمير: طغاتگين الحاجب الغزنوي، أحد قواد الدولة الغزنوية.

أَمَّره علاء الدولة مسعود بن إبراهيم بن مسعود الغزنوي على بلاد الهند، وكان مُقطعاً بلاهور، فأقام بها مدةً من الزمان وناب عنه.

ولم أَدْرِ ما اتَّفق له بعد ذلك. غير أن أرسلان شاه أَمّر على الهند محمد باهليم الحاجب سنة ثمان وخمس مئة، لعلّه أقام بالهند إلى تلك السنة، ثم عُزل ومات.

قال محمد قاسم بن هِنْدُو شاه الاسترابادي في تاريخه: إنه عبر نهر گنگ، ووصل إلى بلادٍ لم يصل إليها أحدٌ قبله من أهل الإسلام غير محمود بن

---

(١) كذا، وفي «الكامل» ١١/ ٢٦٢: ومَلَك بعده ابنُه مَلِك شاه، فلما مَلَك: نزل علاء الدين مَلِك الغور إلى غَزْنة فحَصَرها.

سُبُكْتِكِين الغزنوي، ففَتَح البلاد وغَنِم، ورجع سالماً وغانماً إلى لاهور، انتهى.

١١ ـ عبد الصمد بن عبد الرحمن اللاهوري

الشيخ أبو الفتوح، عبد الصمد بن عبد الرحمن الأشعثي اللاهوري، العالم المحدِّث. روى عن أبي الحسن علي بن عمر بن الحكيم اللاهوري وعن غيره. روى عنه السمعاني بسمرقند، ذكره في «الأنساب».

١٢ ـ علي بن عمر اللاهوري

الشيخ أبو الحسن، علي بن عمر بن الحكيم اللاهوري، العالم المحدِّث.

كان شيخاً أديباً شاعراً كثيرَ المحفوظ مليحَ المحاورة. سمع أبا علي المظفر بن إلياس بن سعيد السعيدي الحافظ.

ذكره السمعاني في «الأنساب»، وقال: لم ألحقه، ورَوَى لنا عنه أبو الفضل محمد بن ناصر السَّلاَمِيّ[1] الحافظ البغدادي، وأبو الفتوح عبد الصمد بن عبد الرحمن الأشعثي اللاهوري بسمرقند. وتُوفِّي سنة تسع وعشرين وخمس مئة.

١٣ ـ عمر بن إسحاق الواشي

الشيخ الإمام: أبو جعفر، عمر بن إسحاق الواشي اللاهوري، أحد العلماء المشهورين في عصره.

كان شاعراً مُجيد الشعر. ذكره نور الدين محمد العوفي في كتابه «لباب الألباب». ومن شعره قوله:

دوش در سوادی دلبر بوده أم
بالب خشك ورخ تر بوده أم
در خمار عبهر مخمور أو
ديده باز ازغم چو عبهر بوده أم
وزنم چشم وتف دل هر زمان
گوئي اندر آب وآذر بوده أم
همچو بحر وكان زآب وخون اشك
پر زدر وپرز گوهر بوده أم

١٤ ـ عمرو بن سعيد اللاهوري

الشيخ عمرو بن سعيد اللاهوري، الفقيه المحدِّث. ذكره الحموي في «المعجم»، قال: أخذ عنه الحافظ أبو موسى المَدِيني محمد بن أبي بكر الأصفهاني المُتوفَّى سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.

١٥ ـ السيد كمال الدين الترمذي

السيد الشريف: كمال الدين بن عثمان بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي طاهر بن زيد بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي العبرة الحسيني العَلَوي الترمذي، أحد الرجال المشهورين.

قدم الهند في سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، لعلّه في ركاب السلطان شهاب الدين الغوري، وسكن بِـ (كيتل)، ومات بها. وله أعقاب كثيرة يُسمَّون بالسادة الترمذية. قيل: إنه مات سنة ست مئة.

١٦ ـ محمد باهليم الحاجب

الأمير: محمد باهليم الحاجب الغزنوي، أحد أمراء الدولة الغزنوية.

ولاّه أرسلان شاه بن مسعود بن إبراهيم الغزنوي على بلاد الهند سنة تسع وخمس مئة. وقُتل أرسلان شاه سنة إحدى عشرة وخمس مئة، فقام بالمُلك بَهْرام شاه، وقصد الهند، فأظهر العصيانَ عليه محمدُ باهليم نائبُه بالهند، فأصلح الفاسد وقَبَض عليه وحَبَسه في التاسع والعشرين من رمضان سنة اثنتي عشرة وخمس مئة، ثم أطلقه من الأسر وأَمَّره على عساكره بالهند مرةً ثانيةً ورجع إلى غَزْنة.

فلما أبعد عن الهند جَمَع محمدُ باهليم عسكراً من الأفغانية والخليج وغيرهم، وشَنّ الغارة على الهنود، وفَتَح البلاد والقلاع، وأَسَّس قلعة بناگور في جبال السولك، واختَزَن بها وأقام عياله فيها، ثم أظهر

---

(١) السَّلاَمي: بفتح السين واللام ألف المُخفّفة، نسبة إلى (مدينة السلام) ببغداد، كما ضبطه السمعاني في «الأنساب» ٧/ ٣٢٣ وقال فيه عن أبي الفضل ابن ناصر السَّلاَمي هذا: «إنه كان يكتب لنفسه: الفارسي الأصل، السَّلاَميّ المولد والدار».

العصيان مرةً ثانيةً، فلما سمع بَهْرام شاه رجع إلى الهند فَلَقِيه بعساكره، واقتتلوا أشدّ قتال، فقُتل ومعه أبناؤه.

١٧ ـ محمد بن عبد الملك الجُرجاني

الشيخ الإمام: خطير الدين، محمد بن عبد الملك الجرجاني، أحد المشايخ المشهورين بمدينة لاهور.

ذكره نور الدين محمد العوفي في «لباب الألباب»، قال: وكان غايةً في العلم والكمال والزهد، لم يكن في زمانه مثلُه في ذلك. ومن شعره قوله:

گردش روزگار پر عبر است
نيك داند كسي كه معتبر است
چرخ پر شعبده است وپر نيرنگ
همه نير نگهاش كارگر است
بد ونيك زمانه مختلط است
غم وشاديش هر دو منتظر است
هست حمال آب دريا ابر
خاك را حقه هاى پر درر است
باز شمشير برق تيغ كشيد
چون يلان كوهسار باكمر است
اندرين روزگار ناسامان
هركه باعاشقيست با هنر است
همچو روباه هست كشته دم
همچو طاوس مبتلاي پر است
اختر وآخشيج بي مهر اند
اگر اين مادر است وآن پدر است
از چنين مادر وپدر چه عجب
گر مواليد مانده در بدر است

١٨ ـ محمد بن عثمان الجُوزجاني

الشيخ الفاضل: محمد بن عثمان بن إبراهيم بن عبد الخالق الجُوزجاني، الإمام سراج الدين بن منهاج الدين اللاهوري، العالم المُبرِّز في الفقه والأصول والعلوم العربية.

وُلد بلاهور، ونشأ بسمرقند، وأخذ عن أساتذة عصره، ثم تقرَّب إلى الملوك والأمراء، فولاّه شهاب الدين الغوري قضاء العسكر بلاهور سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، فاستقلّ به بضع سنين. وفي تسع وثمانين وخمس مئة استقدمه بهاء الدين سام بن محمد البامِياني إلى بامِيان وولاّه القضاء الأكبر، ووَكّله على المدرستَيْن بها، وفَوَّض إليه سائر المناصب الشرعية من الخِطابة والاحتساب وغير ذلك.

ذكره ولده عثمان بن محمد بن عثمان الجوزجاني في كتابه «طبقات ناصري»، وذكره نور الدين محمد العوفي في كتابه «لباب الألباب»، وأثنى على فضله ونَبَالته، ورَوَى هذه الأبيات له:

دل را برخ خوب تو ميل افتاد است
جان ديده بر اميد لبت بكشاد است
چشم آب زن خاك درت خواهدبود
گر عمر وفاكند قرار اين داد است

قال محمد بن عبد الوهاب القزويني في تعليقاته على «لباب الألباب»: إن تاج الدين حرب مَلِك سيستان بَعثه سفيراً إلى الناصر لدين الله الخليفة العباسي إلى بغداد، ثم بعثه غياث الدين الغوري مرةً ثانية، ولما رجع عن بغداد في المرة الثانية ووصل إلى مكران: فاجأه الموت، وتُوفِّي بها في بضع وتسعين وخمس مئة.

١٩ ـ محمود بن محمد اللاهوري

الشيخ محمود بن محمد بن خلف، أبو القاسم، اللاهوري، العالم الفقيه المحدِّث. نزيل إِسْفَرَايِن. تفقّه على أبي المظفر السمعاني وسمع منه، كان يرجع إلى فهم وعقلٍ، وسمع أبا الفتح عبد الرزاق بن حسان المَنِيعي، وأبا نصر محمد بن محمد الماهاني، وبنيسابور أبا بكر بن خلف الشيرازي، وببَلْخ أبا إسحق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الأصفهاني، وبإِسْفَرَاين أبا سهل أحمد بن إسماعيل بن بشر النهرجاني[1]، كتب

(١) لعلّه: «المِهْرَجاني» بالميم، فإنه وصفٌ يُطلَق على «إِسْفرايِن» نفسها، ونُسِب غيرُ واحد إليها هكذا: «المِهْرَجاني». راجع إن شئت: الأنساب، رسم (المهرجاني) ورسم (الإسفراييني).

عنه أبو سعيد بإسفراين سنة نيّفٍ وأربعين وخمس مئة. ذكره الحموي في «معجم البلدان».

وقال السمعاني في «الأنساب»: إنه تفقه على جدِّي الإمام أبي المظفر السمعاني، وسمع منه ومن غيره، سمعتُ منه شيئاً يسيراً بإسفراين وكان قد سَكَنها. وتُوفِّي في حدود سنة أربعين وخمس مئة.

٢٠ ـ مُخلص بن عبد الله الهندي

أبو الحسن، مخلص بن عبد الله الهندي المُهذَّبي، عتيق مُهذَّب الدولة أبي جعفر الدامغاني.

ذكره السمعاني في «الأنساب» قال: هذه النسبة إلى المُهذَّب ـ بضم الميم وفتح الهاء والذال المعجمة المشددة في آخرها الباء الموحدة ـ وهو لقبُ مُعتِق هذا الرجل، قال: كان من أهل بغداد، سمع بها أبا الغنائم محمد بن علي النَّرْسي، وأبا القاسم الرَّزَّاز[1]، وأبا الفضل الحنبلي وغيرهم. كتبتُ عنه شيئاً يسيراً ببغداد. انتهى.

٢١ ـ علاء الدين مسعود الغزنوي

السلطان علاء الدين مسعود بن إبراهيم بن مسعود الغزنوي، الفاضل العادل.

وُلد بغَزْنة سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة، وقام بالملك بعد والده سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة في أيام المستظهر بالله أحمد بن المقتدر الخليفة العباسي، وافتتح أمره بالعدل والإحسان، وأزال المظالم عن الناس، وأبطل المُكُوس، وحَطَّ الجبايات، وأقام عَضُدَ الدولة على الهند كما كان قبله. ثم سيَّر طغاتگين الحاجب إلى الهند للغزو والجهاد، فعَبَر نهر كَنْك ووصل حيث لم يَصِل إليها أحدٌ من الملوك والأمراء قبله من بلاد الهند. وكانت مدة حكومته سبع عشرة سنةً.

(١) «الرزّاز» هكذا هو الصواب، نسبة إلى (الرُّز) وهو (الأرُز) المعروف ووقع بالأصل: «البزار» وهو خطأ. والتصويب من الأنساب نفسه ١٢/ ٤٩٠ (المُهذَّبي)، وانظر أيضاً ٦/ ١٠٦ ـ ١٠٧ (الرَّزّاز).

مات سنة تسع وخمس مئة، وله سبع وخمسون سنةً كما في «طبقات ناصري».

٢٢ ـ السيد سالار مسعود الغازي

سالار مسعود بن ساهو بن عطاء الله، الغازي المجاهد في سبيل الله الشهيد المشهور بأرض الهند. كان من نسل محمد بن الحنفية العلوي.

غزا الهند، واستُشهد بمدينة (بِهْرائِج) من مدن الهند، فدفنُوه بها. وَبَنَى على قبره ملوكُ الهند عمارةً سامية البناء، والناس يَفِدُون عليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزباً شاباً لم يتزوج، فيُزوِّجونه كل سنة ويحتفلون لعُرْسِهِ!! وينذِرون له أعلاماً فينصِبونها على قبره!

وقد ذكره الشيخ محمد بن بطوطة المغربي الرحّالة في كتابه، وقال: إن محمد شاه تُغْلَق سار لزيارة الشيخ الصالح البطل سالار مسعود الذي فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبارٌ عجيبة وغزواتٌ شهيرة، وتكاثر الناس، وزُرنا قبر الصالح المذكور، وهو في قبة لم نجد سبيلاً إلى دخولها لكثرة الزحام. انتهى.

وذكره محمد قاسم بن غلام علي البِيْجاپُوري في كتابه «تاريخ فِرِشْتَه» في ترجمة محمد شاه المذكور، قال: إنه كان من عشيرة السلطان محمود بن سُبُكْتِكين الغزنوي، نال الشهادة من أيدي الكفار في أيام أبناء محمود سنة سبع وخمسين وخمس مئة وبَنَى على قبره محمد شاه المذكور العمارة الرفيعة. انتهى.

والعجبُ كل العجب: أن محمد قاسم المذكور لم يذكره في غزوات الهند، ولم نَرَ أحداً من المشتغلين بأخبار الهند من يذكر غزواته.

وقد صنَّف الشيخ عبد الرحمن الدنتهوي «مرآة مسعودي» في أخباره من المهد إلى اللحد، وأتَى فيه بنقيرٍ وقطميرٍ كأنه صاحبَه في الظعن والإقامة، قال فيه: إنه وُلد بـ (أجمير) في الحادي والعشرين من شعبان سنة خمس وأربع مئة من بطن السِّتر المُعلَّى شقيقة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي. وكان والده مأموراً بأجمير من جهة السلطان المذكور، ونشأ بها، وقرأ العلم على السيد إبراهيم العلوي، وسافر إلى غَزْنة عند

خاله، ثم رجع إلى الهند ومعه أحد عشر ألف فارس، فقاتل الهنود، وفتح دهلي، وقَنُّوج، ومانكپور، وكَرَهْ، وستركهه وبلاداً أخرى، ولما وصل إلى بِهْرائِچ قُتل بيد الكفار في الرابع عشر من رجب سنة أربع وعشرين وأربع مئة. انتهى ملخصاً.

وأنت تعلم ما في هذه القصة من الأمور ليس لها مساغٌ إلى الصحة، فالأقرب إلى الصواب ما ذَكَر محمد قاسم من سَنَة وفاته، ويشبهها ما في «منتخب تنقيح الأخبار» لِ كُنْدَنْ لَعْل بن مَنُو لعل الأودي، فإنه قال: إن راجَهْ بالادتْ قتله سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، المطابقة لسنة تسع عشرة ومئتين وألف البكرمية.

ثم إني ظفرتُ بِـ«معيار الأنساب» لكرامت حسين النصير آبادي، فإذا فيه أن زكريا الحسيني الجائِسي وَفَد الهند مرافقاً للسيد سالار مسعود الغازي في عهد خُسرُو مَلِك، وغزا الهنود وفتح (جائِس). وهذا القول أيضاً مؤيِّدٌ لِمَا ذكرناه. والله أعلم.

٢٣ ـ مسعود بن سعد اللاهوري

العميد الأجل: سعد الدولة، مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري، المشهور بالفضل والكمال.

ذكره نور الدين محمد العوفي وقال: إنه وُلد ونشأ بهَمَذان.

والصحيح أنه وُلد بلاهور ونشأ بها، كما صرَّح به صاحب الترجمة في قصائده.

وتنبَّل في أيام السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي، وأقبل إلى الشعر بعدما نال الفضيلة في كثير من العلوم والفنون، فقرَّبه سيف الدولة محمود بن إبراهيم الغزنوي إلى نفسه حين كان نائباً عن أبيه في بلاد الهند، وولاّه الأعمال الجليلة، فصار في خَفْضٍ من العيش والدَّعة، ومَدَحه الشعراء في القصائد البديعة، وكان يُجزِل عليهم الصِّلات الجزيلة.

وكان في ذلك الحال زماناً حتى توهّم إبراهيم بن مسعود الغزنوي من محمود، وتحسَّس منه شيئاً فأَمَر بحبسه سنة ٤٧٥هـ، وأخذ نُدماءَه فقَتَل منهم جماعةً وحَبَس آخرين، منهم مسعود بن سعد، نزعوا ما له من العُرُوض والعَقَار في الهند، فسار إلى غَزْنَة ليستغيث السلطان، فأَمَر بحبسه في قلعة سو، ثم في قلعة دُهك ولبث بهما سبع سنين، ثم نقلوه إلى قلعة نائي وأقام بها ثلاث سنين، وأنشأ لاستخلاصه رقائقَ أبياتٍ تُحرق الصدور، وتُذيب الصخور، وأرسلها إلى السلطان وإلى نُوّابه، فلم يلتفتوا إليه عشر سنين، ثم خلّصه من الأسر لشفاعة أبي القاسم الخاص، فرجع إلى الهند، واعتزل في بيته زماناً.

ولما تولّى المملكة السلطان مسعود بن إبراهيم الغزنوي، وأمَّر على بلاد الهند وَلَدَه عضد الدولة شيرزاد، وجَعَل أبا النصر هبة الله الفارسي نائباً عنه في الأعمال: ولاّه أبو نصر على (جَالَنْدَهر) من أعمال لاهور، فسار إليها واشتغل بالحكومة مدةً، ولما عُزل أبو نصر عن الوزارة، عزلوه أيضاً، وحُبس في قلعة مَرَنْج، فلبث بها نحو تسع سنين، وأنشأ بديع القصائد في مدائح الأمراء، فلم يَلتفت إليه أحدٌ منهم، حتى وَفّق الله سبحانه ثقة الملك طاهر بن علي بن مُشكان الوزير، فتقدّم إلى شفاعته، وأطلقه السلطان مسعود بن إبراهيم من الأسر، فاعتزل في بيته بمدينة لاهور.

قال العوفي: له ثلاثة دواوين في الألسنة الثلاثة: العربية، والفارسية، والهندية، وديوانه الفارسي متداول في أيدي الناس، وأما العربي والهندي فطارت بهما العنقاء، قال: وله كتابٌ جَمَع فيه مختاراته من أبيات الفردوسي في «شاهْنَامَهْ»، وقد أورد الرشيد الوطواط في «حدائق السحر» عدة أبيات له بالعربية.

ومن حَبْسيّاته:

رسيد عيدو من از روىء حور دلبر دور
چگونه باشم بي روىء آن بهشتى حور
راكه گويد كاي دوست عيد فرخ باد
نگار من به لهاوور ومن به نيشاپور

قد ركضتْ في الدُّجى علينا
دُهْماً خدارية الأعنّه
فبِتُّ أَقتاسُها فكانت
حُبلَى نهارية الأجنّه

٢٤ ـ حميد الدين مسعود بن سعد اللاهوري

الشيخ الفاضل: حميد الدين مسعود بن سعد اللاهوري، المشهور بِشَالي كُوب.

ذكره نور الدين محمد العوفي في «لباب الألباب» وقال: إنه كان من الشعراء المُفلقين، قال: وسمعت بعض الأكابر في لاهور يُنشد له قطعةً في صفة (القلم)، وهي لطيفة:

حبذا ملك همايون توكاب چشمش
بى گمان دارد خاصيت آب حيوان
هست اسرار نهان در دل أو بسياري
تا نبري سرش يبدا نكند سرنهان
دو زبان باشد نمام ودرين نيست شكى
نيست نمام چه گرهست مر او رادوزبان
كه گهى زار شود گريد چون ابر بهار
ازغم آنكه تنى دارد چون برگ خزان
بخورد مشك پس ازديده فرو بارد در
مشك خواري نه بديدم كه بود در باران

إلى غير ذلك من الأبيات.

٢٥ ـ أبو نصر هبة الله الفارسي

الصاحب الكبير قوام الملك نظام الدين: أبو نصر، هبة الله الفارسي. كان من رجال الدولة الغزنوية.

فتح البلاد وَعَمَرها ببَذْله وعطائه، وبَنَى زاوية جميلة بلاهور.

ذكره نور الدين محمد العوفي في كتاب «لباب الألباب»، قال: ولاّه السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي الوزارة الجليلة، فمرض يوم وَلي الوزارة ومات. ومن أبياته قوله في ذلك:

دريغا گوهر فضلم كه در ضدم وبال آمد
بچشم حاسدان لعلم همه سنگ وسفال آمد
چو كلك اندر بنان من بديدي خاطر نحوي
مراتب را خبر دادي كه هان عز وجلال آمد
چو زخم تيغ من ديدي نشه هندوستان در هند
بدستور ارمغان گفتى كه سام پور زال آمد
نماز بامدادي مر نظامي را كمر بستم
نماز شام فرزند مرا نعي زوال آمد

قال محمد بن عبد الوهاب القزويني في تعليقاته على «لباب الألباب» للعوفي: وفي مدحه قصائدُ غرّاء لمسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري، وفيها أبياتٌ تدلّ على أن أبا نصر مات في أيام أرسلان شاه بن مسعود بن إبراهيم الغزنوي ما بين سنة ٥٠٩ وسنة ٥١١، قال مسعود:

بو نصر فارسي ملكا جان بتو سپرد
زيرا سزاي مجلس عالي جز آن نداشت
جان داد در هوات كه باقيت باد جان
اندر خور نثار جزآن باك جان نداشت
شصت وسه بود عمرش چون عمر مصطفى
افزون ازين مقامي اندر جهان نداشت

فظهر من ذلك أن وَلَد أبي نصر مَرِض يوم وَلِي الوزارة أبوه، ومات في ذلك اليوم، يدل عليه قول الفارسي: «نَمَازِ شَامْ فَرْزَنْدِ مرَا نَعْيِ زَوال آمَدْ».

وأما الفارسي فإنه تُوفِّي في أيام أرسلان شاه وله ثلاث وستون سنةً، كما يدل عليه قول مسعود.

وأما قول العوفي: إنه مرض يوم وَلِي الوزارة ومات، فلعله من سهو القلم له، أو للكتاب.

٢٦ ـ يوسف بن أبي بكر الگرديزي

السيدُ الشريف: يوسف بن أبي بكر بن علي بن محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن محمد الديباج بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط، الشيخ جمال الدين يوسف الگرديزي ثم الملتاني، العابد الزّاهد الفقيه.

وُلد بقرية گرديز من أعمال غَزْنة سنة خمسين وأربعة مئة، وأَخَذ عن أبيه عن جدِّه عن الشيخ أبي يزيد البِسْطامي. وقيل: إنه أخذ عن جدِّه. وانتقل من گرديز إلى مُلْتان وتولّى الشِّياخة بها. أَخَذ عنه خلق كثير.

وكان عظيمَ الورع شديدَ التعبد، كثيرَ الخشية لله سبحانه. يُذكر له كشوف وكرامات.

تُوفِّي لاثنتي عشرة خلون من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة بمدينة مُلْتان، فدُفن بها، كما في «جمال يوسف».

٢٧ ـ يوسف بن محمد الدَّرْبَنْدي

الأمير الفاضل: يوسف بن محمد الدربندي، جمال الفلاسفة ثقة الدين، اللاهوري. كان من الأفاضل المشهورين في عصره.

خَدَم الملوك الغزنوية، ونال المدارج العالية في الإمارة في أيام خُسرُو مَلِك بن خُسرو شاه الغزنوي، ثم رفض الدنيا وأسبابها، واعتزل بمدينة لاهور.

وله أبيات رقيقة رائقة في المديح والتغزُّل، أنشأها في شبابه، منها قوله:

جانا جفا مكن كه جفا را نه در خوريم
آن به كه در زمانه وفا را بپروريم
تاكي براي وصل تو دل در فنا نهيم
تاكي زدست هجر تو خون در جگر خوريم
در ماچه ديلهٔ كه همي بنگري تو بيش
بگداز تا بروي تويكبار بنگريم

إلى غير ذلك من الأبيات.

مات ودُفن بلاهور، وقبره يُزار ويُتبرّك به، كما في «لباب الألباب» للعوفي.

● ● ●

الطبقــة السابعــة
في أعيان القرن السابع

حـرف الألـف

١ ـ الشيخ أبو بكر بن يوسف السِّجزي

الشيخ العالم الكبير العلامة: أبو بكر بن يوسف بن الحسين السقراني، الإمام سراج الدين السجزي، أحد كبار العلماء المُبرِّزين في الفقه والأصول والعربية.

درَّس وأفاد مدة طويلة بدار الملك دهلي في عهد السلطان غياث الدين بَلْبَنْ ومَنْ قبله من الملوك. أخذ عنه جمعٌ كثير من العلماء.

وكان السلطان غياث الدين المذكور يُكرمه غاية الإكرام، ويتردّد إليه في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة، ويَحظَى بصحبته، كما في «تاريخ فِرِشْتَهْ».

٢ ـ الشيخ أحمد بن علي الترمذي

السيد الشريف العفيف: أحمد بن علي بن الحسين بن محمد بن الحسن بن موسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين السبط ـ على جدِّه وعليه السلام ـ. كان من السادة القادمين إلى أرض الهند.

وُلد ونشأ بمدينة تِرْمذ، وانتقل إلى لاهور بعدما تُوفِّي والده، فسكن بها وأعقب. ونهض من أعقابه جماعةٌ من العلماء تَفُوق الإحصاء، وهم يُدعَون بالسادة الترمذية.

وكانت وفاته في سنة اثنتين وست مئة بلاهور، كما في «خزينة الأصفياء».

٣ ـ الشيخ أحمد بن محمد الهانْسَوِي

الشيخ الصالح الفقيه: أحمد بن محمد بن مظفر بن إبراهيم الخطيب، جمال الدين، النعماني الهانسوي، أحد كبار المشايخ الجِشْتيّة.

وُلد ونشأ بمدينة هانسِي، وأَخذ الطريقة عن الشيخ فريد الدين مسعود الأَجُودَهني.

ولأجله أقام الشيخ المذكور بمدينة هانسِي اثنتي عشرة سنةً. وكان إذا استَخلف أحداً وكتب له الإجازة: بَعَث بها إلى جمال الدين، فإن قَبِلها الجمال وأثبَت عليها خاتَمه: قَبِلها الشيخ أيضاً، وإن رَدَّها الجمال ردَّها الشيخ، يقول: لا يُرتَق ما فَتَقه الجمال، ويقول: الجمال جمالي.

وله رسالة سماها بِـ «المُلهمات» بالعربية. وله ديوان شعر بالفارسي. ومن شعره قوله:

تــا حــكــم ســمــاع را بــدانــي در حــال
در حـرمـت وحـلـتـش سـخـن گـفـت جـمـال
أصـحــاب نـفــوس را حــرام اســت حــرام
أربــاب قــلــوب را حــلال اســت حــلال

مات في سنة تسع وخمسين وست مئة، كما في «أخبار الأخيار».

٤ ـ كمال الدين أحمد الدحميني

الشيخ العالم الكبير: كمال الدين أحمد الدحميني، المحدِّث.

ذكره الذهبي في كتابه «العبر فيمن عَبَر»[1]، قال: إنه مات بالهند سنة إحدى وسبعين وست مئة.

٥ ـ نجم الدين أبو بكر

صدر الملك نجم الدين أبو بكر الدهلوي، أحد رجال السياسة.

استوزره علاء الدين مسعود شاه سنة أربعين وست مئة، وعَزَله ناصر الدين محمود بن أَلْتَمش سنة إحدى وخمسين وست مئة، ووَلي الوزارة مرةً ثانية يوم الأحد سادس ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وست مئة، وعُزل يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وست مئة، ذكره منهاج الدين الجوزجاني في «الطبقات».

٦ ـ الشيخ أبو بكر الطوسي

الشيخ الصالح: أبو بكر الحيدري الطوسي، أحد المشايخ المشهورين في عصره.

قدم دهلي في عهد السلطان غياث الدين بَلْبَنْ، وسكن بها على نهر جَمن، وبَنَى زاوية كبيرة، وكان يُطعم الفقراء والمساكين ويستمع الغناء. وكان قَلَندريّ المشرب، ولكنه كان غايةً في اتباع الشريعة.

وكان الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد الخطيب الهانْسَوِي يعترف بفضله وكماله، ويتردّد إليه ويحظَى بصحبته، كما في «أخبار الأخيار».

٧ ـ الشيخ أبو غفار الحسيني الخوارزمي

الشيخ الصالح: أبو غفار بن جمال الدين الحسيني الرضوي الخوارزمي، أحد العلماء المُبرِّزين في المعارف الإلهية.

انتقل والده من خوارزم إلى الهند في فتنة التّتر فسكن بلاهور، ولما تُوفّي بلاهور تصدّر للإرشاد بعده ولدُه أبو غفار.

وكان صالحاً، حَسَن الأخلاق، حُلو المنطق.

(١) اسم الكتاب بتمامه: «العبر في خبر من عَبَر».

مات سنة إحدى وستين وست مئة بلاهور فدُفن بها، كما في «خزينة الأصفياء».

٨ ـ شرف الدين أحمد الدماوندي

الشيخ الفاضل: شرف الدين أحمد الدماوندي، أحد الأفاضل المشهورين في عصره.

أدركه نور الدين محمد العوفي بمدينة لاهور، وذكره في «لباب الألباب» في ترجمة أبي جعفر عمر بن إسحاق الواشي.

٩ ـ الشيخ إسحاق بن علي البخاري

الشيخ العالم الفقيه الزاهد: إسحاق بن علي بن إسحاق البخاري، الشيخ بدر الدين الدهلوي، كان من كبار العلماء. يتّصل نَسَبُه بعمر الأشرف بن الإمام علي بن الحسين السبط ـ على جده وعليه السلام ـ.

وُلد ونشأ بمدينة دهلي، وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي بن إسحاق البخاري، ودرّس وأفاد مدة طويلة في المدرسة المُعزِّية بدهلي، ثم سافر إلى بُخارى، فلما بلغ إلى (أَجُودَهن) وسمع مآثر الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني مال إليه ولَقِيه، فلما آنس منه الشيخ آثار فضله أَمَره بالإقامة لديه، وزوَّجه ابنته وألبسه الخِرقة، فلازمه مدة حياته.

وكان عالماً، فقيهاً، زاهداً، سخياً، شجاعاً، شاعراً، من أهل التفنن في العلوم، مقدَّماً في المعارف، كثيرَ البكاء، شديد الخشية، مقرُوح المُقْلة لكثرة البكاء وسيلان الدموع.

أراد الشيخ الكبير أن يبعثه للهداية والإرشاد إلى بعض البلاد، كما بعث أصحابَه إلى (كَلْيَر)، وبعضَهم إلى دهلي فلم يقبل، وأصرّ على إقامته في حضرته حتى يموت ويُدفَن تحت قدمه.

وله مصنفات، منها: «أسرار الأولياء» جمع فيه ملفوظات شيخه، ومنها منظومة عربية في التصريف.

مات في سادس جمادى الآخرة سنة تسعين وست مئة، بِـ (أَجُودَهْن) ودُفن بها.

١٠ ـ القاضي إسماعيل بن علي السندي

الشيخ الفاضل: إسماعيل بن علي بن محمد بن موسى بن يعقوب الثقفي السندي، الفقيه الخطيب القاضي بمدينة ألور من بلاد السند.

وَرِث القضاء والخطابة من آبائه، وكان عالماً ماهراً بالفنون الأدبية والحِكمية، تلُوح على مُحيّاه أنوار التقديس.

ذكره علي بن الحامد الكوفي السندي في «تاريخ السند» وقال: إني لقيتُه بمدينة ألور، ووجدتُ عنده أجزاء من تاريخ السند وغزواتِ المسلمين عليها وفتوحاتِهم بها بالعربية، كتبها جدود القاضي، فأخذتُ منه ونقلتُها إلى الفارسية.

١١ ـ الشيخ أيوب التركماني

الشيخ الصالح: أيوب بن أبي أيوب التركماني الدهلوي الزاهد. كان يلبس الصوف.

سكن بمارهرة زماناً، ثم دخل دهلي واعتكف برهة من الزمان في قصر الحوض السلطاني.

وكان نافذَ الكلمة عند السلطان مُعزّ الدين بَهْرام شاه، يَعتقد في فضله وصلاحه السلطان، ويتلقّى إشاراتِه بالقَبول. ذكره القاضي منهاج الدين الجوزجاني في «الطبقات».

حرف الباء الموحدة

١٢ ـ الشيخ بدر الدين الغزنوي

الشيخ الصالح الفقيه: بدر الدين الغزنوي ثم الدهلوي، أحد كبار المشايخ الچشْتية. قدم لاهور في صِغر سِنّه، واشتغل بالعلم وقرأ على أساتذة عصره، ثم دخل دهلي، وسمع نبأ فتنة التتر في بلاده، وبلغه أن أباه وأمه قُتلا في تلك الفتنة، فألقَى عصاه بدهلي وسكن بها.

وأخذ الطريقة عن الشيخ قطب الدين بَخْتِيار الأوشي، ولازمه فما فارقه مدة حياته، وتولّى الشِّياخة بعده بمدينة دهلي. أخذ عنه الشيخ إمام الدين المتوفى سنة ثمانين وسبع مئة.

وكانت وفاتُه في حالة التواجد على سُنّة شيخه، بدار المُلك دهلي، في سنة سبع وخمسين وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

١٣ ـ الشيخ بدر الدين الدَّلْمَوي

الشيخ الصالح الفقيه: بدر الدين العلوي الحسيني الدلموي، أحد المشايخ الچشتية، ممن سعد بصحبة الشيخ الكبير عثمان الهاروني، أخذ عنه الطريقة الچشتية، وقدم الهند، فسكن بِـ (دَلْمَؤ) ـ بفتح الدال المهملة ـ على عشرة أميال من بلدتنا «رايْ بَرِيْلِي»، وقبره بها مشهور يُزار ويُتبرّك به[1] مات في سنة ست وأربعين وست مئة، وعمل بعضُ أصحابه تاريخاً لوفاته من: «بَدْرتم» كما في «مهْر جَهَانْتاب». وقد زُرتُ قبره، فقرأتُ في لوحٍ على القبر: «بَدْرتم».

١٤ ـ الشيخ بدر الدين البَدَايُوني

الشيخ الكبير: بدر الدين أبو بكر البدايوني، أحد الأولياء المشهورين في الهند. كان صِنْو الشيخ حسن رَسَنْ تاب[2].

أخذ عن أخيه، ثم عن الشيخ قطب الدين بَخْتيار الدهلوي ولبس منه الخرقة، ثم رجع إلى بَدَايُوان. وكان كأخيه يتكسّب بصناعة الفَتْل.

قال ضياء الدين النَّخْشبي في «سلك السلوك»: إن أبا بكر ابتُلي بمرضٍ مرةً، فذهبتُ إليه لعيادته، فرأيته يُنشد ويكرر هذا البيت:

"ايـن تـن چـو غـبـارى اسـت مـيـان مـن وتـو

آمـد وقـتـي كـه از مـيـان بـر خـيـزد

تُوفِّي في القرن السابع، كما في «مِهْر جَهَانْتاب».

(١) حكاية حال.

(٢) الرَّسَن هو الحَبْل. وقد ترجم المؤلف للشيخ حسن هذا فيما يأتي ص ٩٣ وفسّر هناك هذا اللقب: و (رَسَنْ تاب) بمعنى (الفتّال) لأنه كان يتكسّب بهذه الصناعة وهي صناعة فَتْل الحبل.

١٥ ـ الشيخ بدر الدين السمرقندي

الشيخ العالم الفقيه: بدر الدين الفردوسي السمرقندي ثم الدهلوي، أحد المشايخ المشهورين بأرض الهند.

أخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين الباخرزي ولازمه مدة من الزمان، وقيل: إنه أخذ عن الشيخ نجم الدين الكُبْرَى[1] بدون واسطة الباخَرْزي. والصحيح أنه أدرك الشيخ نجم الدين المذكور ولم يأخذ عنه، بل أَخَذَ عن البَاخرزي، وهو عن الشيخ نجم الدين الكُبْرَى صاحب الطريقة، كما في «مناقب الأصفياء».

قدم دهلي في أيام الشيخ قطب الدين بَخْتيار الأوشي. وكان حَسَن الصورة والسيرة، غالياً في استماع الغناء، وكان إذا أقبل على أحدٍ من أصحابه في حالة السماع يحصل له ذوقٌ ووَجْدٌ. وهو أول من دخل الهند من مشايخ الطريقة الفردوسية وسكن بها، أخذ عنه الشيخ ركن الدين الدهلوي وخلقٌ آخرون.

مات في أيام الشيخ نظام الدين محمد البدايوني الدهلوي، كما في «أخبار الأخيار». وما في «خزينة الأصفياء»: أنه تُوفِّي سنة ست عشرة وسبع مئة، لا يصلح للاعتماد عليه.

١٦ ـ مولانا برهان الدين البزار

الشيخ الفاضل العلامة: برهان الدين البزار الحنفي الدهلوي، أحد كبار الفقهاء في عصر السلطان غياث الدين بَلْبَنْ.

كان يُدرِّس ويفيد بدار المُلك دهلي، وكان السلطان يكرمه غاية الإكرام ذكره البرني في تاريخه.

١٧ ـ مولانا برهان الدين النسفي

الشيخ العالم الكبير: برهان الدين النسفي، أحد العلماء المُبرِّزين في الفقه والأصول والعربية.

كان يدرِّس ويفيد بدار المُلك دهلي، أخذ عنه خلقٌ كثير من العلماء والمشايخ.

وكان إذا أَتَى إليه رجلٌ للعلم، يشترط عليه ثلاثة أمور: الأول: أنه لا يأكل في اليوم والليلة إلا مرة واحدة ما يشتهيه من الطعام، والثاني: أنه لا يتأخر عن الحضور في الدرس يوماً من الأيام، فإن تقاصر عنه ولو مرة واحدة لا يُقرئه أبداً، والثالث: أنه إذا لقيه في الطريق فيكتفي بالتحية المسنونة، ولا يزيد على ذلك من تقبيل الرِجْل وغيره. انتهى ما في «فوائد الفؤاد».

حـرف التـاء المعجمـة

١٨ ـ تاج الدين الدُّزّ المعزّي

الأمير الكبير: تاج الدين الدز التركي المعزي، كان أول مماليك السلطان شهاب الدين الغوري وأكبرهم وأقدمهم وأكبرهم محلاً عنده، بحيث إن أهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه في أشغالهم.

فلما قُتل شهاب الدين سنة اثنتين وست مئة طمع أن يملك غَزْنة، واستولى على الأموال والسلاح والدواب وغير ذلك مما كان صحبة شهاب الدين في سفره، وجمع له العساكرَ من أنواع الناس: الأتراك والخلج والغُزُّ وغيرهم، وسار إلى غَزْنة، فسَبَقه علاء الدين بن بهاء الدين سام ومَلَكها ـ وكان والدُه بهاء الدين سام ابنَ أخت شهاب الدين ـ فقاتله وأجلاه إلى إقطاعه (بامِيان).

وأقام بداره أربعة أيام يُظهر طاعة غياث الدين محمود بن محمد بن سام بن الحسين الغوري، إلا أنه لم يأمر الخطيبَ بالخطبة له ولا لغيره، وإنما يخطب للخليفة، ويترحم على شهاب الدين الشهيد فحسب.

فلما كان اليوم الرابع قَبَض على أمير داد والي غَزْنة، فلما كان الغد أحضَر القضاة والفقهاء والمُقدّمين، وأَحضر أيضاً رسولَ الخليفة ـ وهو الشيخ مجد الدين أبو علي بن الربيع الفقيه الشافعي مدرّس النّظامية ببغداد، وكان قد ورد إلى غَزْنة رسولاً إلى شهاب الدين، فقتل شهاب الدين وهو بغزنة ـ فأرسل إليه وإلى قاضي غَزْنة يقول له: إنني أريد أن أنتقل إلى الدار السلطانية، وأن أُخاطَب بالملك، ولا بد من

---

(١) الكُبْرى على وزن فُعْلى لقبٌ له. راجع: توضيح المشتبه ٣/٤١ ـ ٤٢ (جنّاب) وأيضاً ٧/٢٧٩ (الكبرى).

حضورك، والمقصود من هذا أن تستقر أمور الناس، فحضر عنده، فركب والناس في خدمته، وعليه ثياب الحزن، وجلس في الدار في غير مجلسٍ كان يجلس فيه شهاب الدين، فتغيرت لذلك نيّاتُ كثير من الأتراك، لأنهم كانوا يطيعونه ظناً منهم أنه يريد الملك لغياث الدين.

وكَتَب غياث الدين إلى الدز يطلب منه الخطبة والسكة، وسيَّر له الخِلَع، فلم يفعل، وأعاد الجواب فغالَطَه، وطَلَب منه أن يخاطبه بالملك، وأن يُعتقه من الرِّق، لأن غياث الدين ابن أخ سيده لا وارث له سواه، وأن يُزوِّج ابنه بابنة الدز، فلم يُجِبه إلى ذلك.

واتفق أن جماعة من الغوريين من عسكر صاحب (باميان) أغاروا على أعمال كرمان وسوران ـ وهي إقطاع الدز القديمة ـ فغنموا، فأرسل صهره صونج في عسكرٍ، فلقُوا عسكر الباميان، فظفر بهم وقَتَل منهم كثيراً.

وأجرى الدزُّ في غَزْنة رسوم شهاب الدين، وفرَّق في أهلها أموالاً جليلة المقدار، وأَلزَم مؤيد الملك بن خواجه السجستاني الذي كان وزيراً لشهاب الدين أن يكون وزيراً له، فامتنع من ذلك، فألحّ عليه، فأجابه على كُرهٍ منه، فدخل على مؤيد الملك صديقٌ له يهنئه، فقال: بماذا تُهنّئني؟ من بعد ركوب الجواد بالحمار؟! وأنشد:

ومَـــنْ ركـــب الـــثـــور بـــعـــد الـــجـــوا
دِ، أنـــكـــر إطـــلاقَـــه والـــغَـــبَـــبْ

بينا الدّزّ يأتي إلى بابي ألف مرة حتى آذن له في الدخول: أُصبح على بابِهِ! ولولا حفظ النفس مع هؤلاء الأتراك لكان لي حكمٌ آخر.

فبينما الدز في هذا: أَتَى الخبر بقرب صاحب (باميان) في العساكر الكثيرة، فجهّز الدز كثيراً من عسكره، وسيَّرهم إلى طريقهم، ولقُوا أوائل العسكر، فقُتل من الأتراك، وأدركهم العسكر فلم يكن لهم قوة بهم، فانهزموا، ووصلوا إلى غَزْنة، فخرج عنها الدز منهزماً يطلب بلدة كرمان، فأدركه بعض عسكر باميان، فقاتلهم قتالاً شديداً فردَّهم عنه، وأحضر من كرمان مالاً كثيراً وسلاحاً ففرَّقه في العسكر، وسار عن كرمان. ومَلَك صاحبُ باميان: كرمان وغزنة ونَهَبها.

ثم جمع الدزُّ ومن معه من الأتراك عسكراً كثيراً وعادوا إلى غزنة، ونزلوا بإزاء قلعة غزنة، وأَمَر الدزُّ: فنُودي في البلد بالأمان وتسكين الناس من أهل البلد.

ومَلَك القلعة بعد زمانٍ، وأَسر صاحبَ باميان، وكَتَب إلى غياث الدين بالفتح، وأرسل إليه الأعلام وبعض الأسرى، فكَتَب إليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له، فأجابه في هذه المرة أشدّ منه فيما تقدم، فأعاد غياثُ الدين إليه يقول: إما أن تخطب لنا وإما أن تُعرِّفنا ما في نفسك! فلما وصل الرسول بهذا: أَحضَر خطيبَ غَزْنة وأمره أن يخطب لنفسه بعد الترحم على شهاب الدين، فخطب لتاج الدين الدزّ بغَزْنة، فلما سمع الناس ذلك ساءهم، وتغيرت نياتهن ونيات الأتراك الذين معه، ولم يروه أهلاً أن يخدموه، وإنما كانوا يطيعونه ظناً منهم أنه ينصر دولة غياث الدين.

فلما خطب لنفسه أرسل إلى غياث الدين يقول له: بماذا تشتطّ عليّ وتتحكّم؟ هذه الخزانة نحن جمعناها بأسيافنا، وهذا المُلك قد أخذتُه، وأنت وعدتَني بأمورٍ لم تَفِ بها، فإنْ أنت أعتقتَني خطبتُ لك وحضرتُ خدمتك.

فلما وصل الرسول: أجابه غياث الدين إلى عتق الدز بعد الامتناع الشديد، وأرسل إليه ألف قَباء، وألف قلنسُوة، ومناطق الذهب، وسيوفاً كثيرة، وجِتر، ومئة رأس من الخيل، فَقبِل الدز الخِلَع، وردّ الجِتر وقال: نحن عبيدٌ ومماليكٌ، والجِتر له أصحاب.

ثم إنه لما سمع أن غياث الدين يريد أن يصالح خوارزم شاه، جَزِع لذلك جزعاً عظيماً، وسار إلى تَكْياباد فأخذها، وإلى بُسْت وتلك الأعمال فَمَلَكها، وقطع خطبة غياث الدين منها.

وقُتل غياث الدين محمود سنة أربع وست مئة، قتله خوارزم شاه، ومَلَك خوارزم شاه غَزْنة وأعمالها سنة اثنتي عشرة وست مئة، وهرب الدزّ إلى لاهور، فلَقِيه صاحبُها ناصر الدين قَبَاجَهْ ومعه نحو خمسة عشر ألف فارس، وكان قد بقي مع الدز نحو ألف وخمس مئة فارس، فوقع بينهما مصافّ واقتتلوا، فانهزمت ميمنة

الدز وميسرته، وأُخِذت الفيلة التي معه، ولم يبق له غير فيلَيْن معه في القلب، فكشف الدزّ رأسه وقال: إما مُلكٌ وإما هُلْكٌ! واختلط الناس بعضهم ببعض، فانهزم قَبَاجَهْ، ومَلَك الدز مدينة لاهور، ثم سار إلى بلاد الهند، فلما سمع به شمس الدين الأَيلْتَمِش صاحب الهند، سار إليه في عساكره كلها، فلقيه عند مدينة سامانة فاقتتلوا، فانهزم، وأُخذ وقُتل.

وكان الدزّ محمودَ السيرة في ولايته، كثيرَ العدل والإحسان إلى الرعية، لا سيما التجار والغرباء.

ومن محاسن أعماله: أنه كان له أولادٌ، ولهم معلِّمٌ يعلِّمهم، فضرب المعلِّمُ أحدَهم فمات، فأحضره الدز وقال له: يا مسكين! ما حَمَلك على هذا؟ فقال: والله، ما أردتُ إلا تأديبه، فاتّفق أن مات! فقال: صدقتَ، وأعطاه نفقةً وقال له: تَغَيَّبْ! فإن أمه لا تقدر على الصبر، فربما أهلكتْك ولا أقدر أمنع عنك، فلما سمعتْ أم الصبيّ بموته طلبتْ الأستاذ لتقتله، فلم تجده، فسَلِم! وكان هذا من أحسن ما يُحكَى عن أحدٍ من الناس. كما في «الكامل».

١٩ ـ مولانا تاج الدين الدهلوي

الشيخ الفاضل: تاج الدين الدهلوي الدَّبِير المشهور بِـ «رِيْزَهْ».

ولي ديوان الرسائل في عهد السلطان شمس الدين الأيلتمش. وكان فاضلاً شاعراً مُجيد الشعر. وكان حقيرَ الجثة، ولذلك لقّبوه بِـ «رِيْزَهْ»، معناه: الفَتِيت.

ومن شعره: قولُه يهنّىء السلطان شمس الدين بفتح قلعة كَوَالْيار سنة ٦٣٠:

هر قلعه كه سلطان سلاطين بگرفت
ازعون خدا ونصرت دين بگرفت
آن قلعه كاليور وآن حصن حصين
در ستمائة سنة ثلاثين بگرفت

وقوله: في ركن الدين بن الأيلتمش:

مبارك باد ملك جاوداني
ملك را خاصه در عهد جواني
يمين الدولة ركن الدين كه آمد
درش از يمن چون ركن يماني

٢٠ ـ مولانا تقي الدين الإنْهُونْوِي

الشيخ الفاضل: تقي الدين بن محمود الإنهونوي الأَوَدِي، كان من رجال العلم والطريقة.

يذكره الشيخ نظام الدين البَدَايُوني بالخير. وقبرُه بِـ (إنْهُونَهْ) ـ بكسر الهمزة ـ قرية من أعمال راي بريلي. وكان شقيق داود بن محمود، كما في «مِهْر جَهَانتاب».

حرف الجيم

٢١ ـ القاضي جلال الدين الكاشاني

الشيخ العالم القاضي: جلال الدين الكاشاني.

كان قاضي الممالك بدار المُلك دهلي، عَزَله عنه معزّ الدين بَهْرام شاه سنة تسع وثلاثين وست مئة، واتّهمه بأنه يريد أن يخلع السلطان، فسار نحو (أَوَدْه) ووَلي القضاء بها. ولما ولي المملكة علاءُ الدين مسعود شاه، قرَّبه إليه، وبعثه إلى (لَكْهنُوتي) سنة إحدى وأربعين وست مئة بالسِّفارة إلى الأمير طَغَانخان نائبه على بلاد لكهنوتي.

وولي قضاء الممالك مرةً ثانية يوم الاثنين عاشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وست مئة في أيام السلطان ناصر الدين محمود بن الأيلتمش.

مات يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وست مئة، كما في «طبقات ناصري».

حرف الحاء

٢٢ ـ حسن بن أحمد الأشعري

الأمير الكبير بهاء الملك: تاج الدين الحسن بن شرف الملك رضي الدين أبي بكر أحمد الأشعري، أحد الرجال المعروفين في الجُود والكرم. كان من نسل أبي موسى الأشعري.

استوزره السلطان ناصر الدين قَبَاجهْ مَلِك السند، فَخَدمه إلى سنة خمس وعشرين وست مئة، ولما هلك

ناصر الدين ومَلَك بلاده شمسُ الدين الأيلتمش الدهلوي، لَحِق به، وخَدَمه إلى وفاته، ثم خدم ولده ركن الدين فيروز شاه. ولما خرج على فيروز شاه الأمراءُ وحبسوه: قَتَل غلمانُه جماعةً من الأمراء، منهم بهاءُ الملك الأشعري، لعله سنة أربع وثلاثين وست مئة.

٢٣ ـ الشيخ معين الدين حسن بن الحسن السِجزي الأَجمِيري

الشيخ الإمام الزاهد الكبير: الحسن بن الحسن السجزي، شيخ الإسلام معين الدين الأجميري، الوليّ المشهور.

كان مولده سنة سبع وثلاثين وخمس مئة ببلدة سجستان، وتُوفِّي أبوه وهو في الخامسة عشرة من سِنّه وأَعقَب له بستاناً، ورَحًى، فاسترزق بهما مدة.

ثم أخذتْه الجذبة الربانية، فتَرَك ما له من العُروض والعَقار، وسافر إلى سمرقند فحفظ القرآن وقرأ العلم حيثما أمكن له، ثم سافر إلى بلاد أخرى، ودخل هارون ـ قرية من أعمال نيسابور ـ وأدرك بها الشيخ عثمان الهاروني فلازمه، وأخذ عنه الطريقة، وصَحِبه عشرين سنة، ثم قدم الهند وأقام بمدينة لاهور واعتكف على قبر الهجويري والزنجاني، ثم قدم دهلي، ثم سار إلى أجمير وسكن بها، وكانت تحت سلطة الهنود في ذلك الزمان، فأسلم على يده خلقٌ كثير.

ويُذكر له كشوفٌ وكرامات ووقائع غريبة. والإحاطةُ ببعض البعض من مناقب هذا الإمام تقصُر عنها ألسُن الأقلام، فمن رام الوقوف على ما يكون له من أعظم العِبر فلينظر سيرته، في «سير الأولياء» و «أخبار الأخيار» وغيرهما من الكتب المعتبرة.

تُوفِّي يوم الاثنين سادس رجب سنة سبع وعشرين ـ وقيل: اثنتين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين ـ وست مئة، وله خمس وتسعون. وقبره مشهور ظاهر بمدينة أَجمِير يُزار ويُتبرّك به[١].

---

(١) حكاية حال. ولا شك أن له فضلاً كبيراً في انتشار الإسلام في الهند، وإقبال الناس عليه زَرافاتٍ ووُحداناً، كما صرح به المؤرخون. (الندوي).

٢٤ ـ الشيخ صلاح الدين حسن الكيْتَهلي

الشيخ الصالح: حسن بن محمد بن الحسين بن علي البلخي، أبو المجاهد، صلاح الدين. قدم الهند وقاتل الهنود، واستُشهد بِ (كِيْتَهل) لتسع خلون من ذي الحجة سنة عشرين وست مئة، وبَنَى الملوكُ على قبره قبة عظيمة كتبوا عليها: «إن هذه المقبرة للصدر الشهيد الشيخ الكبير صلاح الدين أبي المجاهد الحسن بن محمد بن الحسين بن علي الأكبر البلخي».

وقد عاش ثمانياً وتسعين سنة. ومات في يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة سنة عشرين وست مئة.

٢٥ ـ الشيخ حسن بن محمد الصَّغَاني

الشيخ الإمام الكبير: رضيّ الدين أبو الفضائل، الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العَدَوي العُمري الصَّغَاني ـ بفتح الصاد المهملة وتخفيف الغين المعجمة ـ ويقال: الصاغاني، نسبة إلى صاغان مُعرّب (چاغان) قرية بمَرْو[٢].

وُلد بمدينة لاهور في خامس عشر من صفر سنة سبع وخمسين وخمس مئة[٣]، في أيام خُسرُو مَلِك بن خُسرو شاه الغزنوي.

فلما ترعرع وبلغ أَشُدَّه: أخذ العلم عن والده، وعرض عليه قطب الدين أيبك القضاء بمدينة لاهور فلم يُجِبه إلى ذلك، ورحل إلى غَزْنة يُدرِّس ويفيد بها. ثم دخل العراق وأخذ عن علمائها، واستجاز عن جمعٍ كثيرٍ من العلماء.

ثم رحل إلى مكة المباركة فحجّ وأقام بها مدة، وسمع الحديث بها وببلدة عَدَنْ، ثم رجع إلى بغداد سنة خمس عشرة وست مئة في أيام الناصر لدين الله الخليفة العباسي، فطلبه، وخلع عليه، وأرسله بالرسالة[٤] الشريفة إلى صاحب الهند شمس الدين

---

(٢) لكن المترجم كان يكتب لنفسه: «الصَّغَاني». انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي، مع صورة خطّه أيضاً.

(٣) ثبت تاريخ ولادته هكذا في غير مصدر من المصادر المعتمدة: «سنة سبع وسبعين وخمس مئة».
وورد في الأصل: «سنة سبع وخمسين وخمس مئة».

(٤) كذا، وفي «البغية» والفوائد البهية: بالرياسة.

الأيلتمش سنة سبع عشرة وست مئة فبقي بها مدة، ثم خرج من الهند سنة أربع وعشرين وست مئة فحجّ ودخل اليمن، ثم عاد إلى بغداد، ثم أعيد إلى الهند رسولاً من حضرة المستنصر بالله العباسي إلى رضيّة بنت الأيلتمش مَلِكة الهند.

ورجع إلى بغداد سنة سبع وثلاثين وست مئة، وتُوفِّي بها، فدُفن بداره في الحريم الطاهري، ثم نُقل جسده إلى مكة ـ وكان أوصَى بذلك، وجَعَل لمن يحمله إلى مكة ويَدفنه بها: خمسين ديناراً ـ.

قال الدمياطي: وكان معه طالع مولود وقد حكم فيه بموته في وقته، فكان يترقب ذلك اليوم، فحضر ذلك اليوم وهو مُعافًى، فعمل لأصحابه طعاماً شكراً لذلك، وفارقناه، وعديتُ إلى الشَّطّ فلقيني شخص أخبرني بموته، فقلت له: الساعةَ فارقتُه! فقال: والساعةَ وقع الحِمام! ـ يُخبر بموته فُجاءةً ـ انتهى.

وكان شيخاً صلحاً صموتاً عن فضول الكلام، فقيهاً محدثاً لغوياً، ذا مشاركة تامة في العلوم، سمع الحديث بمكة وعدن والهند من شيوخ كثيرين، وأدرك الكبار، وجمع وصنَّف، ووَثَّق وضعَّف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان. قال السيوطي: إنه كان حاملَ لواء اللغة، وقال الذهبي: إن إليه المنتهى في اللغة. وقال الدمياطي: إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث، وأن الصغاني أنشدنا لنفسه:

تسربلتُ سِربالَ القناعة والرضا
صبياً، وكانا في الكهولة دَيْدني
وقد كان ينهاني أبي ـ خُفَّ بالرضا
وبالعفو ـ بأنْ أولي يداً من يَدَيْ دَنِي!

قد أخذ عنه الشيخ شرف الدين الدمياطي، ونظام الدين محمود بن عمر الهروي، ومحيي الدين أبو البقاء صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح الأسدي الكوفي المعروف بابن الصباغ، والشيخ برهان الدين محمود بن أبي الخير أسعد البلخي وشارح «آثار النيِّرَيْن في أخبار الصحيحين»، وخلقٌ آخرون.

ومن مصنفاته: «مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية» جمع فيه من الأحاديث الصحاح عدداً ـ على ما عدَّ الشارح الگاذَرُوني ـ ألفين وستة وأربعين حديثاً. وبيَّن في أول كل باب أو نوعٍ: عدد أحاديثه.

وقال: هذا كتابٌ أرتضيه، وأستضيء بضيائه والعمل بمقتضاه، لخزانة المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء العباسي، أوله: الحمد لله مُحيي الرِّمم، ومُجري القلم، إلخ. ذكر فيه: أني لما فرغتُ من «مصباح الدجى» و «الشمس المنيرة» ضممتُ إليهما ما في كتابَيْ «النجم» و «الشهاب» لتجتمع الصحاح، قال: وهذا الكتاب حجة بيني وبين الله في الصحة والرضا.

ورَمَز به بالحروف، فالخاء إشارة إلى البخاري، والميم لمسلم، والقاف لِمَا اتَّفقا عليه.

ورتَّبه بترتيب أنيق، جعله اثني عشر باباً: **الأول**: على فصلين: الأول في ما ابتدأ بِـ«مَنْ» الموصولة أو الشرطية، والثاني فيما ابتدأ بِـ «مَنْ» الاستفهامية. **الثاني**: في «أن»، وفيه عشرة فصول. **الثالث**: في «لا». **الرابع**: في «إذ» و «إذا». **الخامس**: في فصلين: الأول في «ما» وأنواعها، والثاني: في «يا» وأقسامها. **السادس**: فيه اثنا عشر فصلاً في بعض الكلمات، ك «قد» و «لو» و «بين» وهكذا. **السابع**: فيه سبعة عشر فصلاً، كالمبتدأ والمُعرّف وما أشبه ذلك. **الثامن**: فيه ستة فصول. **التاسع**: في العدد ونحوه. **العاشر**: في الماضي. **الحادي عشر**: في لام الابتداء. **الثاني عشر**: في الكلمات القدسية.

وشروحه كثيرة، ذكر جملةً من ذلك الچلپي في «كشف الظنون». ونحن نطوي الكشح عن ذلك روماً للاختصار.

ومن مصنفاته: «مصباح الدجى في حديث المصطفى»، قال الچلپي في «كشف الظنون»: وهوكتاب محذوف الأسانيد. ومنها: «الشمس المنيرة» وهو أيضاً في الحديث.

ومنها: «العباب الزاخر» في اللغة، في عشرين مجلداً، قال الچلپي في «كشف الظنون»: إن الصغاني مات قبل أن يكمله، بلغ فيه إلى الميم، ووقف في مادة «بكم» ولهذا قيل:

إن الصَّغاني الذي
حاز العلوم والحِكَمْ
كان قُصارَى أمرِهِ
أن: انتهى إلى بكَمْ!

قال: وترتيبه كصحاح الجوهري. وقد جمع تاج الدين ابن مكتوم أبو محمد أحمد بن عبد القادر القبسي الحنفي المتوفى سنة تسع وأربعين وسبع مئة، بينه وبين «المحكم».

ومنها: مجمع البحرين في اللغة، والنوادر في اللغة والتراكيب، وأسماء الفارة، وأسماء الأسد، وأسماء الذئب. وله شرح على صحيح البخاري، و «دِرّة السحابة في وفيات الصحابة»، والعروض، وشرح أبيات المفصل، و «نقعة الصديان»[1] و «كتاب الافتعال»، و «شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية»، وله «كتاب الفرائض».

وله رسالتان جمع فيهما الأحاديث الموضوعة، قال الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي في «الفوائد البهية»: أدرج فيهما كثيراً من الأحاديث غير الموضوعة، فعُدّ لذلك من المُشدِّدين كابن الجوزي وصاحب «سِفْر السعادة» وغيرهما من المحدِّثين.

قال السخاوي في «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»: ذَكَر - أي الصاغاني - فيهما أحاديث من «الشهاب» للقُضاعي، و «النجم» للأُقليشي، وغيرهما كأربعين ابن ودعان - بتقديم الواو على الدال المهملة -، والوصية لعلي بن أبي طالب، وخطبة الوداع، وأحاديث أبي الدنيا الأشج، ونسطور، ويَغْنَم بن سالم[2]، ودينار، وسمعان، وفيها أيضاً من الصحيح والحسن، وما فيه ضعفٌ يسيرٌ. انتهى.

وكانت وفاته سنة خمسين وست مئة.

٢٦ - الشيخ حسن البَدَايُوني

الشيخ الصالح: حسن بن أبي الحسن البدايوني، المشهور بِـ «رَسَنْ تاب» - ومعناه الفَتّال[3] -، كان من رجال العلم والمعرفة.

قرأ العلم على القاضي حسام الدين الملتاني المقبور بمدينة بَدَايُون، وأخذ عن القاضي حميد الدين محمد بن عطاء الناگوري، ولازمه مدة من الزمان حتى بلغ رتبة الكمال، وأخذ عنه صِنوه بدر الدين أبو بكر. وكان يتكسّب بصناعة الفَتْل.

مات ودُفن ببَدايُون، كما في «مِهْرجَهَانتاب».

٢٧ - حسين «خِنك سَوَار»[4] الأجميري

السيد الشريف: حسين بن أبي عبد الله الحسيني المشهدي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح.

ولاّه السلطان شهاب الدين الغوري أو نائبه قطب الدين أَيْبَك على مدينة أجمير حين مَلَكها، فلم يزل بها إلى أن مات. وأسلم على يده خلقٌ كثير من الوثنيين، فسَخِط عليه عُبّاد الأصنام وقتلوه.

وكانت له محبة صادقة للشيخ معين الدين حسن السجزي. صاحَبَه مدة حياته بتلك المدينة. وكان يُدعَى «خِنك سَوَار» - بكسر الخاء المعجمة -، معناه: راكب الفرس[5].

مات في عاشر رجب سنة سبع وست مئة، كما في «أخبار الأصفياء».

---

(١) وقع بالأصل «بغية الصديان»، وقد طُبع الكتاب بهذا الاسم: «نقعة الصديان» بتحقيق الدكتور أحمد خان.

(٢) «يغنم بن سالم» هذا هو الصواب في اسمه: بياء مثناة تحتية مفتوحة، ثم غين معجم ساكنة، ثم نون مفتوحة. «فتح المغيث» ٢٩٨/١ و «توضيح المشتبه» ١٠٠/٩ ويُصحَّف هذا الاسم إلى نُعَيم»، وهكذا وقع مُصحَّفاً في الأصل. قال العسكري في كتابه «تصحيفات المحدّثين» ١٠٦٨/٣ قال: «وهو أشدّ ما يُصحَّف في هذا الباب»!

(٣) من (فَتْل الحبل)، كما سيأتي في آخر ترجمته.

(٤) لقبٌ له، سيأتي توضيحه في آخر الترجمة.

(٥) وتوضيحه أن «خِنك» بكسر الخاء» بمعنى: الفرس. و «سَوَار» هو بمعنى الراكب.

٢٨ ـ حسين بن أحمد الأشعري

الأمير الكبير عين الملك: فخر الدين الحسين بن شرف الملك رضي الدين أبي بكر أحمد الأشعري، أحد أجواد الدنيا. كان من نسل أبي موسى الأشعري الصحابي رضي الله تعالى عنه.

استوزره السلطان ناصر الدين قَبَاجهْ ملك السند، فَخدَمه من سنة اثنتين وست مئة إلى سنة خمس وعشرين وست مئة. ولما هلك ناصر الدين ومَلَك بلاده شمسُ الدين الأيلتمش الدهلوي، لَحِق به فاستوزره لولده ركن الدين فيروز شاه.

وكان فاضلاً كبيراً مُحبًّا لأهل العلم محسناً إليهم، صنَّف له نور الدين محمد بن محمد العوفي كتابه «لباب الألباب» سنة سبع عشرة وست مئة.

٢٩ ـ الشيخ حسين بن علي البخاري

السيد الشريف: جلال الدين الحسين بن علي بن جعفر بن محمد بن محمود بن أحمد بن عبد الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن الإمام عليّ الرِّضا. كان من رجال العلم والمعرفة.

ولد بمدينة بخاري، ونشأ بها، وقرأ العلم وتأدب على والده.

ثم قدم الهند مع ولدَيْه علي وجعفر، فلما وصل إلى مدينة (بَهكَّر) زوَّجه بدر الدين بن صدر الدين الحسيني البَهكَّري ابنته زهرة، ثم سار إلى ملتان ولقي بها الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني سنة خمس وثلاثين وست مئة، فصَحِبه ولازمه وأخذ عنه ورجع إلى بَهكَّر. ولما ماتت صاحبتُه زهرة تزوّج بأختها فاطمة. ولبث بمدينة بهكَّر مدة من الزمان، ثم انتقل إلى مدينة (اچ) لمنازعةٍ كانت بين ذوي قرابته، ورُزق ولدَين من فاطمة: محمداً وأحمد.

وكان عالماً كبيراً عارفاً فقيهاً زاهداً صالحاً منقطعاً إلى الله سبحانه، وكان يدرِّس ويفيد. أخذ عنه خلقٌ كثير من العلماء والمشايخ، وبارك الله تعالى في ذريته الصالحة فملأوا آفاق الهند، كما في «تذكرة السادة البخارية» لعلي أصغر الگجْراتي.

وكانت وفاته في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

٣٠ ـ الشيخ حسام الدين الملتاني

الشيخ الصالح: حسام الدين الملتاني، أحد الرجال المشهورين بالعلم والمعرفة.

أخذ الطريقة عن الشيخ صدر الدين محمد بن زكريا الملتاني، ورحل إلى مدينة بَدَايُون فسكن ومات بها.

وكان رَأى في الرؤيا الصادقة النبيَّ ﷺ كأنه يتوضأ على بِركة ماءٍ خارجَ البلدة، فتسارع إلى ذلك المقام، فرأى فيه الأثر، فأوصَى بأن يدفنوه بذلك المقام، فلما مات دُفن به، كما في «فوائد الفؤاد». وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

٣١ ـ حسام الدين المارِيْكلِي

الفاضل الحكيم: حسام الدين الماريكلي، كان من الأطباء المشهورين في عصره والفضلاء المعروفين. يدرِّس ويفيد ويداوي الناس بدار المُلك دهلي، في عهد السلطان غياث الدين بَلْبن، كما في «تاريخ فيروز شاهي».

٣٢ ـ السيد حمزة بن الحامد الواسطي

السيد الشريف: حمزة بن الحامد بن أبي بكر[1] بن جعفر بن زيد بن زياد بن أبي الفرح بن الحسن الزاهد بن يحيى بن الحسين ذي العبرة بن زيد الشهيد العلوي الهاشمي، كان زعيم الطالبيّين بأرض الروم.

فارَقَها وقدم الهند في أيام الأيلتمش، وسكن بقرية سُلطان پُور ما بين (كَرَهْ) و (كُورَه) على شاطىء نهر گَنْگ، وله بها عَقِبٌ مشهور، منهم أهل قريَة بِيْتِي، وهَنْسَوَهْ، وأُوكاسِي، وسموني، ونَرُورْكُوت، كما في «منبع الأنساب».

٣٣ ـ الشيخ حميد الدين السُّوالِي

الشيخ الكبير: حميد بن أحمد بن محمد بن

---

(١) ن: أبي محمد.

إبراهيم بن محمد بن سعيد السعيدي السُوالِي، الشيخ حميد الدين الناگوري الصوفي، المشهور بسلطان التاركين.

وهو أول مولود وُلد بدار المُلك دهلي بعد ما فتحها قطب الدين أَيْبَك. وكان من ذرية سعيد بن زيد الصحابي المُبشَّر بالجنة.

أخذ عن الشيخ معين الدين حسن السِجزي، ولازمه زماناً، ولقَّبه الشيخ بسلطان التاركين لزهده في زخارف الدنيا واستغنائه عن الناس.

وكان آيةً باهرةً في الفقر والغناء والتبتل إلى الله سبحانه. كانت له أرض في سُوالِي ـ بضم السين المهملة ـ قرية من أعمال ناگور، وكانت بقدر فدّان، كان يزرع فيها ويجعل ما يحصل له منها قُوتاً له ولعياله.

وله مصنفات ومكتوبات إلى أصحابه. وهو أول من صنَّف من المشايخ الچشتية. وأشهرُ تصانيفه: «أصول الطريقة». ومن شعره قوله:

اي دوست دل خسته هواي توگرفت
دربـاغ وفـاي تـو نـواي تـوگـرفـت
هر چيز كه بگذاشت براي توگذاشت
هر چيز كه بگرفت براي توگرفت

تُوفِّي لليلةٍ بقيت من ربيع الثاني سنة ثلاث وسبعين وست مئة، وقبره ببلدة ناگور، كما في «أخبار الأخيار».

٣٤ ـ حميد الدين المُطرّزي

الشيخ الفاضل الكبير: حميد الدينِ الحكيم المطرزي، أحد العلماء المُبرِّزين في النجوم والطب وسائر الفنون الحِكمية. لم يكن له نظيرٌ في عصره في الحذاقة والتدبير، ومعرفة الأمراض ووصف الأدوية. قال البرني في تاريخه: إنه كان بُقراط دهره، وجالينوس عصره. انتهى.

٣٥ ـ مولانا حميد الدين الماريكلي

الشيخ الإمام: حميد الدين الماريكلي، أحد الأفاضل المشهورين في عصره. مات غرة شهر رمضان سنة سبع وخمسين وست مئة في أيام ناصر الدين محمود بن الأيلتمش، كما في «طبقات ناصري».

حرف الدال

٣٦ ـ داود بن محمود الأَوَدي

الشيخ الفقيه الزاهد: داود بن محمود الچشتي الأودي، أحد رجال العلم والطريقة.

قيل: إنه أخذ الطريقة عن الشيخ فريد الدين مسعود الأَجُودَهني، ونزل فريد الدين في قريته مرّتين عند سفره في بلاد (أَوَدْه). وكان الشيخ نظام الدين البدايوني يذكره بالخير. قبرُه بقرية (پالهي مؤ)، يُزار ويُتبرّك به.

حرف الراء المهملة

٣٧ ـ الشيخ المُعمَّر بابا رَتَنْ الهندي

الشيخ المعمّر المشهور: أبو الرضا رتن بن كِرپال ابن رتن الهندي البهتندوي[1]، رجل مشهور من أهل الهند، ظهر بعد الست مئة وادَّعى الصحبة، فسمع منه بعض الناس، وأنكره آخرون.

قال اللكهنوي في «بحر زخّار»: إنه وُلد في (بهتنده) على مسيرة ستين ميلاً من لاهور، فلما بلغ سِنّ الرشد والتمييز اشتاق إلى أن يظهر أحد من عباد الله فيهديه إلى الصراط المستقيم، فلما سمع أنه ظهر رجلٌ في العرب وهو يدَّعي النبوة، ذهب إلى مكة المباركة وأدرك النبي ﷺ، ثم رجع إلى الهند وجاوز عمره ست مئة سنة، وألَّف الرسالة الرَّتَنية فأدرج فيها الأحاديث التي سمعها من النبي ﷺ بلا واسطة. وقد صدّقه الشيخ علاء الدولة السِّمناني، والخواجة محمد پَارْسَا، والشيخ رضي الدين لالاَ أحد أصحاب الشيخ نجم

(١) كذا. وفي «القاموس المحيط» مادة (رتن): «رَتَن بن كِربال بن رَتَن البِتْرَندي». وبه ضبطه ابن حجر أيضاً في «اللسان» وثبت «البِتْرندي» هكذا أيضاً في طبعة حيدرآباد السابقة.

الدين الكُبرَى، قدم الهند في سنة عشرين وست مئة ولقيه وأخذ عنه الحديث، وأعطاه رَتَن مُشط النبي ﷺ. مات بعد ست مئة من الهجرة، وقبرُه ببهتنده. انتهى[1].

وقد ذكر الصلاح الكتبي في «فوات الوفيات» بسنده إلى قاضي القضاة نور الدين أبي الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن الحسين الأثري الحنفي عن جدّه الحسين بن محمد قال: كنتُ في زمن الصبا وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثمان عشرة قد سافرتُ مع عمي من خراسان إلى الهند في تجارة، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضَيْعة من ضِياع الهند، فعرّج أهل القَفْل نحو الضيعة، وضجّ أهل القافلة، فسألنا عن الخبر فقالوا: هذه ضَيْعة الشيخ رَتَن المعمّر.

فلما نزلنا الضيعة رأينا شجرة عظيمة تُظِلّ خلقاً كثيراً، وتحتها جمعٌ كثير من أهل الضيعة، فبادر الكل نحو الشجرة ونحن معهم، فرأينا سلّةً عظيمة معلّقة في بعض أغصان الشجرة، فسألنا عن ذلك، فقالوا: هذه السلّة فيها الشيخ رتن المعمر الذي رَأَى النبيَّ ﷺ ورَوَى عنه، فتقدم شيخ من أهل الضيعة إلى السلّة وكانت ببَكْرة، فأنزَلها، فإذا هي مملوءة قطناً والشيخ في وسط القطن، ففتح رأس السلّة، وإذا بالشيخ فيها كالفرخ، فوضع فمه على أذنه وقال: يا جدّاه! هؤلاء قوم قدموا من خراسان وفيهم شرفاء من أولاد النبي ﷺ وقد سألوا أن تُحدِّثهم كيف رأيتَ رسول الله ﷺ؟ وماذا قال لك؟ فعندها تنفّس الشيخ وتكلّم بصوتٍ كصوت النحل بالفارسية، ونحن نسمع ونفهم كلامه، فقال:

سافرتُ مع أبي وأنا شابٌ من هذه البلاد إلى الحجاز في تجارة، فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الأودية بالسَّيل، فرأيتُ غلاماً أسمر اللون حَسَن الوجه رائع الجمال وهو يرعى إبلاً في تلك الأودية، وقد حال السيل بينه وبين إبله، وهو يخشى من خَوْض السيل لقوته، فعلمتُ حاله، فأتيتُ إليه وحملتُه وخُضتُ به السيل إلى أن جئتُ به عند إبله، [فلما وضعتُه عند إبله][2] نظر إليّ وقال بالعربية: بارك الله في عمرك، ثلاثاً. فتركتُه ومضيتُ إلى سبيلي، إلى أن دخلنا مكة وقضينا ما كنا أتينا له من أمر التجارة، وعُدنا إلى الوطن.

فلما تطاولت المدة على ذلك كنا جلوساً في فناء ضَيْعتنا هذه، وكانت ليلة البدر، فنظرنا إليه وقد انشقّ نصفين، فغرب نصفٌ في المشرق، ونصفٌ في المغرب ساعةً زمانيةً، وأظلم الليل، ثم طلع النصف من المشرق، والنصف الآخر من المغرب، وسارا إلى أن التقيا في وسط السماء كما كان أول مرة، فعجبنا من ذلك غاية العَجَب، ولم نعرف لذلك سبباً، وسألنا الركبان عن سبب ذلك، فأخبرونا أن رجلاً هاشمياً ظهر بمكة وادَّعى أنه رسول الله إلى كافة الخلق، وأن أهل مكة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء، وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر فينشقّ في السماء، ويغرُب نصفُه في المشرق، ونصفُه في المغرب، ثم يعود إلى ما كان عليه، ففعل ذلك بقدرة الله تعالى.

فلما سمعنا ذلك من السُّفّار تشوقتُ أن أراه، فتجهزتُ في تجارة، وسافرتُ إلى أن دخلتُ مكة، وسألتُ عن الرجل الموصوف، فدَلُّوني عليه، فأتيتُ إلى منزله واستأذنت عليه فأذن لي، فدخلتُ عليه فوجدته جالساً في صدر المنزل والأنوارُ تتلألأ في وجهه، وقد استنارت محاسنهُ وتغيرت صفاته التي كنت أعهدها في السفرة الأولى، فلم أعرفه، فلما سلّمتُ عليه ردَّ عليّ السلام وتبسم في وجهي وقال: ادنُ مني، وكان بين يديه طَبَقٌ فيه رُطب، وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم يُعظّمونه ويُبجّلونه، فقال: كُلْ من هذا الرطب، فجلستُ وأكلتُ معه من الرطب، وناولني بيده المباركة ستّ رُطَباتٍ سوى ما أكلتُ بيدي، ثم نظر إليّ وتبسم وقال لي: ألم تعرفني؟ فقلت: كأني، غير أني ما أتحقق، فقال:

(١) سينقل المؤلف في الصفحة التالية كلام شيخ نقاد عصره، وهو الإمام الذهبي ـ الذي وَصَفه ابن حجر بأنه صاحب استقراء تام في نقد الرجال ـ في بيان كَذِب رتن هذا ودَجله.

(٢) سقط من الأصل، والتكملة من «فوات الوفيات».

ألم تحملني في عام كذا وجاوزتَ بي السَّيل وقد حال بيني وبين إبلي؟ قال: فعند ذلك عرفتُه بالعلامة وقلتُ: بلى، يا صبيح الوجه! فقال: امدد إليّ يدك! فمددتُ يدي اليُمنى، فصافحني وقال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقلتُ كذلك كما علّمني، فسُرّ بذلك وقال لي عند خروجي من عنده: بارك الله في عمرك، ثلاث مرات، فودّعته وأنا متبشرٌ بلقائه وبالإسلام.

فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ وبارك في عمري بكل دعوةٍ مئةَ سنة، وها عمري نيفٌ وست مئة سنة، وجميع من في هذه الضيعة العظيمة أولاد أولادي! وفتح الله عليّ وعليهم بكل خير وبكل نعمة ببركة رسول الله ﷺ. انتهى ما ذكره الكتبي في «فوات الوفيات».

وقد أنكره العلامة الذهبي في «التجريد» فقال: إن رتن الهندي شيخٌ ظهر بعد الست مئة بالشرق وادَّعى الصحبة فسمع منه الجهال! ولا وجود له، بل اختلق اسمَه بعضُ الكذابين، وإنما ذُكر تعجُّباً كما ذَكَر أبو موسى سرباتك الهندي. بل هذا إبليس اللعين قد رَأى النبي ﷺ وسمع منه! انتهى.

وذكره في «الميزان» فقال: رَتَن الهندي، وما أدراك ما رتن! شيخٌ دجال بلا ريب، ظهر بعد الست مئة فادَّعى الصحبة، والصحابةُ لا يكذبون، وهذا جريءٌ على الله ورسوله، وقد ألّفتُ في أمره جزءاً. وقد قيل: إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، ومع كونه كذاباً فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من أسمج الكذب والمحال. قلت[1]: وزعم الإربلي أنه سمع منه بعد ذلك في سنة ٦٥٥.

ثم قال الذهبي[2]: وأظن أن هذه الخرافات من وضع هذا الجاهل موسى بن علي، أو وَضَعها له مَن اختلق ذكر رَتَن، وهو شيءٌ لم يُخلَق.

ولئن صحّحنا وجوده وظهوره بعد سنة ست مئة، فهو إما شيطان تبدَّى في صورة البشر، فادَّعى الصحبة وطول العمر المفرط وافترى هذه الطامات، وإما شيخٌ ضالٌ أَسَّس لنفسه بيتاً في جهنم بكذبه على رسول الله ﷺ.

ولو نُسبت هذه الأخبار لبعض السلف لكان ينبغي لنا أن نُنزّهه عنها، فضلاً عن سيد البشر ﷺ، لكن ما زال عوام الصوفية يروون الواهيات.

وإسنادٌ فيه الكاشغري والطيبي وموسى بن علي ورَتَن: سلسلةُ الكذب، لا سلسلة الذهب!

ثم قال الذهبي: ولعمري! ما يُصدِّق بصحبة رتن إلا من يؤمن بوجود محمد بن الحسن في السرداب ثم بخروجه إلى الدنيا، أو يؤمن برجعة عليّ رضي الله عنه، وهؤلاء لا يؤثر فيهم العلاج.

وقد اتفق أهل الحديث على أن آخِر من رَأَى النبي ﷺ موتاً: أبو الطفيل عامر بن واثلة، وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر أو نحوه: «أرأيتَكم ليلتَكم هذه فإن على رأسِ مئةِ سنةٍ منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد». فانقطع المَقَال، وماذا بعد الحق إلا الضلال. انتهى ما ذكره الذهبي ملخصاً[3].

وقال الحافظ ابن حجر: وقد تكلم الصلاح الصفدي في تذكرته في تقوية وجود رَتَن، وأنكر على من ينكر وجوده، وعوَّل في ذلك على مجرد التجويز العقلي.

وليس النزاع فيه، وإنما النزاع في تجويز ذلك من قِبَل الشرع بعد حديث المئة في الصحيحين.

وتعقَّب القاضي برهان الدين ابن جماعة في حاشيةٍ كَتَبها على تذكرة الصفدي فقال: قولُ شيخنا الذهبي هو الحق، وتجويز الصفدي: الوقوع، لا يستلزم الوقوع، إذ ليس كل جائزٍ بواقع. انتهى.

---

(١) هذا القائل هو ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٥٢٥ حيث نقل كلام الذهبي المذكور من الميزان، ثم علّق عليه بهذا القول. والإربلي هو أبو الفضل عثمان بن أبي بكر بن سميد الإربلي، ذُكِر فيمن يروي عن رَتَنٍ، في «الإصابة» ٢/ ٥٢٤.

(٢) ذكر الذهبي هذا الكلام في جزءٍ له أَلّفه في بيان حقيقة رَتن هذا وكذبه، وسمّاه: «كَسْروَثَن رتن». وقد ظفر ابن حجر بهذا الجزء، فنقل منه ابن حجر في الإصابة في ترجمة = (رتن) شيئاً كثيراً. ومن ضمن هذه النصوص التي أتى بها المؤلف وانظر أيضاً لسان الميزان.

(٣) المصدر السابق.

ولما اجتمعتُ بشيخنا مجد الدين الشيرازي شيخ اللغة بزَبِيد من اليمن[١]، وهو إذ ذاك قاضي القضاة ببلاد اليمن: رأيتُه يُنكر على الذهبي إنكارَه وجود رتن، وذَكَر لي أن رجلاً من ضَيْعتِهِ لمّا دخل بلاد الهند[٢]، ووَجَد فيها من لا يُحصَى كثرةً ينقلون عن آبائهم وأسلافهم عن قصة رتن ويُثبتون وجوده. فقلت: هو[٣] لم يجزم بعدم وجوده[٤]، بل تردّد، وهو معذور.

والذي يظهر أنه كان طال عمره، فادَّعى ما ادَّعى، وتمادى على ذلك حتى اشتهر. ولو كان صادقاً لاشتهر في المئة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة، لكنه لم يُنقَل عنه شيء إلا في أواخر السادسة ثم في أوائل السابعة قبيل وفاته. واختُلف في سَنَة وفاته كما تقدم، والله أعلم. انتهى ما ذكره الحافظ ابن حجر[٥].

وإني وجدتُ في بعض المجاميع بيتين للشيخ العلامة عبد الرحمن بن علي الدَّيْبَع الشيباني المتوفَّى سنة **٩٧٣** رحمه الله تعالى، بخط بعض أصحابه:

رتن الهندي شيخٌ كاذب
قد روينا الخُلْفَ في وِجدانِهِ

زَعَم الصحبةَ مع إجماع مَنْ
قال بالحق على بهتانِهِ

(١) هو الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط.

(٢) كذا، وفي «الإصابة» ٥٣٨/٢: «أنه دخل ضَيْعَته لما دخل بلاد الهند، ووجد فيها...» إلخ.

(٣) أي الذهبي.

(٤) ورد في الأصل: «لم يجزم بوجوده». والتصويب من الإصابة **٥٣٨/٢**.

(٥) هذا النص بتمامه هو في «الإصابة» **٥٣٨/٢** ومما يجدر لفت النظر إليه هُنا أن الفيروزآبادي الذي كان يُنكر على الذهبي طَعْنه في رتن ـ كما مرّ أمامك ـ هو نفسه كذَّب رتناً في «القاموس المحيط» ص **١٥٤٨** مادة (الرتن)، وهذا نص كلامه فيه: «ورَتَن محركاً».. ليس بصحابي، وإنما هو كذاب ظهر بالهند بعد الست مئة فادَّعى الصحبة، وصُدِّق...» اهـ.

وقد أنكر عليه[٦] الشيخُ حسن بن محمد بن حسن بن حيدر الصَّغاني ـ صاحب «المشارق»، المتوفَّى سنة سبع وثلاثين وست مئة، وهو ممن أدرك زمانه ـ، فقال في تبيين الموضوعات:

وما يُحكَى عن بعض الجهال أنه اجتمع بالنبي ﷺ وسمع منه ودعا له بقوله: عَمَرك الله، ليس له أصلٌ عند أئمة الحديث، ولم يَعِشْ من الصحابة ممن لقي النبيّ ﷺ أكثرَ من خمس وتسعين سنة، وهو أبو الطفيل بكوا عليه وقالوا: هذا آخِرُ من لقي النبي ﷺ واجتمع به.

وهذا هو الصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام في آخِر عمره حين صلَّى العشاء الآخِرة: «أرأيتُكم ليلتَكم هذه، فإن رأس مائةِ سنةٍ لا يبقى ممن هو على وجه الأرض أحد». وما يَنطق عن الهَوَى، إن هو إلا وحيٌ يُوحَى.

وأحاديثُ رَتَنِ الهندي المنقولة عنه: من جنس الأحاديث التي تُنسَب إلى الحكيم الترمذي: أنه سمع من أبي العباس الخضر.

وكل هذا ليس له أصلٌ يعتمد عليه، بل تنقلها الفقراء في زواياهم. ودينُ الله أشرف من أن يؤخذ من جاهل، أو يُثبَت بقولِ غافلٍ غبيٍّ، لقوله عليه الصلاة والسلام: ذَرُوني ما تركتُكم، وإني تركتكم على البيضاء النقية ليلُها كنهارها، إن تمسكتم بها لن تَضِلّوا بعدي، كتابَ الله وعترتي واتباعَ أصحابي وسنتي. انتهى.

٣٨ ـ الشيخ الحاج بابا رجب الگجراتي

الشيخ الحاج المعمّر بابا رجب النَّهْرَوالي الگجراتي، أحد المشايخ الكرام.

أخذ الطريقة عن السيد أحمد الكبير الرفاعي، وقدم بلاد گُجْرات في سنة ست عشرة وست مئة، وأرّخ لقدومه بعضُ الناس من قوله «آفْتاب إسلام». وسكن بمدينة (نَهْرَوَالَهْ) من أرض گجرات، فهَدَى الله سبحانه به خلقاً كثيراً من عباده إلى الإسلام.

(٦) أي أنكر على رَتن نفسه.

وكانت وفاته في الثاني عشر من شهر رجب سنة سبعين وست مئة، فأرَّخ لموته بعضُهم من قوله: «كُفر شِكَنْ»[1]، كما في «مرآة أحمدي».

٣٩ ـ رضيّة بنت الأيلتمش

الملكة الفاضلة: رضيّة بنت شمس الدين الأيلتمش، رضية الدنيا والدين، ملكة الهند.

اتفق الناس عليها بعد أخيها ركن الدين بن الأيلتمش سنة أربعٍ وثلاثين وست مئة، فاستقلّت بالمُلك أربع سنين.

وكانت عادلةً فاضلةً، تَركب بالقوس والكنانة والقربان كما يركب الرجال، وكانت لا تستُر وجهها.

ثم إنها اتُّهمت بعبدٍ لها، فاتفق الناس على خلعها وتزويجها، فخُلعت وزُوِّجت من بعض الأمراء، ووَلِي المُلكَ أخوها معز الدين، فخالفا عليه وركبا في مماليكهما ومَنْ تبعهما، وتهيئا لقتاله، ووقع اللقاء بينهما، فانهزم عسكر رضيّة وقُتلت سنة سبع وثلاثين وست مئة، وقبرها على شاطىء نهر جَمن، على مسافة فرسخ من مدينة دهلي، كما في «تاريخ فرشته».

٤٠ ـ القاضي رفيع الدين الگاذروني

الشيخ الفاضل الكبير: القاضي رفيع الدين الحنفي الگاذروني، المدرّس المشهور. كان يدرّس ويفيد في عهد السلطان غياث الدين بَلْبن. ذكره القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه وقال: إنه كان من كبار الأساتذة بدهلي.

٤١ ـ القاضي ركن الدين الساماني

أحد كبار الفقهاء في عهد السلطان غياث الدين بَلْبن. لم يزل يشتغل بالدرس والإفادة. وكان الملك يُكرمه غاية الإكرام كما في «فيروز شاهي».

٤٢ ـ الشيخ ركن الدين الدهلوي

الشيخ الصالح الفقيه: ركن الدين الفردوسي الدهلوي، أحد المشايخ المشهورين في عصره.

اشتغل على الشيخ بدر الدين السمرقندي الدهلوي من صِباه، ولازمه وأخذ عنه الطريقة الفردوسية. وهو أخذ عن الشيخ سيف الدين الباخَرْزي، عن الشيخ الكبير نجم الدين الكُبرَى صاحب الطريقة الكُبْرَويّة. ولما مات بدر الدين تولّى الشياخة مكانه بدهلي. وكان صاحبَ وَجْدٍ وحالة. أخذ عنه ابن أخيه نجيب الدين بن عماد الدين الدهلوي وخلقٌ آخرون.

مات في أيام الشيخ نظام الدين الدهلوي في القرن السابع. فما في «خزينة الأصفياء» أنه تُوفِّي سنة أربع وعشرين وسبع مئة، لا يصح.

٤٣ ـ مولانا رضي الدين الصَّغَاني

الشيخ العالم المحدث: رضي الدين الصغاني البَدَايُون، أحد العلماء المشهورين.

ناب المشرف بمدينة كُوئِل فأقام بها، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، ثم إلى بغداد، فحجّ وزار، وصحب العلماء والمشايخ وأخذ عنهم، ثم رجع إلى الهند ومات بلاهور. وله مصنفات في الحديث.

وكان الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني يذكره بالخير، كما في «فوائد الفؤاد».

حرف الزاي المعجمة

٤٤ ـ الشيخ زكريا بن محمد الملتاني

الشيخ الإمام العالم المحدث: زكريا بن محمد بن علي القرشي الأسدي، شيخ الإسلام بهاء الدين بن وجيه الدين بن كمال الدين، أبو محمد، الملتاني المتفق على ولايته وجلالته.

ولد بقلعة (كُوت كَرُور) من أعمال مُلْتان يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من رمضان سنة ست وستين ـ وقيل: ثمان وسبعين ـ وخمس مئة من بطن بنت الشيخ حسام الدين الترمذي، ولما بلغ الثانية عشرة من سِنّه تُوفِّي والده، فسافر إلى بُخارى وأخذ العلم بها عن كبار الأساتذة، ثم سافر إلى الحجاز فحجّ وزار وأقام بالمدينة المنورة خمس سنين، وأخذ الحديث عن الشيخ كمال الدين محمد اليماني، ثم رحل إلى القدس الشريف وزار

(١) يعني: هُدم الكفر.

المسجد الأقصى ومشاهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رحل إلى بغداد وأخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدي صاحب «العوارف»، ثم عاد إلى ملتان وتصدّر للإرشاد، فرُزق من القَبول ما لم يُرزَق أحدٌ من المشايخ.

وكان قد مَنَحه الله سبحانه أموالاً غزيرة، وجعله ممن قال في حقّهم: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنةً وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾.

قيل: إنه لما تُوفِّي إلى رحمة الله سبحانه خلّف سبعة بنين غير البنات، فقسموا بينهم ما تَرَك من الأموال على تخريج الشرع، فنال كل واحد منهم **(سبعين لَكّاً)**[1] **من الدنانير!** فضلاً عن الدور والظروف والأقمشة وغيرها.

قال الشيخ محمد نور بخش في «سلسلة الذهب»: إنه كان رئيس الأولياء ببلاد الهند، وكان عالماً بالعلوم الظاهرة، صاحبَ أحوال ومقامات من مكاشفات ومشاهداتٍ مُرشِداً ينشعب منه كثير من طرق الأولياء. وله في الإرشاد وهداية الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن النفسانية إلى الروحانية شأنٌ كبير.

وفي «مجمع الأخيار» من وصاياه: إن الواجب على العبد أن يعبد الله بالصدق والإخلاص، وذلك بنفي الأغيار ومحو الأشخاص في العبادات والأذكار، ولا سبيل إليه إلا بتحسين الأحوال ومحاسبة النفس في الأقوال والأفعال، فلا يقول ولا يفعل إلا عند الحاجة، ويقدِّم لكل قولٍ وفعلٍ الالتجاءَ إلى الله والاستعانةَ به، ليرزقه الله عز وجل خير العمل.

ومن وصاياه لبعض أصحابه: عليكم بدوام الذكر وبالذكر يصل الطالب إلى المُحبّ، والمحبةُ نارٌ تُحرق كل دَنَس، فإذا تحقّق المحبة كان الذاكرُ ذاكراً مع مشاهدة المذكور، وهذا هو (الذكر الكثير) الموعودُ به: الفلاحُ، في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ومن وصاياه: سلامةُ الجسد في قلة الطعام، وسلامةُ الروح في ترك الأنام، وسلامةُ الدين في الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام. انتهى. ما في أخبار الأخيار.

وكانت وفاته يوم الخميس سابع صفر سنة ست وستين وست مئة، وله مئة سنة من العمر، غَسَله الشيخ عمر العمودي، وصلّى عليه ولدُه صدر الدين محمد ودفنوه في حِصار ملتان، كما في «أخبار الجمال».

٤٥ ـ الشيخ زكي بن أحمد اللاهوري

الشيخ الفقيه الزاهد: زكي بن أحمد اللاهوري، شيخ الإسلام وقدوة العلماء الكرام، زكي الدين.

كان يدرِّس ويفيد بلاهور. وسافر للحج والزيارة، فلما دخل هَرَاة استقبله الوجوه والأعيان، ومدحوه ببدائع أبيات، منهم الإمام فريد الدين محمود بن البشار الهَرَوي، مدحه بهذه الأبيات.

زهی زخاطر تو لشکر سخن منصور
خهی بهمت تو کشور هنر معمور
سزد که خط غلامی ستاند از آفاق
چو هست مسکن تو خواجه خطهٔ لاهور
ز روح پاك تو شاه زمانه جوید روح
چو آفتاب که از عرش وام خواهد نور
اگرنه درس تو بودی حکم شدی مدروس
وگرنه عون تو بودی ادب شدی مقهور

إلى غير ذلك من الأبيات.

وكان ممن أدركه نور الدين محمد بن محمد العوفي البخاري صاحب «لباب الألباب» ورَوَى عنه في كتابه شيئاً كثيراً، منها: أنه كان يُنشد هذين البيتين لمَلِك شاه السُلجوقي:

بوسی ز دیار دوش بر دیدهٔ من
أو رفت و ازان بماند تر دیدهٔ من
زان داد بریں دیدهٔ نگارینم بوس
کو چهرهٔ خویش دید در دیدهٔ من

(١) «لَكّا» مُعرَّب «لاكه» وهي لفظة هندية من ألفاظ الأعداد، ترمز إلى «مئة ألف». أي كل «مئة ألف» تُساوي «لَكّا».
فسبعون لَكّا تُساوي في العُرف العربي: سبعة ملايين! لأن كل (عشرة لك) تُعدّ: مليوناً واحداً.

٤٦ ـ زيد بن أسامة الحِلِّي

السيد الشريف: أبو الغنائم، زيد بن أسامة الحِلِّي النقيب، جلال الدين، أسامة بن عدنان بن أسامة بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدَّمْعة بن زيد بن علي بن الحسين السبط، على جده وعليه السلام.

كان شاعراً فاضلاً. فارق العراق، وقدم الهند ومات بها. وقد يعرف له عَقِبٌ في الهند، كما في «عمدة الطالب».

٤٧ ـ مولانا زين الدين البَدَايُوني

الشيخ العالم الكبير: خواجة زين الدين الأُويسي البَدَايُوني، أحد العلماء المشهورين في عصره. كان يدرِّس ويفيد في المدرسة المُعزّية عقب الجامع الكبير بمدينة بَدَايون. يذكره الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني بالخير كما في «فوائد الفؤاد».

حرف السين المهملة

٤٨ ـ سراج الدين الساوُلي

الشيخ الفاضل: سراج الدين الساوُلي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال. أقطعه غياث الدين بَلْبن قرية من أرض سامانة. فلما جاء دور جلال الدين فيروز الخلجي، طَلَب منه الخراج على الرسم المعتاد، فتردّد إليه السراج ومدحه بأبيات رائقة، فلم يلتفت إليه فيروز لاشتغاله بالأمور المهمة، فخرج السراج من عنده وهجاه بأبيات مُضحكة.

ثم لما قام فيروز الخلجي بالملك خافَهُ، وألقَى العِمامة في عنقه، وتمثّل بين يديه كالعُصاة، فطلبه فيروز شاه وأدناه إليه وعانقه، وأعطاه الصِّلات والجوائز، ورتَّب له الأرزاق السَّنِيّة، وجعله من ندمائه، كما في «تاريخ فرشته».

٤٩ ـ مولانا سراج الدين

الشيخ العالم الصالح: سراج الدين الترمذي البَدَايُوني، أحد رجال العلم والمعرفة. سافر للحج والزيارة فحجّ وزار، ورجع إلى بدايون. وكان الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني يذكره بالخير، كما في «فوائد الفؤاد».

٥٠ ـ مولانا سديد الدين الدهلوي

الشيخ العالم الفقيه: سديد الدين الحنفي الدهلوي، أحد العلماء المُبرِّزين في الفقه والأصول والعربية. وكان يدرِّس ويفيد بدار المُلك دهلي في أيام غياث الدين بَلْبَن. ذكره القاضي ضياء الدين البرني في «تاريخ فيروز شاهي».

٥١ ـ القاضي سعد الدين الكَرْدَري

الشيخ الإمام الفاضل الكبير: القاضي سعد الدين الكردري، أحد الرجال المعروفين في الفضل والكمال. كان أكبرَ قضاة الهند في أيام السلطان شمس الدين الإِيْلتَمِش. ذكره القاضي منهاج الدين الجوزجاني في «طبقات ناصري».

٥٢ ـ الشيخ سليمان بن عبد الله العباسي

الشيخ الكبير: سليمان بن عبد الله العباسي الهاشمي الكِنْتُوري، أحد المشايخ المشهورين.

أخذ عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدي، وصحب الشيخ فريد الدين العطار واستفاض منه، ثم قدم الهند في أيام الإِيْلتَمِش فأسكنه في قصر من القصور السلطانية، وأعطاه أربعة آلاف تَنْكَهْ فضية[1]، وأمره أن يقيم بدهلي، فلم يُجِبه إلى ذلك، وسار إلى كِنْتُور ـ بكسر الكاف المهملة ـ قرية من أعمال(أَوَده) سنة سبع عشرة وست مئة فسكن بها واعتزل عن الناس، وأقام بها أربعين سنة، وقارب عمره مئةً وعشر سنين.

مات ودُفن بكِنْتُور، كما في «بحر زخار»، لعله مات سنة ٦٥٧.

---

(١) تَنْكَه: اسم العملة الرائجة عندهم.

٥٣ ـ الشيخ سليمان بن مسعود الأَجُودَهني

الشيخ الصالح: سليمان بن مسعود بن سليمان بن شعيب العَدَوي العُمَري، الشيخ بدر الدين الأجودهني، أحد المشايخ المشهورين في الهند، كان أكبر أبناء والده.

وُلد ونشأ بمدينة أَجُودَهْن، وتأدب على والده فريد الدين مسعود الأجودهني وأخذ عنه ولازمه، وأخذ عن بعض المشايخ الچشتية. وَفَد على والده بمدينة أجودهن، ولما مات والده تصدَّر للإرشاد. أخذ عنه ولده علاء الدين وخلقٌ آخرون.

مات في رابع شعبان سنة ست وستين ـ وقيل: تسع وستين ـ وست مئة بمدينة أجودهن، فدُفن عند والده.

حرف الشين المعجمة

٥٤ ـ مولانا شرف الدين الدهلوي

الشيخ العالم الكبير: شرف الدين أبو توّامة الحنفي الدهلوي، الدفين بمدينة (سَنار گاؤن).

كان من كبار الأساتذة، خرج من دهلي في أيام شمس الدين الإيلتمش، وسافر إلى (سنار گاؤن) فدرّس وأفاد بها مدة عمره. أخذ عنه الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري، وقال في كتابه «خَوَان پُرِنِعْمَت» في المجلس السادس من ذلك الكتاب: إن شرف الدين أبا توامة كان عالماً كبيراً مشاراً إليه في التبحر في العلوم، لم يختلف في ذلك أحد انتهى.

٥٥ ـ مولانا شرف الدين الوَلْوَالجي

الشيخ الفقيه: شرف الدين الوَلْوالجي الدهلوي، كان من كبار الأساتذة. يدرّس ويفيد بمدينة دهلي في عهد السلطان غياث الدين بلبن. ذكره القاضي ضياء الدين البرني في «تاريخ فيروز شاهي».

٥٦ ـ القاضي شرف الدين الأصفهاني

الشيخ الفقيه: القاضي شرف الدين الأصفهاني، أحد الرجال المشهورين في عصره. كان عاملاً على مُلتان في أيام ناصر الدين قَبَاچَهْ.

قَتَله ناصر الدين، وكان سببه أنه أنكر أموراً صدرت من قَبَاچه، فكَتَب إلى شمس الدين الإيلتمش يُحرّضه على قتاله، فوقع ذلك الكتاب في يد قباچه، فاغتاظ منه وقتله، كما في «تاريخ فَرِشْتَهْ».

٥٧ ـ مولانا شرف الدين العراقي

الشيخ الصالح الكبير: شرف الدين العراقي السُّهْرَوَرْدي، أحد الأولياء المشهورين ببلاد الدَّكَن.

أخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي، وقدم الهند، وأقام بدهلي أيام السلاطين الخِلْجِيَّة زماناً، ثم سافر إلى بلاد الدّكن وسكن بقُلّةٍ من الجبل قريباً من حيدرآباد، وهدى الله به كثيراً من الوثنيين.

مات لإحدى عشرة بقين من شعبان سنة سبع وثمانين وست مئة، كما في «محبوب ذي المِنَن».

٥٨ ـ شمس الدين الإِيْلْتَمش

الملك المؤيد: المظفر شمس الدين الإيلتمش بن أيلم خان الألبري التركماني، السلطان الصالح. جُلب في صغر سِنّه إلى بُخارى، فاشتراه الحاج البخاري، ثم اشترى منه الحاج جمال الدين (چِسْت قَبَا)، فسار به إلى غَزْنة ثم إلى دهلي، فاشتراه الأمير قطب الدين أيبك، وربّاه في مهد السلطنة، وأقطعه گَوَالْيار بعد تسخيرها، ثم أقطعَه بَدَايُون وما والاها من البلاد، وأمّره على عساكره، وزوّجه بابنته.

فلما تُوفِّي قطب الدين اتفق الناس عليه، فقام بالملك بعده، وسار إلى أرض (أُرِيْسَهْ) بعساكره، وقاتل صاحبَها قتالاً شديداً، ثم صالحه على مالٍ يؤدّيه عاجلاً وآجلاً، وسار إلى بنگالَهْ سنة اثنتين وعشرين وست مئة، وانتزعها من يد السلطان غياث الدين الخِلْجي، وأقام له الخطبة والسّكة بها، وأَمّر عليه ولده ناصر الدين محموداً، ورجع بثمانٍ وثلاثين فيلا وثمانين ألف تَنْكَهْ. وسار إلى قلعة رَنْتَهبُور سنة ثلاث وعشرين وست مئة، وكانت حصينةً متينةً، فحاصرها وضيَّق على أهلها، واشتد القتال حتى مَلَكها. وسار إلى قلعة مَنْدُو

سنة أربع وعشرين وست مئة، فَمَلكها أيضاً ومَلَك ما والاها من البلاد.

ثم سار إلى بنگالَهْ مرة ثانية سنة سبع وعشرين وست مئة، وكان سبب ذلك أن ولده ناصر الدين محموداً تُوفِّي بها، فثار المفسدون من كل ناحية من نواحيها، فسار إليها بعساكره، وأصلح الفاسد، وأمَّر عليها علاء الدين، أحدَ خواصّه. وسار في سنة تسع وعشرين إلى گَوَالْيار، لأن كفار الهند مَلَكُوها مرة ثانية، فحاصرها وأدام الحصار عليها إلى سنةٍ، وضيَّق على أهلها، فخرج صاحبها ديُوبيْل من القلعة، وانحاز إلى ناحية، فدخل الإيلتمش القلعة، وقَتَل وأَسَر، ثم رجع إلى دهلي، وسار في سنة إحدى وثلاثين إلى مالْوَهْ وحاصر قلعة بَهِلْسَهْ فملكها وهدم كنيستها «مَهَاكال» التي كانت تقارب (سُومْنات) في الرفعة والمكانة. وأخرج تمثال (بَكْرماجِيْت) عظيم الهنود، وتماثيل الملوك الأخر من تلك الكنيسة، وألقاها على عتبة الجامع الكبير بمدينة دهلي.

وكان عادلاً صالحاً فاضلاً. ومن مآثره أنه اشتدّ في رد المظالم، وإنصاف المظلومين، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً، وأهلُ الهند جميعاً يلبسون البياض، فكان متى قعد للناس أو ركب، فرأى أحداً عليه ثوبٌ مصبوغ: نظر في قضيته وإنصافِهِ ممن ظلمه.

ثم إنه أعيا في ذلك فقال: إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصرِهِ أسدَيْن مُصوَّرين من الرخام، موضوعَين على بُرجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيُحرّك الجرس، فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين ويُنصفه. صرّح به ابن بَطُوطة في كتابه.

وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وست مئة.

٥٩ ـ مولانا شمس الدين الخوارزمي

الشيخ العالم الكبير: شمس الدين الخوارزمي، أحد العلماء المُبرِّزين في العلوم العربية.

ولاّه السلطان غياث الدين بَلْبن الصدارة بدهلي، ولقّبه شمس الملك. وكان يدرِّس ويفيد. أخذ عنه الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البَدَايُوني، وقطب الدين ناقِله، وبرهان الدين عبد الباقي، وخلقٌ كثير من أهل العلم.

قال الكرماني في «سير الأولياء»: إن الشيخ نظام الدين قرأ عليه «المقامات الحريرية»، وحفظ منها أربعين مقامة، وكان يذكره بالخير. انتهى.

٦٠ ـ القاضي شمس الدين المراخي

الشيخ العالم الفقيه: القاضي شمس الدين المراخي، كان من العلماء المُبرِّزين في الفقه والأصول. لم يزل يشتغل بالدرس والإفادة بدار الملك دهلي. ذكره القاضي ضياء الدين البرني في «تاريخ فيروز شاهي».

٦١ ـ القاضي شمس الدين المارَهْرَوي

الشيخ العالم الفقيه: القاضي شمس الدين المارهروي، أحد الأفاضل المشهورين في عصره. كان قاضياً بمارَهْرَه في أيام معزّ الدين بَهْرام شاه، فسَعَى به[1] الشيخ أيوب التركماني، وكان نافذَ الكلمة عند السلطان، فألقاه السلطان إلى الفيل، فقتله صبراً، كما في «طبقات ناصري»، لعله سنة تسع وثلاثين وست مئة.

٦٢ ـ القاضي شمس الدين البهْرائِچي

الشيخ الفاضل: شمس الدين البهرائچي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال.

كان قاضياً بمدينة بهرائچ، وتقرّب إلى محمود بن الإيلتمش حين كان والياً بها من قِبَل ابن أخيه علاء الدين مسعود بن فيروز بن الإيلتمش السلطان، فلما قام بالمُلك ولاّه قضاء الممالك لثلاثٍ بقين من رجب سنة إحدى وخمسين وست مئة، فصار المعتمد والمستشار في مهمات الأمور، فسخط عليه الناس وحسدوه وسعوا به إلى السلطان، فعزله عن القضاء يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وست مئة.

(١) أي: وَشَى به.

ثم لما خرج على السلطان بعضُ أمرائه سنة خمس وخمسين وست مئة اتّهموه بأنه حرّضهم عليه، فنفاه السلطان عن مدينة دهلي يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وست مئة، فسار إلى إقطاعه، كما في «طبقات ناصري».

٦٣ ـ الشيخ شهاب الدين جَكْجَوْت

الشيخ الكبير: شهاب الدين بن محمد السُّهرَوَرْدي الكاشْغَري ثم الهندي الجِتْهلَوي. كان من العلماء الربانيين المعروفين بالزهد والورع والاستقامة على الطريقة الظاهرة والصلاح.

قدم الهند وأقام بقرية جِتْهلي ـ بكسر الجيم ـ على ثلاثة أميال من مدينة پَتْنَهْ، وكان من أصحاب الشيخ شهاب الدين السُّهرْوَرْدي.

وكانت له ثلاث بنات، وَلَدْن الرجال المشهورين أمثال الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري، والشيخ أحمد چَرْم پُوش.

وقبره بقرية جهلي، ظاهر مشهور، يُزار ويُتبرّك به. وأما (جكَجَوْت) فمعناه: نور العالَم.

٦٤ ـ مولانا شهاب الدين الأجُودَهني

الشيخ الفاضل: شهاب الدين بن فريد الدين مسعود العَدَوي العُمري الأجودهني، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح.

وُلد ونشأ بمدينة أَجُودَهْن، وقرأ العلم على أساتذة عصره، وجَدّ في البحث والاشتغال حتى تأهل للفتوى والتدريس، ثم أخذ الطريقة بأمر أبيه عن بعض مشايخ چِشْت الذي قدم أَجُودهن لزيارة والده.

قال الكرماني في «سير الأولياء»: إنه كان عالماً كبيراً ذا وقار وعفة وطهارة، يصرف أوقاته في حضرة الشيخ غالباً، وينقّح المعاني الدقيقة والمطالب الغامضة، ويقرِّر تلك المسائل بفصاحة وبلاغة، وكانت بينه وبين الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني محبةٌ صادقة، ومودةٌ واثقة، ربما يذكره الشيخ بالخير ويُثني على علمه وجلالته. انتهى.

٦٥ ـ مولانا شهاب الدين البدايوني

الشيخ الفاضل: شهاب الدين بن جمال الدين المهمروي البَدَايُوني، أحد الأفاضل المشهورين في عهد أبناء الإيلتمش.

اعترف بفضله فخر الملك العميد التُّولكي، ولقّبه بالأستاذ. وذكره الأمير خُسرو بن سيف الدين الدهلوي في بعض قصائده، منها قوله:

در بدايون مهمر سر مست بر خيزد زخاك
گر بر آيد غلغله مرغان دهلي زين نوا

وأخذ عنه الشيخ ضياء الدين النَّخْشَبي.

وله قصائد غرّاء بالفارسية، منها قوله:

الفم بلوح هستى همه هيچ در نشانى
ببقاي غير قائم زوجود خويش فانى
صف آخر ايستاده بأميد به نشينى
ز تحرك آرميده بصفات بى نشانى

٦٦ ـ السيد شهاب الدين الگُردِيزي

السيد الشريف: شهاب الدين بن زين الدين بن عيسى باقر بن نظام الدين، أبو العلي محمد بن أبي طالب حمزة بن محمد بن طاهر بن جعفر الزكي المشهور بالكتاب، عليه وعلى آبائه السلام.

حرف الصاد المهملة

٦٧ ـ مولانا صمصام الدين الفرغاني

الشيخ الفاضل: صمصام الدين الفرغاني، أحد العلماء المُبرِّزين في الفقه والأصول.

قدم الهند، ودخل بَنْگالَهْ، فقرّبه إلى نفسه محمدُ بن بختيار الخلجي وأكرمه، وبذل له مالاً خطيراً، فغزا معه كفارَ الهند. وسكن بأرض بنگاله مع أخيه نظام الدين. أدركه القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني صاحب «الطبقات» سنة إحدى وأربعين وست مئة، وروى عنه أخبار الخلجي في كتابه.

حرف الطاء المهملة

٦٨ ـ بهاء الدين طُغْرُل المُعزّي

الأمير الكبير: بهاء الدين طغرل المعزي، المنسوب إلى الشهاب معزّ الدين محمد بن سام الغوري.

كان من مماليكه، خَدَمه زماناً، وغزا معه في بلاد الهند، وفتح قلعة تهنكر، فولاّه الشهاب على ناحية بَيَانة ـ بفتح الموحدة والتحتية ـ فساس الأمور وأحسن إلى الناس وغمرهم بإحسانه وجُوده.

وكان من أجواد الدنيا، عادلاً باذلاً كريماً حَسَن العقيدة، كثير الخيرات، محباً لأهل العلم، محسناً إليهم. مات في أيام قطب الدين أيبك، كما في «طبقات ناصري».

حرف الظاء المعجمة

٦٩ ـ القاضي ظهير الدين الدهلوي

الشيخ العالم الفقيه: القاضي ظهير الدين الدهلوي، أحد العلماء المبرّزين في الفقه والأصول والعربية. كان يدرّس ويفيد بدار الملك دهلي في عهد السلطان غياث الدين بَلْبن. أخذ عنه خلق كثير، كما في «تاريخ فيروز شاهي» للقاضي ضياء الدين البرني.

حرف العين المهملة

٧٠ ـ الشيخ عبد الرشيد الكيْتهلي

الشيخ الصالح: عبد الرشيد بن نصير الدين القرشي المدني ثم الهندي الكيتهلي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، كان يُدعَى بـ (صُوفي بَدهنِي). ذكره الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي في «أخبار الأخيار» بذلك اللقب، والشيخ عبد الصمد بن أفضل محمد التميمي الأكبرآبادي في «أخبار الأصفياء» باسمه.

قال عبد الصمد: إنه كان نجل الشيخ زين العابدين بن عبد الرزاق بن السيد الإمام عبد القادر الجِيلي، والله أعلم. وكان شديدَ التعبد، ذا كشوف وكرامات، وتَرْكٍ وتجريد. يذكره الشيخ نظام الدين محمد البدايوني بالخير، كما في «فوائد الفؤاد».

مات سنة ثمان وثلاثين وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

٧١ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد الدمشقي

الشيخ العالم الكبير العلامة: عبد العزيز بن محمد الإمام نجم الدين الدمشقي ثم الدهلوي، أحد العلماء المبرّزين في العلوم الحِكمية.

أخذ عن الإمام فخر الدين الرازي صاحب «المباحث المشرقية»[1]، وقدم الهند فاغتنم قُدومَه الملوكُ والأمراء، وكان السلطان غياث الدين بلبن يتردّد إليه في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة ويحظى بصحبته.

٧٢ ـ الشيخ عبد العزيز عَلَمْبَرْدار المكي

الشيخ الصالح المعمّر: عبد العزيز الصالحي المكي، المشهور بعبد الله عَلَمْبَرْدار ـ أي صاحب لواء النبي ﷺ، يقال: إنه أدرك زمان الخليل ومَنْ بعده من الأنبياء، وقيل: إنه لم يُدرك الخليل، بل أدرك عيسى بن مريم فآمن به، ثم أدرك النبي ﷺ وأسلم على يده ولازمه وصار من أهل الصفّة، ثم إنه سافر معه في إحدى غزواته وبيده لواؤه ﷺ، وغلبت عليه الحالة، فتأخر عنه ﷺ في إحدى منازل السفر، واستغرق، فلم ينتبه أربعين سنة!.

فلما ورد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك المقام في حرب الجمل أو حرب صِفِّين انتبه من ضوضاء الناس وسأل عنه فقيل: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقام وبايعه وخَدَمه في الحرب ثم دخل في السِّرداب وظُنّ أنه تُوفِّي، ولم يزل كذلك أربعين سنة، ثم خرج وساح البلاد مدة طويلة، ثم دخل في السِّرداب وخرج منها بعد أربعين سنة.

قال الشيخ حسين القَلَنْدَر السرهربوري في «الغوثية»: قال الراوي: كان له ـ أي للشيخ عبد العزيز المكي ـ أربعة قبور، وفي كل قبرٍ مَكَث أربعين سنة، والناس

---

(١) وصاحب «التفسير الكبير» المشهور.

يتحدثون أنه تُوفِّي وهو لم يُتَوفَّ، ويخرج من قبره ويدور على وجه الأرض! هكذا فَعَل ثلاث مرات! وقد يخرج من قبره بعد أربعين سنة، والرابع هذا القبر الذي كان عنده قبر شيخ الإسلام فريد الدين، ومن هذا القبر يخرج! انتهى.

وقال الشيخ تُراب علي الكاكُوزوي القَلَنْدري في «أصول المقصود»: «إنه يخرج في زمن المهدي الموعود، كما كان أصحاب الكهف انتبهوا من الرقود بعد ثلاث مئة سنة وتسع سنين في أيام الملك الصالح، ثم رقدوا، وإنهم ينتبهون في أيام المهدي الموعود».

قال العلامة عبد العلي بن نظام الدين السِّهَالْوي ثم اللكهنوي في «فواتح الرحموت شرح مُسلَّم الثبوت»: «ومثلُ رَتَنٍ: ما يدَّعون الأولياء القَلَنْدرية البررة الكرام: صحبةَ (عبد الله)، ويلقّبونه «عَلَمْبَرْدار»، وينسبون خِرقتهم إليه، ويدَّعُون إسناداً متّصلاً، ويحكون حكاية عجيبة، ويدّعون بقاءه إلى قريب من ست مئة، ولا مجال لنسبة الكذب إليهم، فإنهم أولياء أصحاب الكرامات، محفوظون من الله تعالى، والله أعلم. انتهى».

أقول: وتنتهي إليه سلسلة المشايخ القلندرية والمَدارية بواسطة المُعمَّرين، وليس له عينٌ ولا أثرٌ في كتب الرجال والسير، ولم يذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» مع أنه ذكر رَتَن الهندي وتكلّم عليه، ولم يذكره ابن الأثير في «أُسد الغابة» ولا غيرُه من قدماء المحدِّثين والمؤرخين في كتبهم.

وإن شئتَ فاذكر قول الذهبي في رتن: «وما يُصدِّق بصحبة رَتَنٍ إلا من يؤمن بوجود محمد بن الحسن في السرداب، ثم بخروجه إلى الدنيا، ويؤمن برجعة عليٍّ، وهؤلاء لا يؤثّر فيهم العلاج». انتهى.

وأما وجود الشيخ عبد العزيز المكي وكونه من الأولياء، فليس مما يُنكَر عليه. والله أعلم.

٧٣ ـ القاضي عثمان بن محمد الجوزجاني

الشيخ العالم الكبير: القاضي أبو عمرو، عثمان بن محمد بن عثمان بن إبراهيم بن عبد الخالق الجوزجاني، الشيخ منهاج الدين بن سراج الدين الدهلوي، صاحب «طبقات ناصري».

لعلّه وُلد سنة تسع وثمانين وخمس مئة، لأنه صرَّح في كتابه أنه كان ابن ثماني عشرة في سنة سبع وست مئة. وفي تلك السنة انتقل والده من لاهور إلى بامِيان، استقدمه بهاء الدين سام بن محمد الباميانى، وولاّه القضاء الأكبر بها، فنشأ في ظلّ والده واشتغل عليه بالعلم. وتُوفِّي والده في صغر سِنِّه، فرماه الاغتراب إلى بلاد أخرى، وقرأ على عصابة العلوم الفاضلة حتى برع في العلم، ودخل مدينة (أَچْ) يوم الثلاثاء لأربع ليالٍ بقين من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وست مئة، وتقرّب إلى ناصر الدين قَبَاچَهْ ملك السند، فولاّه التدريس بالمدرسة الفيروزية، وولاّه قضاء عسكر ولدُه بَهْرام شاه. ولما دخل شمس الدين الإيلتمش الدهلوي السند، وحاصر قلعة (أَچْ) خرج من القلعة وتقرّب إليه سنة خمس وعشرين، فولاّه الإيلتمش القضاء والخطابة والإمامة والاحتساب وغير ذلك من الأمور الشرعية بمدينة گوَالْيار سنة ثلاثين وست مئة، فاستقلّ بها إلى سنة خمس وثلاثين.

ودخل دهلي في أيام رضية بنت الإيلتمش، فوَلي أوقاف المدرسة الناصرية بدهلي مع القضاء بمدينة گواليار. ولما قام بالمُلك معزّ الدين بهرام شاه ولاّه قضاء الممالك بحضرة دهلي يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وست مئة. ثم لما قام بالمُلك ابنُ أخيه مسعود شاه استقال عن القضاء، لعلّه في ثامن ذي القعدة من السنة المذكورة، وسافر إلى لكهنوتي.

وخرج من دهلي يوم الجمعة تاسع رجب سنة أربعين وست مئة، فسار إلى بَدَايُون، ثم إلى أَوَدْه، ثم إلى كَرَهْ، ثم إلى لكهنوتي، فدخلها يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة أربعين وست مئة. ونال من عز الدين طغرل طَغَانْخان ـ أمير تلك الناحية ـ الصِّلات الجزيلة، فأقام بها سنتين.

ورجع إلى دهلي فدخلها يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وست مئة، فشَفَع له غياث

الدين بَلْبن وكان أميرَ الحاجب، فولي القضاء بگوَالْيار وخطابتها، وولي أوقاف المدرسة الناصرية يوم الخميس السابع عشر من صفر سنة **٦٤٣**، وصنَّف «ناصري نامَهْ» منظومة في غزوات ناصر الدين محمود بن الإيلتمش سنة خمس وأربعين، فنال الصِّلات الجزيلة من غياث الدين بَلْبن أمير الحاجب، وأُعطِي قريةً بأعمال (هانْسِي). وولي قضاء الممالك مرةً ثانية بحضرة دهلي يوم الأحد عاشر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وست مئة، وعُزل عنه لثلاثٍ بقين من رجب سنة إحدى وخمسين وست مئة، ولُقِّب بِـ (صدر جَهَان) سنة اثنتين وخمسين. وولي قضاء الممالك مرةً ثالثة يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وست مئة، صرّح بذلك في كتابه «طبقات ناصري».

وكان عالماً بارعاً في الفقه والأصول والسِّير والتاريخ والشعر، وفيه من حُسن الخلق والتواضع وكرم السجايا ومعرفة حقائق القضايا ما هو غايةٌ ونهاية.

وقد أدركه الشيخ نظام الدين محمد البَدَايُوني حين دخل دهلي وكان يقول: إنه كان يستمع الغناء ويتواجد، واستقام على ذلك بعد ما تولّى القضاء، وكان مُذكِّراً تُؤثِّر موعظته في قلوب الناس، قال: إني حضرتُ في تذكيره مرةً، وكان يُنشد.

لب بر لب لعل دلبران خوش كردن
وآهنگ سر زلف مشوش كردن

امروز خوش است ليك فرداست زيان
خود راچو خسى طعمهٔ آتش كردن

قال: فغُشي عليّ، وأَفَقْتُ بعد ساعة، كما في «فوائد الفؤاد».

وللشيخ منهاج ابن السراج مصنفات عديدة، منها «طبقات ناصري» في التاريخ، صنّفه في أيام ناصر الدين محمود بن الإيلتمش، وله «ناصري نامَهْ» في غزواته، وله قصائد غرّاء بالفارسية في المديح.

أما كتابه «طبقات ناصري» فهو على ثلاثة وعشرين مجلداً: الأول في تاريخ الأنبياء، والثاني في أخبار الخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرة، وأعقاب سيدنا علي رضي الله عنه، والثالث في أخبار الخلفاء الأموية، والرابع في أخبار الخلفاء العباسية إلى سنة **٦٥٦هـ**، والخامس في أخبار ملوك الفرس من طائفة پِيشْدادِي إلى الأكاسرة ثم إلى يَزْدَجِرْد، والسادس في تاريخ ملوك اليمن، والسابع في أخبار الطاهرية إلى **٢٥٩**، والثامن في أخبار الصَّفَّاريِّين إلى **٢٨٩**، والتاسع في أخبار السامانية من **٢٨٩** إلى عبد الملك بن نوح، والعاشر في أخبار آل بُوَيْه من بدء أمرهم إلى أبي الفوارس شرف الدولة، والحادي عشر في أخبار ملوك غَزْنة من سُبُكْتِكِين إلى خُسرُو مَلِك، والثاني عشر في أخبار الملوك السلجوقية، والثالث عشر في أخبار السَّنْجَرية من أتابكة العراق وأتابكة الفرس وملوك نيسابور، والرابع عشر في أخبار ملوك نِيْمْرُوز سجستان[1]، والخامس عشر في أخبار أتابكة الشام وأيوبية مصر، والسادس عشر في أخبار ملوك خوارزم، والسابع عشر في أخبار الشبستانية من ملوك الغور، والثامن عشر في أخبار ملوك باميان وطَخَارِسْتان، والتاسع عشر في ذكر ملوك الشبستانية بغزنة، والعشرون في أخبار الملوك المُعِزّية بالهند، وفيه أخبار قطب الدين أَيْبَك، وناصر الدين قَبَاچَهْ، وبهاء الدين طُغْرُل، وأخبار بَخْتِيار الخلجي ومن بعده إلى غياث الدين، الحادي والعشرون في أخبار الملوك الشمسية بالهند من شمس الدين إيلتمش إلى ناصر الدين محمود، الثاني والعشرون في أخبار نواب الملوك الشمسية بإقطاع الهند، الثالث والعشرون في غزوات السلطان سَنْجَر وفتح تركستان بيد خوارزم شاه إلى سنة **٦٥٨**.

---

(١) يطلق على «سجستان» اسم «نِيمرُوز» كذلك، كما يظهر من كتاب «طبقات ناصري» على أساس أن سجستان كانت بحراً في القديم ومُلأ نصفه بالرمل بأمر النبي سليمان بن داود، فسُمِّي بـ «نيمروز».
(«يرجع إلى الطبقة الرابعة عشرة في كتاب «طبقات ناصري»).
ويعتبره الناقدون أسطورة من الأساطير، طبقات ناصري المجلد الأول، ترجمة غلام رسول مِهر ص **٥٠٥** (الندوي).

٧٤ ـ الشيخ عثمان بن حسن المروندي

الشيخ الصالح: عثمان بن حسن الحسيني المروندي ثم السِّيْوِسْتاني، المعروف بِ (لَعْل شاهْبَاز).

قدم ملتان سنة اثنتين وستين وست مئة، فكلّفه محمد بن غياث الدين الشهيد بالإقامة في ملتان، وأراد أن يبني له زاوية بتلك المدينة فلم يَقْبله، وسافر في بلاد الهند، ثم رجع إلى أرض السند وسكن بسِيْوِسْتان، ولم يزل بها حتى مات. وكان شيخاً وقوراً مجرّداً حَصُوراً. يذكر له كشوف وكرامات.

تُوفِّي سنة ثلاث وسبعين وست مئة بسِيْوِسْتان، فدُفن بها، كما في «تحفة الكرام».

٧٥ ـ خواجه عزيز الكَرَكي

الشيخ الصالح: عزيز الكركي البدايوني، العارف الفقيه الزاهد. كان يذكره الشيخ نصير الدين محمود بن يحيى الأَوَدِي بالخير، ويذكُر كشوفه وكراماته. مات سنة ست وستين وست مئة بكَرَك ـ قرية من أعمال بَدَايُون ـ، كما في «خزينة الأصفياء».

٧٦ ـ الشيخ عزيز الدين اللاهوري

الشيخ الصالح: عزيز الدين الحسيني البغدادي ثم الهندي اللاهوري، أحد الرجال المعروفين بالعلم والمعرفة. قدم الهند سنة أربع وسبعين وخمس مئة، فسكن بلاهور ودرّس وأفاد بها ستاً وثلاثين سنة. تُوفِّي سنة اثنتي عشرة وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

٧٧ ـ الشيخ علاء الدين الدهلوي

الشيخ العميد: علاء الدين الدهلوي، الدَّبِير، المشهور بعمدة الملك. كان من كبار الأفاضل. وَلِي ديوان الرسائل في عهد السلطان غياث الدين بَلْبن، ثم في عهد السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي، ومات في أوائل عهده. ذكره القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه، وأثنى على فضله وبراعته في الإنشاء والترسُّل.

٧٨ ـ الشيخ علي بن أبي أحمد الچشتي

الشيخ الصالح: علي بن أحمد بن مودود بن يوسف الحسيني، الشيخ مُحيي الدين الچشتي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح.

وُلد ونشأ بقرية چِشْت، وتأدّب على والده، وأَخَذ عنه وعن صِنْوه الكبير أبي محمد، ثم قدم الهند وطابت له الإقامة بدهلي. فلما مات صِنوُه أبو محمد: بَعَث أهل تلك القرية رجالاً من أصحاب والده يستقدمونه إلى چِشْت ليجلس على مَسْنَد الإرشاد، فمنعه السلطان غياث الدين بَلْبن والتمس إقامته بدهلي، فسكن بها وبعث إلى ابن أخيه أبي أحمد بن أبي محمد الچشتي الإجازة، كما في «سير الأولياء». أخذ عنه ولدُه محمد بن علي.

وسلسلة الشيخ ركن الدين مودود الگجراتي وصاحِبِه عزيز الله المتوكل: تصلُ إليه ببضع وسائط، وهذه الطريقة الوحيدة في أرض الهند: تصل إلى مشايخ چِشْت بغير واسطة الشيخ معين الدين حسن الأجميري. مات ودُفن بمدينة دهلي.

٧٩ ـ الشيخ علي بن أحمد الكَلْيَري

الشيخ الكبير: علاء الدين علي بن أحمد الصابر الإسرائيلي الكَلْيَري، أحد الأولياء المشهورين بأرض الهند. كان إسرائيليَّ النسب من ذرية سيدنا موسى، على نبينا وعليه السلام.

سَعِد بصحبة الشيخ فريد الدين مسعود الأَجُودَهني في شَبَابه، ولازمه مدة من الزمان بغاية الترك والتجريد والزهد والمجاهدة، فبلغ رتبةً قلَّما وصل إليها أصحابه، فوجّهه الشيخ إلى كَلْير ـ بفتح الكاف ـ وكانت مدينةً عامرةً في أودية الجبال في وسط الهند[1]، فاشتغل بها بالعبادة والإفادة، أخذ عنه الشيخ شمس الدين التركماني.

وكانت وفاته في الثالث عشر من ربيع الأول سنة تسع وثمانين ـ أو تسعين ـ وست مئة، كما في «مِهْر جَهَانْتاب».

---

(١) هي الآن قرية في مديرية (سهارَنْپُور).

٨٠ ـ بهاء الدولة علي بن أحمد الجامجي

الصدر الأجلّ: مجد الملك بهاء الدولة، علي بن أحمد الجامجي كان من كبار الأمراء. فتح جَاجنگر مع قلّة عَدَده، وهَزَم صاحبها مع أنه كان له سبع مئة فيلة ومئة ألف فارس وعشرة لكوك[1] رَجّالة، وغنم أموالاً وسَبَى الذراري وقَتَل خلقاً كثيراً، فتوهّم منه شمس الدين الإيلتمش وأَخَذَ عنه عشرين لَكّ تَنْكه، وأَسَرهُ. ثم لما غلب شمس الدين على تاج الدين الدّزّ، كَتَب إليه مجد الملك هذه الأبيات:

چون ملك توشد يكى بصد بخش مرا

اميد تو حق نكرد رد بخش مرا

هر چند شفاعتم كسي مي نكند

شكرانه ٔ اين فتح بخود بخش مرا

فخَلّى سبيله، وخَلَع عليه، وقرَّبه إلى نفسه ثم جعله (أمير داذ) بمدينة بَدايُون، فاستقلّ بها زماناً وقَتَل المفسدين في ناحية بَهْرائِچ، وفَتَحها مرة ثانية، وغَنِم خمساً وعشرين لَكّا وأدخلها في بيت المال، واتّهموه بالبغي والخروج مرة ثانية وأسروه، ثم أبعدوه عن دار الملك، فجمع فرساناً ورَجَّالة، وفتح مدينة بَنَارَسْ.

وطار صِيتُه بالجود والكرم، فأرادوا قتله غِيْلةً، فأخبره بعض ندمائه، فخرج من المجلس ولَحِق بجنده، وأخذ البيعة من الناس للسلطان ناصر الدين قَبَاچَهْ ملك السند، وجَبَى الخراج وتسلّط على بَهْرائِچ، وبعث إلى ناصر الدين سنة سبع عشرة وست مئة، فأرسل إليه الخِلَع الفاخرة، وأنشأ نور الدين محمد بن محمد العوفي صاحب «لباب الألباب» خطبةً فقرأوها في الجامع الكبير بمدينة (أُچْ).

٨١ ـ منهاج الدين علي بن إسحاق البخاري

الشيخ العالم الكبير: منهاج الدين علي بن إسحاق البخاري الدهلوي، أحد الأفاضل المشهورين بدهلي. يُدرِّس ويفيد في المدرسة المعزيّة بدهلي، أخذ عنه حفيده بدر الدين إسحاق بن علي البخاري وخلقٌ كثير من العلماء. وكان نسبُه يتّصل بعُمر الأشرف بن علي بن الحسين السبط، رضي الله عنهم. مات بدهلي ودُفن بها.

٨٢ ـ ضياء الدين علي بن أسامة الحِلّي

السيد الشريف: ضياء الدين علي بن أسامة بن عدنان بن أسامة الحِلّي، أبو القاسم. كان من نسل عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة، وقد شرحتُ نسبه في ترجمة أخيه زيد بن أسامة الحِلّي.

فارق العراق وقدم الهند مع أخيه المذكور، ووَلي بها زعامة الطالبيين، وكان زعيمَ ألف فارس. ومات بالهند، كما في «عمدة الطالب».

وينتهي إليه نسب السيد الشريف محمد بن محمد القَنُّوجي، ويُعرف عشيرتُه بِ (سادات رسُولْدار).

٨٣ ـ علي بن الحامد الكوفي

الشيخ الفاضل: علي بن الحامد بن أبي بكر الكوفي ثم الأُچِّي السندي، أحد رجال العلم والمعرفة.

وُلد ونشأ بمدينة أُچ، وخرج منها وسافر إلى بَهكَّر وأَلور سنة ٦١٣ وله ثمان وخمسون سنة، فلقي بها القاضي إسماعيل بن علي بن محمد بن موسى الطائي ووَجَد عنده أجزاء من تاريخ السند وغزوات المسلمين عليها وفُتوحاتِهم بها بالعربية كَتَبها جُدود القاضي، فأَخَذ عنه الأجزاء ونَقَلها إلى الفارسية للوزير حسن بن أبي بكر بن محمد الأشعري عين الملك.

وكتابه موجودٌ في مكتبة المرحوم خُدابخش خان بمدينة عظيم آباد، أوّله: حمد وستائش مر پروردگار، إلخ. كما في «محبوب الألباب».

٨٤ ـ القاضي علي بن عمر المحمودي

الشيخ الإمام: علي بن عمر المحمودي، القاضي حميد الدين، افتخار الأفاضل.

كان من العلماء المشهورين في سَعَة العلم وطول

---

(١) «لكوك» جمع «لك» بمعنى: (مئة ألف).

الباع. نال الصِّلات الجزيلة من السلطان قطب الدين أيبك. وله رسائل مبتكرة مشهورة في الهند. ومن شعره قوله:

تا چند بارم أي زلبت گشة زار لعل
آب از دو ديده درغم آن آبدار لعل
نى نى چو يافت بالب ودندانت نسبتي
ناقص شدست لؤلؤ وگشتست خوار لعل

إلى غير ذلك من الأبيات الرائقة التي أوردها العوفي في «لباب الألباب».

٨٥ ـ جمال الدين علي اللاهوري

الصاحب العميد: جمال الدين علي اللاهوري، المشهور بسيّد الكُتّاب. كان متولياً بديوان الإنشاء في نيسابور للملك المؤيد. أدركه نور الدين محمد بن محمد العوفي بتلك البلدة وصَحِبه.

وله مراسلات إلى فريد الدين محمد بن أحمد يار الكافي الكاتب، وإلى غيره من الصدور والكُتّاب. ومما كَتَب إليه فريد الدين مُجيباً له:

آمد بـبام عاشق مهجور مستهام
مرغي زآشيانه معشوق نامه نام
لفظش چو لعل منجمد از خنده هوا
خطش چو در منعقد از گريهٔ غمام
پرسيدم از عطاردكين نامه زان كيست
وزاهل فضل منشي اين درج در كدام
گفت آنكه مبدعان نكات براعتند
با من كه خواجه همه ام پيش از غلام
گفتم جواب نامه نويسم بطنز گفت
اقرار تو بعجز جواب ست والسلام

٨٦ ـ علاء الدين علي الأصولي

الشيخ الصالح: علاء الدين علي الأصولي البدايوني، كان من رجال العلم والطريقة.

قرأ عليه الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البَدَايُوني، وكان الشيخ نظام الدين يقول: إنه كان من أصحاب الشيخ جلال الدين التبريزي. وكان على قَدَم شيخه في الخصال الحميدة، وكان يجتهد في ستر حاله من صبرٍ ورِضَا، ويعمرُ ساعاتِهِ بالإفادة والعبادة، كما في «فوائد الفؤاد».

٨٧ ـ علاء الدين علي مَرْدَان الخلجي

الأمير الكبير: علاء الدين علي مَرْدَان الخلجي، أحد الرجال المعروفين بالجلادة.

سار إلى بَنْگالَهْ وقاتل كفار الهند، ثم استعمله عز الدين محمد بَخْتِيار الخلجي على ناركُوتِي، فضَبَط البلاد وأحسن إلى الناس. ولما رجع محمد بختيار من بلاد التُّبَّت واعتراه المرض، سار إليه وقتله[1]، ثم قام بالمُلك، فشنّ الغارة عليه محمد شِيْرَان الخلجي وحَبَسه، ثم خَلَص من الأسر، وسار إلى دهلي، وتقرّب إلى قطب الدين أيبك سلطان الهند، فاستعمله على بَنْگاله، فضبط البلاد وأحسن السيرة في الناس. ولما مات قطب الدين استقلّ بالملك وتلقّب بعلاء الدين، فخضعت له العباد ودانت له البلاد.

وكان ملكاً فاتكاً غَشُوماً متكبراً، بدَّل سيرته في آخر أمره، فتعدَّى على الناس، وأمعن في الظلم، فخرج عليه الأمراء وقتلوه. وكانت مدة سلطنته سنتين، كما في «طبقات ناصري». والذي يظهر من ذلك أنه قُتل نحو سنة تسع وست مئة.

٨٨ ـ حسام الدين عوض بن الحسين الخلجي

السلطان العادل الكريم: حسام الدين عوض بن الحسين الخلجي، السلطان غياث الدين الشهيد، ملك بَنْگالَهْ.

وُلد ونشأ ببلاد الغور، وقدم الهند، فسار إلى بنگاله، وتقرّب إلى محمد بن بختيار الخلجي، وقاتل الكفار، ولما قُتل علي مَرْدانْ الخلجي سنة تسع وست

---

(١) كذا، وانظر ترجمة عز الدين محمد بن بختيار الخلجي رقم ١٠٤.

مئة اتفق الناس عليه وبايعوه، فاستقلّ بالملك، وتلقّب: «غياث الدين».

وكان ملكاً عادلاً كريماً باذلاً شجاعاً، مُحباً لأهل العلم محسناً إليهم، مشكور السيرة في الناس، اجتمع إليه السادة والأشراف من كل ناحية، فأحسن إليهم وغمرهم بجُوده وإحسانه، وساس الناس أحسن ما يكون. وله عقل ودين ومَيْلٌ إلى معالي الأمور.

ومن مآثره الجميلة: أنه بنى جسراً كبيراً من (لَكْهنُوتي) إلى (لَكْهنُور) في الشعبة الغربية من (نهر كَنْگ)، ومن جانب آخر إلى (ديوكُوت) في الشعبة الشرقية، وطولُ الجسر مسيرة عشرة أيام، فاستراح الناس به، وكانوا قبل ذلك يَصِلون إلى العمرانات في أيام المطر بالفُلك.

قال القاضي منهاج الدين الجوزجاني في «طبقات ناصري»: إني دخلتُ بنگاله سنة إحدى وأربعين وست مئة، فرأيت آثاراً من خيراته، قال: إن لبلاد لكهنوتي جناحين، وفي كل منهما يجري (ماء گنگ)، يُسمّون الجانب الغربي: (الأزال)، وبلدة لكهنوتي في ذلك الجانب، ويُسمّون الجانب الشرقي: (بَرْبنده)، وفي ذلك الجانب بلدة ديوكوت، فبَنَى الجسر من لكهنوتي إلى لكهنور في جانبٍ، ومن آخر إلى ديوكوت، مسيرة عشرة أيام. وسبب ذلك أن في أيام المطر يغمر الماء تلك الأرض كلها، فلا يَصِل الناس إلى العمرانات إلا بالفلك.

قال: وشمس الدين الإيلتمش سيَّر إليه عساكره غير مرة، وسار نحوه بنفسه سنة اثنتين وعشرين وست مئة، وصالحه بمال يؤديه، واستولى على (بِهَار) ورجع إلى دهلي، وسيَّر ولده ناصر الدين محموداً سنة أربع وعشرين وست مئة من بلاد (أَوَدْه) مع عساكره، فقاتله قتالاً شديداً، فانهزم منه غياث الدين وقُتل. وكانت مدة سلطنته على بنگاله اثنتي عشرة سنة. قال: وكان شمس الدين الإيلتمش يذكره بالخير ويذكره بلقبه غياث الدين، ويقول: إنه كان مستحقاً لذلك اللقب. انتهى. مات سنة أربع وعشرين وست مئة.

٨٩ ـ فخر الدين عميد التَّوْلَكِي

الفاضل الكبير فخر الملك: فخر الدين عميد التولكي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال. كان مُستوفي الممالك في أرض الهند في أيام ناصر الدين محمود بن الإيلتمش السلطان الصالح.

وكان فاضلاً كبيراً شاعراً مُجيد الشعر. له قصائد غراء بالفارسية أَورَد بعضها عبد القادر البَدَايُوني في «منتخب التواريخ».

من شعره قوله:

منكه چون سيمرغ دريك گوشه مسكن كرده أم
ما وراى مركز خاكي نشيمن كرده أم
ننگ هر مرغى درين بوم ازچه معنى مى كشم
رفته أم عنقا صفت در كوه مسكن كرده أم
مرغ همت تا نگردد خرمن سفلى گراى
خرمن چرخش ز أنجم پر ز أرزن كرده أم
مه چه خرمن ميزند چون دانه ننمايد بكس
من بجو سنگ مروت چند خرمن كرده أم
نو عروس بكر معنى را بنور معرفت
در شبستان خرد چون روز روشن كرده أم
سير اجرام سپهر أز جدول تقويم كن
برد رنج ناطقه يك يك مبرهن كرده أم
در لگام چار حلقه كان ستام عنصريست
بس رياضتها كه من بر نفس توسن كرده أم
طوطىء جان راكة قالب گلخن مستوحش است
هر نفس دستان سراي سيرگلشن كرده أم
شد بگلشن طوطى وزاغ هوا را بر اثر
گرد بر گرد طبيعت وقف گلخن كرده أم
در بسى فن اهل حكمت را گران رغبت نبود
من دران صد گونه زه چون مرديك فن كرده أم
گنج حكمت را ضمير من چراغ افروز شد
در فتيلش تا زنور عقل روغن كرده أم
گوهر اسرار معنى شد چنان حاصل كه من
خاطر از گنجينهٔ اسرار مخزن كرده أم

روزی از راه رعونت در گلستان هوا
جلوهٔ حکمت چو طاؤس ملون کرده أم
شاهباز غیرت حق از کمین زد ینجه
زان کبوتر وار در یك گوشه مسکن کرده أم
ره درین یك برج بي روزن نمودندم ولی
من بهمت ره برون از هفت روزن کرده أم
برجي انگه چون دلم بل کز دل من تنگ تر
رشته أم گوئي مکان درچشم سوزن کرده أم
برج قوس است این ومن خورشید سان بر عالمي
نو بهاري را ز آه سرد بهمن کرده أم
ابن نه بس آهنگر آوردم نوید بخت بد
گفتمش بر گردن از خوني بگردن کرده أم
مسند خورشید زرین تخت مي زیبد مرا
حال را من تکیه بر کرسي آهن کرده أم
در گریبان سر فرو برد اژدهاي هفت سر
تا من این مار دو سر در زیر دامن کرده أم
پند بیزن میکنندم عرض در چاه ستم
ني منیزه دیدم وني جرم بیزن کردم أم
صبر بازوي تهمتن دارد از روی قیاس
قوت مخلص ببازوي تهمتن کرده أم
همدمانم هریکي در شغل ومن در بند حبس
حاش لله زین سخن تنها گنه من کرده أم
کار بر عکس است ورنه خود که روز بدکشد
شغل اشراقي که من بر وجه أحسن کرده أم
ناوك چرخ ستمگر بگذرد روشن ز پشت
گرچه روی صبر را از سینه جوشن کرده أم
تن غذا خواهست دربند غم ومن راتبش
شربت از خون وکباب از دل معین کرده أم
یك زبان بودم چو لاله در شکایت بعد ازین
خویشتن را بعد ازین مانند سوسن کرده أم
چون بنفشه سر به پیش افگنده از قحط کرام
هم چو سوسن ده زبان از مدحت الکن کرده أم

کیفر لب مي برم کز گفتن مدح دروغ
هر گدای را شه وأشهب زلادن کرده أم
گه سها را برفروغ ماه رجحان داده أم
گاه دریا را کم از فیض غریزن کرده أم
دوستي با حرص کردم چون عمید از آز خون
زان قناعت را بروي خویش دشمن کرده أم
طبع آتش پای را از دست بی آبی چرخ
زیر حمل محنت اکنون بین چه کودن کرده أم
خاطر معنی طراز وطبع گوهر زاي را
گرچه دیري شد که بی قطران ستردن کرده أم
هستم این یك شعر دیوانی و صد درج کهر
بلکه هر بیتش به از شعر ملون کرده أم
حبس برمن شیون آورده است و از لطف سخن
سور دیدستي که من در عین شیون کرده أم
یا رب از نخل کرم برگ ونواي من بده
مرغ جان را چون بتوحیدت نوازن کرده أم
خلعت امنم کرامت کن که ما را درگهت
ما من اصلیست اینك قصد ما من کرده أم
دور دار از ظلمت شرك ونفاق وحقد وکین
باطني کز نور اخلاصت مزین کرده أم
آفتاب معرفت در سینه أم تابنده دار
چون گهر هاي یقین را سینه معدن کرده أم

حرف الغين

٩٠ ـ غياث الدين بَلْبَنْ، سلطان الهند

الملك المؤيد المنصور: غياث الدين بَلْبن، السلطان الصالح. كان من الأتراك الفراخطائية.

جُلب في صغر سِنّه إلى بغداد، فاشتراه الشيخ جمال الدين البصري سنة ثلاثين وست مئة وأتى به إلى الهند، فاشتراه منه السلطان شمس الدين الإيلتمش، فرباه في مهد السلطنة وزوّجه بابنته، فتدرج إلى الإمارة وجُعل (أُمير شِكار) في عهد رضية بنت الإيلتمش، و (مِير آخُور) في عهد بهرام شاه، و (أمير حاجب) في عهد

علاء الدين مسعود سنة اثنتين وأربعين وست مئة، ونال الوزارة الجليلة في عهد ناصر الدين محمود بن الإيلتمش في سنة أربع وأربعين وست مئة، فاستقلّ بها عشرين سنة، ولما مات محمود سنة أربع وستين وست مئة قام بالملك، واستقلّ به عشرين سنة أخرى.

وكان من خيار السلاطين، عادلاً فاضلاً حليماً كريماً، بذل جهده في تعمير البلاد، وسدّ الثغور، ورفع المظالم، والإحسان إلى كافة الخلق، وكان في ذلك على قدم السلطان شمس الدين الإيلتمش.

وكان مُحباً لأهل العلم محسناً إليهم، يتردد في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة إلى بيوت الشيخ برهان الدين البلخي، والشيخ سراج الدين السِجزي، والشيخ نجم الدين الدمشقي فيحظى بصحبتهم، ويتردد إلى مقابر الأولياء فيزورها، ويتردد إلى مجالس التذكير ويقعد بها كآحادٍ من الناس، ويداوم على الصلاة بالجماعة والصيام فرضاً كان أو نافلةً، ويداوم على صلاة الإشراق والضحى والتهجد.

وكان لا يداهن في العدل والقضاء، ولا يسامح أحداً ولو كان من ذوي قرابته.

قال الشيخ محمد بن بطوطة المغربي الرحالة في كتابه: إنه بَنَى داراً وسماها: «دار الأمن»، فمن دخلها من أهل الديون قَضَى دَيْنَه، ومن دخلها خائفاً أمن، ومن دخلها وقد قَتَل أحداً: أَرضَى عنه أولياءَ المقتول، ومن دخلها من ذوي الجنايات: أَرضَى من يطلبه. وبتلك الدار دُفن. انتهى. وكانت وفاته سنة ست وثمانين وست مئة بدار الملك دهلي.

حرف الفاء

٩١ ـ فاطمة سام

المرأة المعمّرة: فاطمة سام الدهلوية، كانت من الصالحات القانتات. أدركها الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البَدَايُوني الدهلوي، وكان يذكرها بالخير ويقول: إنها كانت غايةً في الصلاح والتقوى.

وكانت تنشد الأبيات الرائقة الرقيقة، منها ما روى عنها الشيخ المذكور:

هم عشق طلب كنى وهم جان خواهي

هر دو طلبي ولى ميسر نشود

تُوفيت إلى رحمة الله سبحانه بمدينة دهلي سنة ثلاث وأربعين وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

٩٢ ـ الشيخ فخر الدين الميْرَتهي

الشيخ الفاضل: فخر الدين الزاهدي المِيْرَتهي، أحد كبار الأولياء. أخذ الطريقة عن الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي، ولازمه مدة من الزمان، حتى بلغ رتبة المشيخة.

كان مولده ومدفنه مدينة «مَيرتها». وقيل: إنه كان من نسل الإسكندر بن[1] فيلقوس المقدونوي[2]، صرّح به محمد الحسن المَنْدُوي في «گلزار أبرار».

٩٣ ـ جلال الدين فيروز شاه الخلجي

الملك المؤيد: فيروز بن يغرس الخلجي، جلال الدين فيروز شاه، السلطان الصالح الحليم.

كان (مِيْر جامْدار) في أيام السلطان غياث الدين بَلْبن، ومقطعاً ببلدة (سامانة)، وجعله حفيده معز الدين، كِيْقُباد في آخر أيامه عرض الممالك، وأقطعه بلاد (بَرْن)، ثم لما كان معز الدين اعتراه داءٌ أعيا الأطباءَ دواؤه، طمع الأمراء في الملك، وصاروا طائفتين: الأتراك، والخلج، فخرج فيروز إلى ظاهر البلدة ووقف على تَلٍّ هناك، فكاد الأتراك أن يقبضوا عليه، ولكن الله سبحانه لمّا قيّض له الملك لم يقدروا عليه، وقُتلوا، فدخل فيروز القصر في سنة تسع وثمانين وست مئة واستقلّ بالملك وله سبعون سنة.

وكان حليماً كريماً فاضلاً، اتفق الناس عليه بعد نفورهم عنه لحِلمه وفضله وعفوه وكرمه، أدّاه حِلمه إلى قتله بعد سبعة أعوام من مُلكه.

وقصته أن علاء الدين ابنَ أخيه كان شهماً شجاعاً منصوراً، زوّجه بابنته، وأقطعه مدينة (كَرَهْ) وما والاها من البلاد، وكان حب الملك ثابتاً في نفسه إلا أنه لم

---

(١)(٢) كذا، وفي دائرة المعارف: فيلبس المكدوني.

يكن له مال إلا ما يستفيده من غنائم الكفار، فاتفق أنه ذهب مرة إلى (ديُوكِير) حيث لم يبلغ إليها أحد من الملوك الماضية، فأذعن له سلطانها بالطاعة، وأهدى له هدايا عظيمة، فرجع إلى مدينة كَرَهْ، ولم يبعث إلى عمّه شيئاً من الغنائم، فأغرى الناس عمّه به، فأرسل إليه، فامتنع من الوصول إليه، فقال عمه: أنا أذهب إليه وآتي به، فإنه محل ولدي، فتجهز في عساكره وطَوَى المراحل حتى حَلَّ بساحة مدينة كَرَهْ، وركب النهر برسم الوصول إلى ابن أخيه، وركب ابنُ أخيه أيضاً في مركب ثانٍ عازماً على الفتك به وقال لأصحابه: إذا أنا عانقتُه فاقتلوه! فلما التقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه، وقتله أصحابه كما وعدهم، واحتوى على ملكه وعساكره.

ومن شعره قوله ـ أَمَرَ أن يُكتَب على بناء عالٍ أسسه بمدينة گَوَالْيار ـ:

مــا را كــه قــدم بــر ســر گــردون ســايــد
از تــودهٔ ســنــگ وگــل چــه قــدر افــزايــد
ايــن ســنــگ شــكــســتــه زان نــهــاديــم ز دست
بــاشــد كــه شــكــســتــه درو آســايــد

وكانت وفاته في سنة ست وتسعين وست مئة.

حــرف القــاف

٩٤ ـ الشيخ قدوة الدين الأَوَدي

الشيخ الكبير القاضي: قدوة الدين بن مِيْرَك شاه بن أبي العلي الإسرائيلي الأودي، أحد الرجال المشهورين. أخذ الطريقة عن الشيخ عثمان الهاروني، وقدم الهند بعد ما افتتحها الملوك وسكن ببلدة (أَوَدْه).

وكان ذا جرأة ونجدة، يحتسب على الملوك والصعلوك، ولا يخاف في الأمر والنهي، وكان له ولدٌ تولّى القضاء بعده، اسمه أعز الدين. ثم بارك الله سبحانه في ولده، فعَمَرُوا اثنتين وخمسين قرية من أرض (أوده)، ونشأ منهم العلماء والمشايخ، كما في «بحر زخّار».

وأما نسبه فالمشهور على ألسنة الناس أنه كان من بني إسرائيل، ويقال: إنه كان من أبناء الملوك، مات في سنة خمس وست مئة، كما «في بحر زخار».

٩٥ ـ شيخ الإسلام قطب الدين بَخْتِيار الأُوشي

الشيخ الإمام العارف الكبير الزاهد المجاهد: قطب الدين بن كمال الدين الكعكي الأُوشي، كان من كبار الأولياء.

وُلد بِـ (أُوش) في حدود ما وراء النهر، وتُوفِّي والده حين كان ابنَ سنة وستة أشهر، فرُبِّي في حجر والدته العفيفة، فلما بلغ الخامسة من عمره دخل في المدرسة وتلمذ على الشيخ أبي حفص المعلم الأوشي وأخذ عنه، ثم رحل إلى بغداد، وسعد بملازمة الشيخ الكبير معين الدين حسن السجزي الأجميري في مسجد الفقيه أبي الليث السمرقندي، فلبس منه الخرقة، وكان المجلس محفوفاً بالشيوخ، كالشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدي، والشيخ أوحد الدين الكرماني، والشيخ برهان الدين الچشتي، والشيخ محمود الأصفهاني وغيرهم.

قيل: إنه بايع الشيخ معين الدين المذكور وله ثماني عشرة من العمر، وفاز بالخلافة وله عشرون سنة، ثم عطف عنان العزيمة إلى أرض الهند، وأدرك الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، والشيخ جلال الدين التبريزي بملتان، ثم قدم دهلي فأكرمه السلطان شمس الدين الإيلتمش غاية الإكرام، فتوطن بها. وكان الملك يتردد إليه في كل أسبوع، فاجتمع لديه خلق كثير من المشايخ والعلماء وانتفعوا به.

وكان من الأولياء السالكين المرتاضين، يقوم الليل ويصوم النهار، ويشتغل بالذكر والفكر على الدوام، فارغاً قلبُه عن هواجس الخطرات، زاهداً متورعاً عَزَباً، يستمع الغناء ويتواجد، ويستغرق في بحار المعارف حتى إنه تُوفي في تلك الحالة.

قال الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني: إنه حضر مرة في مجلس السماع بزاوية الشيخ علي السجزي، وكان المُغنّي يُغنِّي بأبيات الشيخ أحمد الجامي، فلما أنشد هذا البيت:

كشتگان خنجر تسليم را
هر زمان از غيب جان ديگر است

تَوَاجد الشيخ قطب الدين وغُشي عليه، فحمله أصحابه الشيخ بدر الدين الغزنوي والقاضي حميد الدين الناگوري وغيرهما، وأتوا به إلى بيته، وكان القوّال معهم يكرر البيت المذكور، فلم يُفِق إلى ثلاثة أيام، واشتدت عليه الحالة في اليوم الثالث إلى أن تُوفي إلى رحمة الله سبحانه، كما في «فوائد الفؤاد».

وكان ذلك يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وست مئة، وكان عمره يوم وفاته خمسين سنة، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: خمساً وستين سنة، كما في «مِهْرجَهَانتاب».

قال الشيخ محمد بن بطوطة المغربي في كتابه: إن سبب تسمية هذا الشيخ بِـ(الكعكي): أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الدَّيْن شاكين من الفقر أو القِلّة، أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يُجهِّزونهن به إلى أزواجهن، يُعطى مَنْ أتاه منهم كعكةً من الذهب أو الفضة، حتى عرف من أصل ذلك بِـ(الكعكي). انتهى.

٩٦ ـ قطب الدين الأيبك، سلطان الهند

الملك الكبير: قطب الدين الأيبك، السلطان العادل الباذل.

جُلب من تركستان في صغر سِنّه، فاشتراه القاضي فخر الدين بن عبد العزيز الكوفي بمدينة نيسابور، وعلّمه القرآن والخط وغير ذلك، ولما تُوفي القاضي المذكور اشتراه واحد من التجار المسلمين من أبناء القاضي وعرضه على شهاب الدين الغوري، فاشتراه وجعله من خواصه فتدرج إلى الإمارة.

ولما سار نحو الهند في سنة ثمان وثمانين وخمس مئة أَمّره على عساكره وأقطعه سَرسْتِي، وسامانة، وكهرام، وما والاها من البلاد والقلاع، فقام قطب الدين بالملك وأحسن السيرة في رعيته، ثم شنّ الغارة إلى ميْرَته فمَلَكها، ثم سار إلى دهلي وقاتل صاحبها أشدّ قتال، فهزمه، ودخل دهلي وجعلها دار ملكه، ثم سار إلى قلعة (كول) في سنة تسعين وخمس مئة، ففتحها عنوة وأخذ الغنائم الكثيرة.

ولحق بشهاب الدين حين قدومه إلى الهند، فجعله شهاب الدين طليعة لعساكره، وبعثه إلى قَنُّوج، فلقيه ملكها (جَي چَنْد) فقاتله أشد قتال حتى قتله، وأقام بقلعة (أسنى) مدة من الزمان.

فلما استقرّ أمرُه بتلك البلاد أراد أن يرجع إلى دهلي فسمع أن هِيْمراج خرج على كوله بن پرتهي راج، وانتزع بلاد أَجمير من يده، فسار نحوه بعساكره في إحدى وتسعين وخمس مئة، فانهزم هيمراج، ووَلّى قطب الدين على أجمير أحدَ خواصه، ثم سار إلى گُجْرات ووصل إلى (نَهْرَوالَهْ) فلقيه عساكر صاحبها قريباً من بلدة نهرواله، فقاتلها أشد قتال، فقتل مقدم العساكر، وخرج صاحبها (بهيْم ديْو) إلى ناحية من نواحيها، فغنم كثيراً من المال، ورحل إلى غزنة فمكث بها برهة من الزمان، ثم عاد إلى الهند وأتم بناء الجامع الكبير ببلدة دهلي في سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة.

ولما قدم شهاب الدين سار في ركابه إلى (تهنگر) الذي سمَّوها بعد ذلك: (بَيَانَهْ)، ففتحها، ثم بعثه شهاب الدين إلى قلعة گَوالْيار، فصالح صاحبَها (سلكمن) على مالٍ يؤديه.

وفي سنة سبع وتسعين سار إلى گجرات، فوصلها سنة ثمان وتسعين، فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالاً شديداً، فهزمهم أيبك واستباح معسكرهم وما لهم فيها من الدواب وغيرها، وتقدم إلى نهرواله فملكها عنوة، وهرب مَلِكها بِهيْم ديْو فجمع وحشد، فكثُر جمعه. ولما علم أيبك أنه لا يقدر على حفظها إلا بأن يقيم هو فيها ويُخليها من أهلها، فيتعذر عليه ذلك، فصالح صاحبَها على مالٍ يؤديه عاجلاً وآجلاً، وقيل: إنه دخل بها ومَلَكها ووَلّى عليها أحد خواصه، ثم رجع إلى دهلي.

وفي سنة تسع وتسعين سار إلى قلعة (كالَنْجَر) فتحصن بها صاحبُها، فحاصرها وأدام الحصار وضيّق على أهلها، فصالحه صاحبها على مالٍ يؤديه عاجلاً وآجلاً. ثم سار إلى (مَهُوبة) فملكها، ثم سار إلى بدايون فملكها أيضاً.

ولما تُوفي شهاب الدين وقام بالملك بعده ابنُ أخيه غياث الدين محمود الغوري أعتق قطب الدين، وأرسل إليه (چَتْر) ـ المظلة الملوكية ـ وغيرها من أمارات السلطنة، فجلس على سرير الملك بلاهور يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وست مئة، وكانت مدة إمارته عشرين سنة، ومدة سلطنته أربع سنين وبضعة أشهر.

وكان عادلاً باذلاً كريماً باسلاً مقداماً، يُضرب به المثل في الشجاعة والكرم، وكان يعطي الناس أكثر مما يستحقونه، ولذلك سموه «لَكْ بخش» أي معطي «مئة ألف». وصنّف في أخباره نظام الدين الحسن النظامي كتابه «تاج المآثر».

وكانت وفاته في سنة سبع وست مئة ببلدة لاهور، فدفن بها، كما في «تاريخ فرشته».

٩٧ ـ القاضي قطب الدين الكاشاني

الشيخ العالم الكبير القاضي: قطب الدين الكاشاني الملتاني، أحد كبار العلماء. درّس وأفاد مدة مديدة في مدرسة بملتان، وانتهت إليه رئاسة التدريس.

وكان معاصراً للشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، يأتي الشيخ في مدرسته كل يوم ويصلّي خلفه ويقول: من صلّى خلف عالم تقي فكأنما صلّى خلف نبي[1]. انتهى.

وكانت وفاته بملتان، فدفن بها في البلدة القديمة، كما في «أخبار الجمال». وكانت وفاته في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة، كما في «سير الأولياء».

حرف الكاف

٩٨ ـ القاضي كمال الدين الجعفري

الشيخ الفاضل القاضي: كمال الدين الجعفري البَدَايوني، أحد كبار العلماء. ناب الحكم ببدايون فسكن بها. وكان يدرّس ويفيد. وله كتاب «المُغني» في الفقه. مات ودفن ببدايون. وكان الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني يذكره بالخير، كما في «فوائد الفؤاد».

حرف الميم

٩٩ ـ نور الدين المبارك الغزنوي

الشيخ الإمام: نور الدين المبارك بن عبد الله بن شرف الحسيني الغزنوي، كان من نسل الحسين ذي الدمعة.

وُلد ونشأ بغزنة، وأخذ عن خاله الشيخ عبد الواحد بن الشهاب أحمد الغزنوي، ثم سافر إلى بغداد وأخذ عن الشهاب عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدي صاحب «العوارف» وصحبه زماناً، ثم عاد إلى غزنة ورُزق حُسن القبول، فتبرك به شهاب الدين الغوري في غزوات الهند، وولاّه مشيخة الإسلام، ولقّبه بالأمير، فاستقلّ بها عهداً بعد عهد، يُعظّمه الملوك والأمراء، وكانوا يتبركون به ويتلقون إشاراته بالقبول.

قال القاضي شهاب الدين الدولة آبادي في «هداية السعداء»: إن السلطان شمس الدين الإيلتمش كان يُجلسه في صدر المجلس، ويُقبِّل يده، ويتبرك به في غزواته. انتهى.

مات في أول ليلة من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، ودفن بدهلي القديمة شرقي الحوض الشمسي، كما في «أخبار الجمال».

١٠٠ ـ الشيخ مجد الدين اللاهوري

الشيخ الإمام: مجد الدين بن خطير الدين محمد بن

---

(١) قال الشيخ علي القاري في كتابه «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» ص ١٤٧ (في الكلام على حديث: الصلاة خلف العالم بأربعة آلاف وأربع مئة وأربعين صلاة) قال فيه عن هذا الحديث: «من صلّى خلف تقي» الحديث: «غير معروف. وقال السخاوي: لم أقف عليه بهذا اللفظ». قلت ـ القائل هو القاري ـ: لكن معناه صحيح، لما رواه الديلمي من حديث جابر مرفوعاً بلفظ: «قدّموا خياركم تزكُو أعمالكم»، وللحاكم والطبراني بسند ضعيف عن مَرْثد بن أبي مرثد الغَنَوي رَفَعه: «إن سرّكم أن تُقبل صلاتكم فلْيؤمّكم خياركم». انتهى وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (١٦١٠)، و «الدراية» لابن حجر ١٦٨/١ (٢٠١).

عبد الملك الجرجاني اللاهوري، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال. ذكره نور الدين محمد العوفي في «لباب الألباب» في ترجمة أبيه وقال: إن مصنفاته مشهورة في أنواع العلوم من المعقول والمنقول.

١٠١ ـ قوام الدين محمد بن أبي سعد الجنيدي

الوزير الكبير نظام الملك: قوام الدين محمد بن أبي سعد الجنيدي الدهلوي، أحد الرجال المشهورين بالعقل والدهاء. استوزره السلطان شمس الدين الإيلتمش سنة سبع وست مئة، فخدمه إلى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة، ثم خدم ولدَه ركن الدين فيروز شاه، وخرج عليه فسار إلى لاهور، فوافقه غير واحد من الأمراء، فتعاقبهم ركن الدين بعساكره، ولما سار ركن الدين إلى لاهور اتفق الناس على أخته رضية بنت الإيلتمش فبايعوها، فرجع ركن الدين إلى دهلي فقبضوا عليه ورفعوه إلى المحبس. ثم وفد نظام الملك ومن معه من الأمراء إلى دهلي، فهزمتْهم رضية، وذهب نظام الملك إلى جبل سرمور وتُوفي بها، لعلّه في أيام رضية.

وكان فاضلاً عادلاً كريماً مُحباً لأهل العلم محسناً إليهم. صنَّف له نور الدين محمد العوفي كتابه «جوامع الحكايات». تُوفي نحو سنة بضع وثلاثين وست مئة.

١٠٢ ـ الشيخ محمد بن أحمد المارِيْكَلي

الشيخ العالم الكبير المحدث: محمد بن أحمد بن محمد الماريكلي، الإمام كمال الدين الزاهد الدهلوي، أحد العلماء المُبرّزين في الفقه والحديث.

تفقه على برهان الدين محمود البلخي، وأخذ الحديث عنه، وهو تفقه على الشيخ برهان الدين المرغيناني صاحب «الهداية». وأخذ الحديث عن الشيخ حسن بن محمد الصغاني صاحب «مشارق الأنوار». وللشيخ كمال الدين إجازة عن مؤلف «آثار النيّرين في أخبار الصحيحين» عن الشيخ حسن بن محمد ابن المذكور، وأخذ عن الشيخ المجاهد نظام الدين محمد البدايوني، وقرأ عليه «المشارق» وحفظ عنه.

وكان عالماً فاضلاً محققاً، ورعاً زاهداً، متبحراً في الفقه والحديث. أراد السلطان غياث الدين بَلْبن أن يختاره لإمامته في الصلاة، فأبى ذلك، وقال: **لم يَبْقَ لي عملٌ من الأعمال الصالحة غير الصلاة، والسلطان يريد أن يبطلها أيضاً** كما في «سير الأولياء».

وإني رأيت في بعض المجاميع أن وفاته كانت بمدينة دهلي في سنة أربع وثمانين وستة مئة.

١٠٣ ـ الشيخ محمد بن أحمد المدني

الأمير الكبير بدر الملة المنير شيخ الإسلام قدوة الأئمة الكرام: قطب الدين محمد بن السيد رشيد الدين أحمد بن يوسف بن عيسى بن حسن بن حسين بن جعفر بن قاسم بن عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الله بن محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المُثنّى بن الإمام الحسن السبط الأكبر ـ على آبائه وعليه السلام ـ.

كان ابنَ أخت السيد الإمام عبد القادر الجيلاني، فكان محبوك الأطراف بالسادة والأشراف، ومُدبّج الجوانب بالعلماء الأسلاف.

وُلد بمدينة بغداد في سنة إحدى وثمانين وخمس مئة، وأخذ العلم والمعرفة عن فحول العلماء وأساتذة (الزوراء)، منهم والده العلامة، ومنهم الشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني، والشيخ العارف أبي الجناب نجم الدين الكُبْرَى، أَخَذ عنه بعد ما تُوفي عبد الرزاق المذكور.

وانتقل من بغداد في فتنة المغول بعد ما استشهد والده، فدخل غزنة وأقام بها زماناً، ثم قدم الهند ـ لعله في أيام قطب الدين أيبك ـ، فجاهد معه في سبيل الله، وفُتحت على يده الكريمة قلعة كَرَهْ، مانكپور، وهَنْسوَهْ وغيرها من القلاع الحصينة المتينة.

وكان السلطان شمس الدين الإيلتمش يكرمه غاية الإكرام. قال القاضي شهاب الدين عمر الزاولي الدولة آبادي في «هداية السعداء»: إن السلطان المذكور كان يُجلسه في صدر المجلس ويُقبِّل يده ويتبرك به. انتهى.

وقال القاضي عثمان بن محمد الجوزجاني في

«طبقات ناصري»: إنه كان شيخ الإسلام بمدينة دهلي في أيام بهرام شاه، بعثه السلطان المذكور سنة تسع وثلاثين وست مئة إلى الأمراء الذين خلعوه واجتمعوا بلاهور عند ماء (بَيَاس)، فسار إليهم وبالغ في إماتة الفتنة[1] ورجع إلى دهلي، وعُزل عن المشيخة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلون من رجب سنة ثلاث وخمسين وست مئة في أيام ناصر الدين محمود. انتهى.

وقال القاضي ضياء الدين البَرْني في تاريخه: إن شيخ الإسلام قطب الدين كان من أكابر عصره في أيام السلطان غياث الدين بلبن. انتهى.

وكان له ثلاثة أبناء: أكبرهم نظام الدين، وكان على قدم أبيه في الشهامة والنقاوة، مات في حياة والده، وأَعقَب ولداً يسمّى ركن الدين، وهو وَلِي القضاء بمدينة كَرَهْ، ذكره البرني في تاريخه وأثنى عليه. وأوسطهم قوام الدين محمود، الذي زوجه السلطان شمس الدين الإيلتمش ابنته «فَتْحه سلطانه» كما في «تذكرة السادات». وأصغرهم القاضي تاج الدين، كان قاضياً بمدينة كره، ثم ولي القضاء ببدايون، ذكره البرني في تاريخه وأثنى عليه.

أما القاضي ركن الدين - وهو جدنا الكبير - فقد بارك الله في أعقابه، فانتشرت في آفاق الهند، ونشأ منها رجال العلم والمعرفة كالشيخ فضل الله خَتَن الشيخ قطب الدين الجونپوري، والسيد محمد تقي (دُرْويش بي رِيا) أستاذ السلطان فَرخ سير، والقاضي محمود بن علاء الدين النصيرآبادي، ومن أعقابه: السيد العلامة خواجة أحمد، والسيد العارف علم الله بن محمد فضيل، وحفيده السيد محمد عدل، والإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد السعيد، وخلق لا يحصون بحدّ وعدّ.

وكانت وفاة الشيخ قطب الدين محمد في ثالث رمضان سنة سبع وسبعين وست مئة بمدينة كره. وقبره مشهور ظاهر، يزار ويتبرك به، كما في «وفيات الأعلام» للشيخ محمد يحيى.

١٠٤ - عز الدين محمد بن بختيار الخلجي

الأمير الكبير: عز الدين محمد بن بختيار الغازي الخلجي، أحد الرجال المعروفين في السياسة والرياسة.

كان أصله من بلاد الغور، وُلد ونشأ بها، وقدم غزنة، ثم دخل الهند، وبذل المساعي الجميلة في الغزو، فأقطعه شهاب الدين الغوري بلاداً في ما بين النهرين وبعض بلادٍ في ما وراء نهر گَنْك، فلما استقر بتلك البلاد سار إلى (بِهَار) - بكسر الموحدة - وقاتل المُقاتِلة بها وسَبَى الذراري والجواري، ثم قدم دهلي وعرض على صاحبها قطب الدين أيبك الغنائم الكثيرة - لعله في سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة - فأقطعه قطب الدين (بِهار) و (بنگاله)، فسافر إلى بِهار، وسار بعساكره إلى بنگاله، وشنّ الغارة على صاحبها لكهمنه، فهزمه إلى (كامروب) وملك تلك البلاد، ثم أسس بها بلدة عامرة وسماها رَنْگپُور، وأسس بها المساجد والزوايا والمدارس، وجعلها دار مُلكه، ثم سار إلى بلاد تِبَّت، واستخلف محمد شِيران الخلجي على بنگاله، فسار باثني عشر ألف مقاتل إلى تِبَّت.

فلما وصل إلى إيردهن[2] رأى فيها نهراً عظيم الجري كثير الزيادة، يسمونه يتمكرى، وبلغ إلى جسر عظيم - قيل: إنه كان من مستعمرات گرشاسپ - فعبر إلى تلك البلاد ووكل به رجالاً من خواصه، ثم تقدم وخاض الجبال والوهاد حتى وصل إلى قلعة حصينة بعد ستة عشر يوماً من عبور الماء والجسر، فلقيه طائفة من الرماة فقاتلوه، وقيل له: إن على خمسة فراسخ منها بلدةً كبيرة يسمونها «كرم بتن» وفيها ثلاث مئة ألف وخمسون ألفاً من الرماة، وإنهم يأتون إليه عن قريب، وكان أتعبه السفر تعباً شديداً، فظن أنه لا يقدر على قتالهم فرجع من هناك، ولما وصل إلى الجسر رأى أن خواصه قد ساروا، وهدم أهلُ تلك البلاد الجسر، فتحير في أمره ولاذ بكنيسة عظيمة هناك، وأمر رجاله

(١) هكذا جاء في «طبقات ناصري» ١/٨٢٣ الذي ترجمه الأستاذ غلام رسول مِهْر. ووردت هذه الكلمة في نسخة خطية من «الطبقات» هكذا: «إثارة الفتنة»! (الندوي).

(٢) كذا في «الطبعة الأولى» وفي الأصل: أبردهن.

أن يصنعوا الفُلك، فلما عرف الناس عجزه، هجموا عليه من كل ناحية، فألقوا أنفسهم في الماء، فلم ينجُ منهم إلا القليل، فلما وصل إلى بلاده استقبله الناس، ولما عرفوا ما وقع له أكثروا عليه اللعان والسباب لا سيما الجواري والذراري لأجل بعولهن وآبائهن، وأخذن في النوح والبكاء، وقد اعتراه من الخجل ما لا مزيد عليه، فمرض ومات بعد ثلاثة أيام.

وكان عادلاً كريماً باذلاً مِقداماً، يضرب به المثل في السماحة والشجاعة، وله آثار صالحة في بلاد بنگاله. مات في سنة اثنتين وست مئة، كما في «تاريخ فرشته».

١٠٥ ـ الشيخ محمد بن الحسن الأجميري

الشيخ الصالح: محمد بن الحسن السجزي، الشيخ فخر الدين بن معين الدين الأجميري، أحد المشايخ المشهورين.

وُلد ونشأ بمدينة أجمير، وقرأ العلم وتأدب على والده، وتولى الشياخة والإرشاد بعده.

وكان قانعاً عفيفاً دَيِّناً متورعاً، أحيا أرضاً مواتاً بقرية (ماندل) من أعمال أجمير، فكان يزدرع بها ويجعلها قُوتاً له ولعياله، وعاش بعد والده عشرين سنة، كما في «أخبار الأخيار». تُوفي سنة ثلاث وخمسين وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء». وفي «گُلزار أبرار»: إنه تُوفي في خامس شعبان سنة إحدى وستين وست مئة، والله أعلم.

١٠٦ ـ الشيخ محمد بن الحسن النيسابوري

الشيخ الفاضل: صدر الدين محمد بن الحسن النظامي النيسابوري ثم الدهلوي، أحد العلماء المُبرّزين في الإنشاء والتاريخ والسير.

ولد ونشأ بمدينة نيسابور وقرأ العلم على أساتذة عصره، وانتقل عنها إلى غزنة أيام الفترات، وأقام بها مدة من الزمان، ثم انتقل عنها إلى دهلي في أيام قطب الدين أيبك، وصنّف «تاج المآثر» وهو كتاب في تاريخ الهند من سنة سبع وثمانين وخمس مئة إلى سنة أربع عشرة وست مئة، وفي نسخة منه إلى سنة ست وعشرين وست مئة، فلستُ أدري أنها من الملحقات أو من تصنيفه.

مات في أيام السلطان شمس الدين الإيلتمش.

١٠٧ ـ الشيخ محمد بن زكريا الملتاني

الشيخ الإمام الزاهد العابد القدوة الحجة: الشيخ محمد بن زكريا شيخ الإسلام صدر الدين القرشي الأسدي الملتاني، أحد أولياء الله المشهورين.

وُلد بملتان ونشأ بها في تصوّن تام وعفاف وتأله واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل على ذلك خَلَفاً صالحاً بَرًّا تقيا ورعا عابدا صوّاما قوّاما، ذاكرا لله سبحانه في كل أمر وعلى كل حال، رجّاعاً إليه في سائر الأحوال، وقّافاً عند حدوده وأوامره ونواهيه، حتى إنه بَذَل ما وصل إليه من متروكات أبيه وكانت سبعين لَكًّا من الدنانير، فضلاً عن الدور والأقمشة والظروف وغيرها من العروض والعقار، فقسم كلها على الفقراء والمساكين وغيرهم من أرباب الحقوق، وما ادَّخر شيئاً من ذلك إلا ما كان على جسده وأجساد أهله وعياله من الألبسة.

فقال له أحد أصحابه: إن أباك جمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المُسوّمة، والأنعام، والحرث، والدور، وغيرها، وإنك ضيعتَ كلها في يوم واحد، وما ادّخرتَ لأهلك شيئاً! فضحك، ثم أجاب: بأن أبي كان غالباً على الدنيا، فهي ما كانت تستطيع أن تُزلّ قدمه، وإني ما بلغتُ إلى تلك المنزلة، فخِفتُ أن تغلب عليّ.

وقد جمع الشيخ ضياء الدين ملفوظاته في مجموع يسمى «كنوز الفوائد»، وأثنى عليه الشيخ حسن بن عالم الحسيني في «نزهة الأرواح»، وأخذ عنه الشيخ جمال الدين الأُجّي، والشيخ أحمد بن محمد القَندهاري، والشيخ علاء الدين الخجندي، والشيخ حسام الدين الملتاني، وابنه أبو الفتح ركن الدين، وخلق كثير من العلماء والمشايخ.

ومن وصاياه: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ إذا أراد الله بعبدٍ خيراً،

وكتبه سعيداً، وفّقه لدوام الذكر باللسان مع مواطاة القلب، ورقّاه عن ذكر اللسان إلى ذكر القلب، حتى لو سكت اللسان لا يسكت القلب، وهو الذكر الكثير، ولا يوصل العبد لذلك إلا بعد التبرّي عن النفاق الخفي المشار إليه بقوله عليه السلام: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»، أراد به: نفاق الوقوف مع غير الله تعالى وتعلق الباطن بسواه.

فإذا وُفّق العبد لتجريد الظاهر عما لا يحل، ثم عما لا يُحمد، وأُكرم بتفريد الباطن بتخلّيه عن الخواطر الردية والأخلاق المذمومة، يوشك أن يتجلى نور الذكر في باطنه، فيقطع عنه الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية، وتجوهر نور الذكر في باطنه حتى يكون ذكره بتجلّي مشاهدة المذكور، وهذه هي الرتبة العظمى والمحنة الكبرى التي تُمَدّ إليها أعناق أرباب معالي الهمم من أولي الأيدي والأبصار من الأمم، والله الموفق والمعين. انتهى.

وكانت وفاته في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وثمانين وست مئة، وله تسع وستون سنة.

١٠٨ ـ شهاب الدين محمد بن سام الغوري

أبو المظفر، شهاب الدين محمد بن سام بن الحسين بن الحسن بن محمد بن العباس الغوري، السلطان المجاهد في سبيل الله الغازي.

وُلد بأرض غور ونشأ بها، وتُوفي والده في صغر سِنّه، فتنبّل في أيام عمه علاء الدين، واستعمله عمّه في بلد من بلاد الغور اسمه (سنجه) مع صنوه الكبير غياث الدين محمد الغوري، فأحسن السيرة في عمله، وعَدَل وبذل الأموال، فمال الناس إليه وإلى صنوه المذكور.

فلما مات عمه قام مقامه صنوه غياث الدين، ولما قوي أمره جهز جيشاً كثيفاً مع أخيه شهاب الدين إلى غزنة، فلقيه الغزنويون وقاتلوه، فانهزم الغورية وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحبِ عَلَمهم، فقتله وأخذ العَلَم، وقتلهم ودخل غزنة، وأحسن السيرة في أهلها وأفاض العدل، وسار من غزنة إلى كرمان وشنوران فملكها.

ثم تعدّى إلى ماء السند، وعمل على العبور إلى بلاد الهند، وقصد لاهور وبها يومئذٍ خُسرو شاه. وقال الجوزجاني في طبقاته: إنه كان بها يومئذٍ خسرو ملك، فلما سمع بذلك سار فيمن معه إلى ماء السند، فمنعه من العبور عنه، فرجع عنه وقصد فرْشاپور (پيشاور)، فملكها وما يليها من جبال الهند وأعمال الأفغان، ثم رجع إلى غزنة واستراح بها.

ثم خرج منها في سنة تسع وسبعين وخمس مئة، وسار نحو لاهور في جمعٍ عظيم، فعبر إليها وحصرها وأرسل إلى صاحبها خسرو شاه ـ وقيل: إلى ولده خسرو ملك ـ وإلى أهلها يتهددهم إنْ منعوه، وأعلمهم أنه لا يزول حتى يملك البلد، وبذل الأمان على نفسه وأهله وماله، فامتنع عليه، وأقام شهاب الدين محاصراً له، فلما رأى أهل البلد ذلك ضعفت نياتهم في نصرة صاحبهم، وطلبوا الأمان من شهاب الدين وخرجوا إليه، ودخل الغورية في البلد، وأرسل غياث الدين إلى أخيه يطلب خسرو شاه، فسيَّره إليه ومعه ولده، فأمر بهما غياث الدين فرُفعا إلى بعض القلاع، وأمر شهاب الدين بإقامة الخطبة له بالسلطنة، ولقَّب أخاه شهاب الدين: معز الدين.

فلما استقر أمر لاهور رجع شهاب الدين إلى غزنة، ثم إلى أخيه غياث الدين، فسارا إلى هراة فملكاها، ثم إلى قوشنج ثم إلى باذغيس، وكالين وبيوار، فملكها أيضاً، ثم رجع غياث الدين إلى (فيْرزكُوه)، وشهاب الدين إلى غزنة، وأقام بها حتى أراح واستراح هو وعساكره.

ثم قصد بلاد الهند، وسار إليها في سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ففتح قلعة (بَهتَنْده)، ومَلَك (سَرستي) و (كهرام)، فلما سمع (پَتهُورا) ـ ملك أجمير ـ جمع العساكر وسار إلى المسلمين مع أخيه (كَهَانْدِي رَاوْ) نائبه بناحية دهلي، واشتدت الحرب بينهم وبين المسلمين، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم، فأخذ شهاب الدين الرمح ووصل إلى الفِيَلة فطعن فيلاً منها في كتفه، وزَرَقَه بعض الهنود بحربة، فوقع على الأرض فأخذه أصحابه وعادوا به منهزمين. فلما وصل إلى لاهور أخذ الأمراءَ الغوريةَ الذين

انهزموا، وعلَّق على كل واحد منهم عَلِيْق[1] شعير وقال: أنتم دواب، ما أنتم أمراء! وسار إلى غزنة، وأقام بها ليستريح الناس.

ثم قصد بلاد الهند، وسار إليها في سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، ونصره الله سبحانه على عظيم الهند بقصة طويلة شرحتُها في «جنة المشرق»[2] وعاد إلى غزنة، ثم قصد الهند وسار إليها بعساكره في سنة تسعين وخمس مئة، ولما وصل إلى ناحية «إتاوه» لقيه جي چَنْد - ملك قَنُّوج - بعساكره، فاشتد الحرب بينهما، وقُتل جي چند، فسار إلى بَنَارَسْ، وهدم الكنائس، وذهب إلى قلعة كول. ثم أَمَّر على أرض الهند مملوكه قطب الدين الأيبك، ورجع إلى غزنة واستراح بها مدة من الزمان. ثم قصد الهند وسار إليها في سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة، وحاصر قلعة (تهنگر) وهي التي يسمونها (بَيَانة) ففتحها، ثم سار إلى قلعة گَوَالْيار، فراسله مَنْ بها بالصلح على مالٍ يحملونه إليه، فأجابهم إليه، وعاد إلى غزنة واشتغل بأمر خراسان مدة، ثم قدم الهند في سنة سبع وتسعين وخمس مئة أرسل مملوكه قطب الدين إلى (نَهْرَ وَالَهْ) فوصلها سنة ثمان وتسعين، قاتل الهنود قتالاً شديداً وهزمهم واستباح معسكرهم، وتقدم إلى نهرواله فملكها عنوة، ثم صالح صاحبَها على مالٍ يؤديه، ثم عاد إلى غزنة.

ولما تُوفي صنوه الكبير غياث الدين في سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، رحل إلى (فَيْروزكُوه) وجلس للعزاء لأخيه، ثم قام مقامه واشتغل برهة من الزمان في أمر خراسان، ثم سار نحو لاهور سنة ست مئة عازماً على غزو الهند، فاستولى خوارزم شاه على مدينة هراة، ومات أَلَبْ غازي ابن أخت شهاب الدين ونائبه في هراة، فعاد شهاب الدين إلى خراسان، وسار إلى خوارزم، فسبقه خوارزم شاه والتقى العسكران بِـ (سوقرا) فجرى بينهم قتال شديد.

وأرسل خوارزم شاه إلى أتراك الخطا يستنجدهم، فاستعدوا وساروا إلى بلاد الغورية، فعاد شهاب الدين من خوارزم ولقيهم في صحراء أندخوى سنة إحدى وست مئة، وانهزم المسلمون، وبقي شهاب الدين في نفر يسير، ووقع الخبر في جميع بلاده بأنه قد عُدم. ثم وصل إلى طالقان في سبعة نفر، ثم إلى غزنة.

ثم سار إلى الهند وأمر في جميع بلاده بالتجهز لقتال الخطا وغزوهم، والأخذ بثأرهم، وكان عازماً على ذلك إذ سمع أن طائفة (كُهوكَهر) ثاروا في أرض الهند وقطعوا السبل، ومدُّوا أيديهم إلى ناحية لاهور وملتان، فسار نحو الهند في سنة اثنتين وست مئة، واشتد القتال بينهما، فهزمهم بإذن الله سبحانه، وغنم المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله. ثم أمر الناسَ بالرجوع إلى بلادهم والتجهز لغزو الخطا، ثم (تيراه)، وأمر مملوكه تاج الدين الدزّ أن يغزوهم، وكانوا كفاراً يفسدون في الأرض ويقطعون السبل، وكانت فتنة هؤلاء التيراهية على بلاد الإسلام عظيمة، ولم يزالوا كذلك حتى أسلم طائفة منهم في آخر أيام شهاب الدين.

ثم سار إلى غزنة ونفرٌ من أهل (كُهوكَهر) لزموا عسكره عازمين على قتله. فلما وصل بمنزلٍ يقال له (دمنك) تفرق عنه أصحابه في الليلة، وكان معه من الأموال ما لا يُحدّ، فإنه كان عازماً على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم، وقد أمر عساكره بالهند باللِّحاق به، وأمر عساكره الخراسانية بالتجهز إلى أن يصل إليهم، فلما تفرق أصحابه وكان في (خَرْگاه)[3]، فثار أولئك النفر، فقَتَل أحدهم بعضَ الحرس، وكثر الزحام فاغتنم أهل (كُهوكَهر) غفلتهم عن الحفظ، فدخلوا على شهاب الدين فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه، واجتمع الأمراء عند وزيره مؤيد الملك، فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة إلى أن يظهر من يتولاه، وأجلسوا شهاب الدين وخيَّطوا جراحه، وجعلوه في المِحَفّة محفوفةً بالحشم والوزير والعسكر والشمسيّة، على حالة حياته، فساروا إلى غزنة.

وكان شجاعاً مقداماً كثير الغزو إلى بلاد الهند،

(١) العَلِيقُ: ما تُعلَفه الدابة من شعير ونحوه. (المعجم الوسيط).

(٢) طبع الكتاب باسم «الهند في العهد الإسلامي».

(٣) خَرگاه: خيمة كبيرة. (المعجم الذهبي: فارسي - عربي - للدكتور محمد التونجي).

عادلاً في رعيته، حَسَن السيرة فيهم، حاكماً بينهم بما يوجبه الشرع المطهر.

وكان القاضي بغزنة يحضر داره من كل أسبوع: السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، ويحضر معه (أمير حاجب)، و (أمير داد)، وصاحب التربة، فيحكم القاضي، وأصحاب السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع، وإن طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضر وسمع كلامه، وأَمضَى عليه أو له حكم الشرع، فكانت الأمور جارية على أحسن نظام.

وكان العلماء يحضرون بحضرته فيتكلمون في المسائل الفقهية وغيرها. وكان الشيخ الإمام فخر الدين الرازي صاحب «التفسير الكبير» يَعِظ في داره، فحضر يوماً فوعظ وقال في آخر كلامه: يا سلطان! لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي! فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه، وكان رقيق القلب.

وكان شافعيّ المذهب مثل أخيه، قيل: وكان حنفياً، والله أعلم.

وكانت وفاته في أول ليلة من شعبان سنة اثنتين وست مئة، كما في «الكامل».

١٠٩ ـ السيد محمد بن شجاع المكي

السيد الشريف: محمد بن شجاع بن إبراهيم بن قاسم بن زيد بن جعفر بن حمزة بن هارون بن عقيل بن إسماعيل بن أبي الحسن علي المختار بن جعفر المشهور بالكذاب. ولم يذكر جمال الدين أحمد الحسني في «عمدة الطالب» للسيد علي المختار ابناً اسمه إسماعيل، والله أعلم.

قال معين بن الشهاب الجهونسوي في «منبع الأنساب»: إنه وُلد بمكة المباركة سنة أربعين وخمس مئة، وقدم الهند وسكن بِـ (بهكّر) من أرض السند، وكانت صحراء لا عمارة فيها، فذَبَح البقرة بها، وسكن، فسمَّوها: «بقر»، ثم صار: «بَكّر». انتهى.

وفي «تحفة الكرام»: إنه دخل الصحراء في البُكرة فقال: جعل الله بُكرتي في البقعة المباركة! فسمَّوها: «بَكّر». انتهى.

وله ذرية واسعة في الهند. تُوفي سنة ست وأربعين وست مئة، وقبره ما بين (بَهكّر) و (سَكّر) حيث تجتمع به الأنهر السبعة، كما في «منبع الأنساب». وفي الرسالة «الزيدية»: أنه مات سنة تسعين وخمس مئة. والأول أقرب إلى الصواب، لأن صاحب «المنبع» من أولاده، وأهل البيت أدرى بما في البيت.

١١٠ ـ القاضي محمد بن عطاء الناگوري

الشيخ العالم الكبير الزاهد: محمد بن عطاء البخاري، القاضي حميد الدين الناگوري، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح.

قدم والده في عهد السلطان شهاب الدين الغوري، فوَلي القضاء بمدينة (ناگور) ومات بها، ثم ولي القضاء مكانه ولدُه محمد، فاشتغل به ثلاث سنين، ثم اعتزل عنه، وسافر إلى بغداد، وأخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السُهْرَوَرْدي، وصحبه سنة، ثم رحل إلى المدينة المنورة، ولبث بها سنة وشهرين، ثم دخل مكة المباركة فحج ومكث بها سنة، ثم رجع إلى الهند، واجتمع بالشيخ قطب الدين بَخْتيار الأُوشي، وكان قد لقيه أول مرة ببغداد فازدادت المحبة بينهما، وقيل: إنه لبس الخرقة الچشتية منه أيضاً.

وكان ممن يستمع الغناء، وأفرط في ذلك فاحتسب عليه العلماء وأنكروا عليه ذلك، وشددوا عليه النكير، وأفتوا بضلالته، وحرّضوا سلطان العهد على إجلائه من الهند، فضاق عليه الأمر. ثم لما وَلِي القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد بن عثمان الجوزجاني القضاء ـ وكان ممن يستمع الغناء ـ ركد غبار الفتنة، كما في «سير الأولياء».

وللقاضي محمد بن عطاء مصنفات، منها: «اللوائح» في مجلد، و «طوالع الشموس» في شرح أسماء الله الحسنى، وهو في مجلدين.

وكانت وفاته في رمضان سنة ثلاث وأربعين وست مئة بمدينة دهلي، فدُفن تحت أقدام الشيخ قطب الدين المذكور بوصيته.

تُوفي بعدما فرغ من صلاة الوتر وقيام رمضان، سَجَد فلم يَرفع رأسه عن السجدة كما في «مهْر جَهَانتاب».

١١١ ـ محمد بن علي الحسيني البِلْگِرامي

السيد الشريف: محمد بن علي بن الحسين بن أبي الفرج بن أبي الفراش بن أبي الفرج الحسيني الواسطي البلگرامي. كان من ذرية الإمام الحسين السبط رضي الله عنه.

وُلد ونشأ بأرض الهند، وأخذ الطريقة عن الشيخ قطب الدين بختيار الأُوشي، ثم قدم بلگرام مع أصحابه سنة أربع عشرة وست مئة، فقاتل أهلها وقَتَل راجه سرى أمير تلك الناحية، ثم سكن بها، وحصَّل توقيع العشر من السلطان شمس الدين الإيلتمش، وبَنَى قلعة متينة بها سنة سبع وعشرين وست مئة.

وكان لقبُه: (صاحب الدعوة الصغرى). ولما كان ثقيلاً على أفواه الرجال: خفّفوه، وجعلوا لفظ «الصغرى» جزءاً لاسمه. وله أعقاب صالحة حتى الآن.

تُوفي سنة خمس وأربعين وست مئة، كما في «مآثر الكرام».

١١٢ ـ محمد بن عوض المستوفي الدهلوي

الصاحب العميد نظام الملك مهذب الدين: خواجه محمد بن عوض المستوفي الدهلوي، أحد الأفاضل المشهورين في عصره.

استوزرتْه رضية بنت الإيلتمش، وكان قبل ذلك نائباً عن الوزير نظام الملك قوام الدين محمد بن أبي سعد الجنيدي ولقَّبتْه رضية: «نظام الملك»، فاستقل بالوزارة إلى أيام علاء الدين مسعود شاه، وأقطعه علاء الدين ناحية (كول)، فاستولى على المملكة، وأخرج الأمور من أيدي الأتراك، فسخطوا عليه وقتلوه غِيلةً، يوم الأربعاء ثاني جمادى الأولى سنة أربعين وست مئة، كما في «طبقات ناصرى».

١١٣ ـ محمد بن غياث الدين بَلْبن الشهيد

قاآن الملك: محمد بن غياث الدين بلبن الشهيد، المشهور بالعدل والإحسان. كان أكبرَ أولاد أبيه، وأحبّهم إليه، وأوفرهم في العلم والعمل.

وُلد ونشأ في مهد السلطنة وتأدب بآدابها، وقرأ العلم وتفنن في الفضائل الكثيرة حتى صار مرجعاً ومقصداً لأهل العلم، وافتتن الناس به وأحبوه، واجتمع به الأمير خُسرو بن سيف الدين الدهلوي، والأمير حسن بن العلاء السجزي وجمعٌ كثير من الفضلاء، وساروا معه إلى ملتان حين ولاّه والده على إقليم السند.

وكان على قدم والده في آداب السلطنة. وقد أرسل إلى الشيخ سعدي المُصلح الشيرازي: الأموال الكثيرة مرتين، وكلّفه أن يَقدُم عليه، فيؤسس له زاوية بملتان، ويُوقف عليه عدة قرى من أرضها، فاعتذر الشيخ كل مرة لكِبَر سِنّه، واصطفى له من ظرائف قوله شيئاً واسعاً وأرسل إليه، وأوصاه بأن يغتنم خسرو بن سيف الدين، ويخصه بأنظار القبول ويُربِّيه.

وكان يرسل إلى والده الهدايا الجميلة من ملتان، ويتردد إليه كل سنة، ويقاتل التّتر كلما يأتون إليه قتالاً شديداً، ويهزمهم إلى بلادهم.

فلما قام بالملك أرغون بن أياق بن هُلاكو الجنگيزي ببلاد الفرس: أمَر تيمور خان أحدَ أمرائه ببلاد خراسان أن يسير إلى الهند، فسار بعشرين ألف فارس، وقَتَل خلقاً كثيراً، ونهب الأموال فيما بين لاهور ودِيبالْبُور، ثم قصد ملتان فاستقبله محمد وقاتله قتالاً شديداً، وهزم تيمور خان، وتعاقبه بعض الأمراء من أصحاب محمد، وكان محمد لم يُصلِّ الظهر لاشتغاله بالقتال، فنزل ومعه خمس مئة من رجاله، فلما اشتغل بالصلاة كَرَّ عليه بعض أصحاب تيمور بألفَيْ مقاتل، فاقتتلوا، وكاد محمد أن يظفر إذ أصابه سهم غَرْبٌ، ومات في الساعة.

وكان باسلاً مِقداماً شجاعاً متهوراً، عظيم الهيبة، جليل الوقار، كبير الشأن ماضي العزيمة، باذلاً كريماً، محباً لأهل العلم محسناً إليهم، بارعاً في الإنشاء والشعر وكثير من العلوم والفنون.

رثاه الأمير خُسرو بأبيات تُذيب القلوب وتُفتِّت الأكباد، منها قوله:

تاچه ساعت بدكه شاه از مولتان لشكر كشيد
تيغ كافر كش براى كشتن كافر كشيد

آنچه حاضر بود لشکر لشکری دیگر نجست
زانکه رسم را نشاید منت لشکر کشید

چون خبر کردندش از دشمن بدان قوت که داشت
بی محابا خشم در سر کرد ورایت بر کشید

یك كشش از مولتانش تا بلاهور أوفتاد
یعني اندر عهد من کافر تواند سر کشید

من نه آن شیرم که شمشیر چو آب وآتشم
ازکشش هر سال شان در خاك وخاكستر كشيد

آنچنان رنگین کنم امسال خاك از خون شان
کز زمین باید شفق راگونهٔ أحمر کشید

او درین تدبیر وآگه نه که تقدیر فلك
صفحهٔ تدبیر را خط مشیت در کشید

بی فزع بود آن قیامت رامعین دیده أم
گر قیامت را نشان اینست پس من دیده أم

جمعه بود وسلخ ذی حجه که بود آن کار زار
آخر هشتاد وسه آغاز هشتاد وچهار

قُتل يوم الجمعة آخِر ليلة من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وثمانين وست مئة، كما في «المنتخب».

١١٤ ـ محمد بن كشليخان الدهلوي

الأمير الكبير الفاضل: محمد بن كشليخان الدهلوي، علاء الدين بن أعز الدين، المشهور بالجود والكرم.

كان ابنَ أخي السلطان غياث الدين بلبن، وحاجبَه، وأحدَ الأجواد المعروفين بالبذل والسخاء، لم يكن له نظير في زمانه في ذلك، قصده الناس من العراق والعرب ومصر والشام والتتر وغيرها، وكان قد أَعطى غيرَ مرّة ما له من نقير وقطمير، حتى إنه لم يَدَعْ لنفسه شيئاً غير ما كان على جسده من اللباس، كما في «تاريخ فيروز شاهي».

١١٥ ـ محمد بن المأمون اللاهوري

الشيخ العالم: محمد بن المأمون بن الرشيد بن هبة الله المطوّعي اللاهوري، أبو عبد الله.

خرج من لاهور للعلم، وأقام بخراسان، وتفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه، وسمع بنيسابور من أصحاب أبي بكر الشيرازي، وأبي نصر القشيري، ووَرَد بغداد وأقام بها مدة وكُتِب عنه بها، وسكن بآخِرة: بلدة أذربيجان. وكان يَعِظ، فقتله الملاحدة بها سنة ثلاث وست مئة، كما في «معجم البلدان».

١١٦ ـ عماد الدين محمد بن محمد الدهلوي

السيد الشريف: عماد الدين محمد بن محمد بن الحسين بن قريش بن أبي الحسين بن أبي الفتح علي بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط.

كان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، ذكره جمال الدين أحمد الداودي في «عمدة الطالب» قال: إنه سافر إلى خراسان، ثم منها إلى الهند، واستوطن دهلي، وله بها عَقِب. انتهى.

١١٧ ـ بدر الدين محمد بن محمد السندي

السيد الشريف: بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن شجاع بن إبراهيم الحسيني البَهكَّري السندي، أحد رجال العلم والصلاح.

وُلد يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاثين وست مئة بمدينة بَهكَّر ونشأ بها، وأخذ عن أبيه. وزوَّج ابنتيه زهرة وفاطمة، بالسيد جلال الدين حسين بن علي الحسيني البخاري، واحدةً بعد أخرى.

وولدُه عليّ بن محمد انتقل من (بَهكَّر) إلى (جُهونسِي) بعد وفاته. وله ذرية واسعة بها.

تُوفي سنة ثمانين وست مئة بمدينة بهكّر فدُفن بها، كما في «منبع الأنساب».

١٨٨ ـ نور الدين[1] محمد بن محمد العوفي

الفاضل الكبير: نور الدين محمد بن محمد بن

---

(١) أو (سديد الدين) كما أثبته الدكتور محمد نظام الدين، =

يحيى بن طاهر بن عثمان العوفي الحنفي البخاري، كان من نسل عبد الرحمن بن عوف الصحابي، أحد العشرة المبشرة.

وُلد ونشأ بمدينة بُخارى، وقرأ العلم على تاج الدين عمر بن مسعود بن أحمد البخاري، وركن الدين مسعود بن محمد إمام زاده المُتوفَّى سنة ٦١٧، ومولانا قطب الدين السرخسي وعلى غيرهم من العلماء المشهورين في تلك البلاد، ثم سافر إلى سمرقند، وآمُويْ[1] وخوارزم، ومَرْو، ونيسابور، وهراة، وأَسْفُزار، وإسفراين، وشهر نو، وسجستان، وفَرَهْ[2]، وغَزْنة، ولاهور، وكَنْبايَهْ، ونَهْرَوَالَهْ، ودهلي، وأدرك بها كبار المشايخ، منهم الشيخ مجد الدين شرف بن المؤيد البغدادي، وشرف الدين محمد بن أبي بكر النسفي، وعلاء الدين شيخ الإسلام الحارثي، وشيخ الإسلام زكي الدين بن أحمد اللاهوري وجمعاً آخرين.

قال القزويني في تعليقاته على «لباب الألباب»: إنه خرج من بخارى نحو سنة سبع وتسعين وخمس مئة إلى سمرقند، فتقرّب إلى نصرة الدين عثمان بن إبراهيم البخاري في أيام أبيه قَلْج طمغاج خان إبراهيم، فولاّه ديوان الإنشاء، فلبث عنده أياماً قلائل، ثم سافر إلى خراسان ودخل (نَسَا) سنة ست مئة، ودخل نيسابور سنة ثلاث وست مئة، ودخل أَسْفِزار سنة سبع وست مئة.

وفارق خراسان في فتنة التتر ودخل السند، فتقرب إلى ناصر الدين قَبَاجَهْ ملك السند، ولبث عنده إلى سنة خمس وعشرين وست مئة، وصنَّف بها «لباب الألباب» لوزيره عين الملك فخر الدين الحسين بن أبي بكر الأشعري.

ثم لما هلك ناصر الدين، ومَلَك بلاده شمسُ الدين الإيلتمش الدهلوي سلطان الهند، قدم دهلي، وتقرب إلى نظام الملك قوام الدين محمد بن أبي سعد الجنيدي، وصنَّف له «جوامع الحكايات»[3] لعله سنة ثلاثين وست مئة.

وله ترجمة كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاضي أبي علي المُحسِّن علي بن محمد بن داود التَّنُوخي المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، ذكره في «جامع الحكايات».

قال الچلپي في «كشف الظنون» في ذكر «جامع الحكايات»: نقله الفاضل أحمد بن محمد المعروف بابن عرب شاه الحنفي المتوفى سنة أربع وخمسين وثماني مئة إلى التركية بأمر السلطان مراد خان الثاني حين كان معلِّماً له، ونقله أيضاً مولانا نجاتي الشاعر المتوفى سنة أربع عشرة وتسع مئة لشَهْزاده السلطان محمد خان، والمولى صالح بن جلال المتوفى سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة بأمر[4] السلطان بايزيد بن سليمان خان. ومنتخبُه لمحمد بن أسعد بن عبد الله التستري الحنفي، وهو على أربعة أقسام، كل قسم خمسة وعشرون باباً. انتهى.

مات العوفي في أيام ناصر الدين محمود بن الإيلتمش، لم أقف على سنة وفاته.

١١٩ ـ صدر الدين محمد بن محمد السندي

السيد الشريف: صدر الدين محمد بن محمد بن شجاع بن إبراهيم بن قاسم بن زيد بن جعفر الحسيني البهَكَّري السندي الخطيب، كان من أكابر عصره.

وُلد بمدينة بهَكَّر في عاشر رجب سنة تسع وست مئة، ونشأ بها وتزوج، وله ذرية واسعة في الهند. تُوفي لتسع بقين من محرم سنة تسع وستين وست مئة. وقبره بقلعة بهَكَّر، كما في «منبع الأنساب».

= مدير دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ومدير دائرة الترجمة، وذلك في مقدمته على كتاب «جوامع الحكايات ولوامع الروايات» للعوفي المذكور بعبارة إنكليزية من مطبوعات أوقاف خيرية گيب كيمبرج ـ في سنة ١٩٢٩م.

(١) «آمُوي» هي: (آمُل الشطّ)، مدينة مشهورة في غربي جَيْحون، ويقابلها في شرقي جيحون: فِرَبْر، التي يُنسَب إليها الفِرَبْري راوية كتاب البخاري.
و(آمل) هذه لها أسماء مُتعدِّدة، ويُطلق عليها أيضاً: «آمُو» هكذا يقولها العجم على الاختصار والعُجمة. انتهى ملخَّصاً من «معجم البلدان» ١/ ٧٨ ـ ٧٩ رسم (آمل) و (آمُو).

(٢) «فَرَهْ» بفتح أوّله وثانيه، ثم هاء خالصة: مدينة من نواحي سجستان. «معجم البلدان» ٤/ ٢٩٤.

(٣) ويقال «جامع الحكايات» كما يأتي.

(٤) من الطبعة الأولى، وليس في الأصل.

١٢٠ ـ جمال الدين محمد البسطامي

الشيخ الإمام: جمال الدين محمد البسطامي، أحد الرجال المشهورين بالفضل والصلاح.

وَلي مشيخة الإسلام بدار الملك دهلي، يوم الثلاثاء ثالث عشر من رجب سنة ثلاث وخمسين وست مئة، في أيام السلطان ناصر الدين محمود بن الإيلتمش. ومات في أيامه يوم الجمعة، سادس جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وست مئة بدهلي، كما في «طبقات ناصري».

١٢١ ـ عماد الدين محمد الشقورقاني

الشيخ العالم الفقيه القاضي: عماد الدين محمد الشقورقاني، أحد الفقهاء المشهورين في الهند.

وَلي قضاء الممالك بحضرة دهلي، في رابع ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وست مئة، في أيام مسعود شاه، فاستقلّ به زماناً، واتُّهم بأمرٍ، وعُزل عن القضاء يوم الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ست وأربعين وست مئة، وأُخرج إلى (بَدَايُون) في أيام السلطان ناصر الدين محمود، ثم قُتل بأمر عماد الدين ريحان الحاجب يوم الاثنين ثاني عشر من ذي الحجة سنة ست وأربعين وست مئة، كما في «طبقات ناصري».

١٢٢ ـ الشيخ محمد التركماني

الشيخ الكبير: محمد بن أبي محمد التركماني، أحد رجال العلم والمعرفة. كان من أصحاب الشيخ عثمان الهاروني. قدم الهند وسكن بِـ (نَارنُول)، وأسلم على يده خلق كثير من كفار الهنود، فسخط عليه أهل الهند، وقتلوه سنة اثنتين وأربعين وست مئة كما في «خزينة الأصفياء».

١٢٣ ـ ناصر الدين محمود التركماني

الملك الفاضل: ناصر الدين محمود بن الإيلتمش بن أيلم خان الأكبري التركماني الدهلوي. كان أكبرَ أولاد أبيه، وأحبهم إليه، وأوفرهم علماً وعقلاً وسخاء وشجاعة.

أقطعه الإيلتمش (هَانسِي) فأقام بها زماناً، ثم استعمله على بلاد (أَوَدْه) سنة ثلاث وعشرين فقام بالأمر، وسار إلى بنگاله بأمر والده سنة أربع وعشرين فقاتل صاحبَها غياث الدين عوض بن الحسين الخلجي، وقَتَله، وبَعَث إليه والده الخلع الفاخرة.

وكان وليَّ عهده بعده، ولكنه لم يمهله الأجل، فمات بأرض بنگاله، وتأسف لموته والده تأسفاً شديداً، ثم لما وُلد له ابنٌ آخر: سمّاه باسمه، ولقبَّه بلقبه.

وكانت وفاته سنة ست وعشرين وست مئة، كما في «طبقات ناصري».

١٢٤ ـ ناصر الدين محمود الدهلوي

الملك الفاضل: ناصر الدين بن محمود غياث الدين بلبن التركماني الدهلوي، المشهور بِـ (بَغْراخان). كان من رجال العلم والسياسة.

وُلد ونشأ في مهد السلطنة، وتأدب بآدابها، وتنبّل في أيام أبيه، فولاّه على بنگاله بعد سنة ٦٧٨. ولما مات والده غياث الدين سنة ٦٨٦، ووَلي مكانه ولدُه معز الدين بن ناصر الدين بدهلي، توجَّه لقتاله، والتقيا بالنهر، وترك ناصر الدين السلطنة لولده معز الدين، ورجع إلى بنگاله، وسُمِّي لقاؤهما: قِران السعدين. وللأمير خسرُو بن سيف الدين الدهلوي مزدوجة في كيفية اللقاء، سماها «قران السعدين».

مات سنة إحدى وتسعين وست مئة بأرض بنگاله، كما في «جنة المشرق».

١٢٥ ـ ناصر الدين محمود بن الإيلتمش

السلطان العادل الفاضل: ناصر الدين محمود بن شمس الدين الإيلتمِش، أنموذج الخلفاء الراشدين. كان أصغرَ أبناء والده، وأكبرَهم في الفضل والصلاح.

قام بالملك بعد ابن أخيه علاء الدين مسعود في سنة أربع وأربعين وست مئة، فنادى برفع المظالم، وأظهر من العدل والكرم. وكان عادلاً فاضلاً، ورعاً متعبداً، ذا حِلم وأناة ورأفة، راغباً إلى الخيرات مع الزهد والتقلل والتقشف، لم يُغيِّر شيئاً قط، ولا تَسرَّى على زوجته التي كانت له. وله عناية عظيمة بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، مُؤْثِرٌ للعدل والإحسان، وقضاء

الحوائج، ولم يزل أمره مستقيماً إلى عشرين سنة.

ومن أخباره: أنه كان يكتب القرآن الكريم نسختين منه كل سنة، فيبيعهما ويقتات بثمنهما. وأن زوجته سألته أن يعطيها جاريةً تكفي مؤنتها في طبخ الطعام وغيره من أمور البيت، فأَبَى!

ومن أخباره: أنه كان ذات يوم يكتب القرآن، فجاءه أمير من الأمراء فدخل عليه في بعض الألفاظ وقال: إنه سها في كتابته، فحلّق الناصر على ذلك اللفظ كدأب الكُتّاب، فلما ذهب الأمير مَحَا تلك الحلقة، فسأله بعض من حضر عن ذلك، فقال: إنه كان صحيحاً، ولكني وددتُ أن لا أؤذيه بردّ قوله.

وكانت وفاته في سنة أربع وستين وست مئة، كما في «تاريخ فرشته».

١٢٦ ـ محمود بن أبي الخير البلخي

الشيخ الإمام العالم المحدث: برهان الدين محمود بن أبي الخير أسعد البلخي، المشهور بالذكاء والفطنة.

لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والفقه والحديث، متوفراً على علوم الحكمة. تفقه على الشيخ برهان الدين المرغيناني صاحب «الهداية» وأخذ الحديث عن الشيخ حسن بن محمد بن الحيدر الصغاني صاحب «المشارق»، وقدم الهند فاحتَفَى به الملوك والأمراء.

وكان السلطان غياث الدين بلبن يتردد إليه في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة، ويحظى بصحبته زماناً. وكان شاعراً مُجيد الشعر، ويستمع الغناء ويقول: لا أُسأل يوم القيامة عن كبيرة. إلا استماع الغناء بصَنْج.

وكان يقول: إني سافرتُ مع أبي في صباي حين كنت ابنَ سبع، فوافيتُ موكب العلامة برهان الدين المرغيناني في أثناء الطريق، فنظر إليّ العلامة وأنعم فيّ النظر وقال: سيكون لهذا الصبي شأن في العلم! فرافقتُه ثم قال: سيكون هذا الصبي رجلاً شهماً يحضر لديه الملوك والأمراء، كما في «فوائد الفؤاد».

مات في سنة سبع وثمانين وست مئة، ودفن قريباً من الحوض الشمسي بدار الملك دهلي، كما في «خزينة الأصفياء».

١٢٧ ـ الشيخ فريد الدين مسعود الأَجُودَهني

الشيخ الكبير: مسعود بن سليمان بن شعيب بن أحمد بن يوسف بن محمد بن فرخ شاه العُمري، الإمام فريد الدين الچشتي الأجودهني، الولي المشهور.

قدم جدّه شعيب إلى أرض الهند في فتنة التتر، وولي القضاء بِـ (كهتوال) من أعمال الملتان فتديَّر بها، ووُلد الشيخ فريد الدين مسعود بها في سنة تسع وستين وخمس مئة، وسافر إلى الملتان في صباه واشتغل بالعلم على أساتذة عصره، وقرأ «النافع» على مولانا منهاج الدين الترمذي، وأدرك بها الشيخ قطب الدين بختيار الأُوشي في سنة أربع وثمانين وخمس مئة، فجاء معه إلى دهلي ولازمه مدة وأخذ عنه الطريقة.

وقيل إنه لما أدرك الشيخ المذكور وأراد أن يُصاحبه في الظعن والإقامة، منعه الشيخ وحثّه على تكميل العلوم، فرحل إلى قَنْدَهار ولبث فيها خمس سنوات وأخذ العلم، ثم سافر إلى البلاد، وأدرك الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدي والشيخ سيف الدين الباخَرْزي، والشيخ سعد الدين الحموي، والشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني وخلقاً آخرين من المشايخ.

ثم جاء إلى دهلي وصحب الشيخ قطب الدين المذكور، ثم رحل إلى مدينة (هَانْسِي) وأقام بها اثنتي عشرة سنة واشتغل بالرياضة الشديدة والمجاهدة القوية، فظهرت منه الخوارق والكرامات والتصرفات العجيبة، وتقاطر عليه الناس، فترك موضعه وذهب إلى (كهتوال) فلبث بها زماناً، ثم لما ارتفع حاله وازدحم عليه الناس هاجر منها إلى (أَجُودَهْن) فتوطّن بها يُربِّي المريدين ويرشد السالكين.

وكان من أكابر أولياء الله تعالى، صاحبَ تصرفات عجيبة وجذب قوي، لهُ في أحوال الباطن شأن كبير بين المكاشفين، مشهور في ظهور الآفاق ومذكور في بطون الأوراق.

أخذ عنه خلق كثير، منهم الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين محمد البدايوني، الشيخ علاء الدين علي الصابر الكَلْيري، والشيخ جمال الدين الخطيب الهانْسَوِي، والشيخ بدر الدين إسحاق الدهلوي.

قال محمد بن المبارك الحسيني الكرماني في «سير الأولياء» إن الشيخ نظام الدين قرأ عليه ستة أجزاء من القرآن الكريم، وشطراً من «العوارف»، وكتاب «التمهيد» للشيخ أبي شكور السالمي.

ومن كلامه: إن الله سبحانه يستحي من العبد أن يرفع يديه ويردّهما خائبتين، ومنه: إن الصوفي يصفو له كل شيء ولا يكدره شيء، وقال: الصوفي مَنْ رضي بالموجود ولا يسعى بطلب المفقود، وقال: لو أردتم أن تبلغوا درجة الكبار فعليكم أن لا تلتفتوا إلى أبناء الملوك! وقال: أرذل الناس من يشتغل بالأكل واللباس.

وبعث إلى السلطان غياث الدين بَلبن كتاباً في شفاعة رجل، فكَتَب: رفعتُ قصته إلى الله ثم إليك، فإن أعطيتَه فالمُعطي هو الله، وأنت المشكور، وإن لم تُعطه شيئاً فالمانع هو الله، وأنت المعذور. انتهى.

وله تعليقات نفيسة على «عوارف المعارف»، كما في «گلزار أبرار». مات في خامس محرم الحرام سنة أربع وستين وست مئة، وله خمس وتسعون سنة، كما في «سير الأولياء».

١٢٨ ـ علاء الدين مسعود الدهلوي

السلطان: علاء الدين مسعود بن فيروز بن الإيلتمش التركماني الدهلوي، العادل الكريم.

قام بالملك بعد عمه معز الدين بهرام شاه سنة تسع وثلاثين وست مئة. وأحسن إلى الناس وغمرهم بالبذل والعطاء، وخلَّص عمَّيْه جلالَ الدين مسعوداً، وناصرَ الدين محموداً من الأسر وولاّهما على قَنُوج وبَهْرائِج، وغزا كفار الهند والتتر، وفتح الفتوحات العظيمة.

قال منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني في «طبقات ناصري»: إنه كان عادلاً باذلاً كريماً حسن الأخلاق عميم الإحسان، مال في آخر أمره إلى التنزه والتصيد وأفرط في ذلك، فرغب عنه الأمراء واتفقوا على عمه ناصر الدين محمود، فخلعوه يوم الأحد لسبع ليال بقين من محرم سنة أربع وأربعين وست مئة.

١٢٩ ـ مولانا منهاج الدين الترمذي

الشيخ العالم الفقيه: منهاج الدين الترمذي ثم الملتاني، أحد العلماء المُبرّزين في الفقه والأصول. كان يدرّس ويفيد بمدينة ملتان، قرأ عليه الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني كتاب «النافع» في الفقه.

حرف النون

١٣٠ ـ ناصر الدين قَبَاچَهْ المُعزّي

السلطان: ناصر الدين قباچه المُعزّي، الملك العادل.

كان من مماليك الشهاب محمد بن سام الغوري، خدمه زماناً وقاتل أعداءه، فولاّه الشهاب السند، فملكها وفتح البلاد إلى ساحل البحر، وفتح لاهور غير مرة، وساس الأمور وأحسن إلى الناس، وقاتل جلال الدين خوارزم شاه سنة إحدى وعشرين وست مئة، وقاتل الخلج سنة ثلاث وعشرين وست مئة فهزمهم، وتزوج بابنتي قطب الدين أيبك واحدة بعد أخرى، وكذلك تزوج بابنة تاج الدين الدزّ.

وكان وليَّ عهده بعده: ابنُه علاء الدين بهرام شاه سبط قطب الدين أيبك، ووزيره عين الملك فخر الدين الحسين بن أبي بكر الأشعري.

وكان من أجود الدنيا، اجتمع إليه السادة والأشراف، ووَفَد العلماء عليه من العراق وخراسان والغور وغزنة، وكان عصره أحسن العصور، وزمانُه أنضر الأزمان.

ولم يزل على ذلك حتى سار إليه شمس الدين الإيلتمش سنة خمس وعشرين وست مئة وحاصر (أَچّ)، فانتقل ناصر الدين إلى قلعة بَهكَّر، فسيَّر إليه شمس الدين ووزيرُه نظام الملك قوام الدين محمد بن أبي سعد الجنيدي بعساكره، فحاصره بقلعة بَهكَّر، وفُتحت مدينة (أَچّ) على يد شمس الدين، فلما سمع ناصر الدين خبر الفتح: بعث إلى شمس الدين ولدَه بهرام شاه ومعه الأحمال والأثقال، وفُتحت بهَكّر على يد نظام الملك.

وغرق ناصر الدين بماء السند، كان ذلك في التاسع

عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وست مئة، كما في «طبقات ناصري».

١٣١ ـ نجم الدين الصغرى

الشيخ العالم الفقيه: نجم الدين الصغرى، أحد الرجال المشهورين بالهند. تولى شياخة الإسلام بدهلي، لعله في أيام شمس الدين الإيلتمش، ومات في أيامه. وقبره يحاذي قبر الشيخ برهان الدين محمود البلخي، كمافي «گلزار أبرار».

١٣٢ ـ الشيخ نجيب الدين المتوكل

الشيخ الزاهد الفقيه: نجيب الدين بن سليمان بن شعيب العدوي العُمري الدهلوي، المشهور بالمتوكل. كان من العلماء الربانيين. وُلد ونشأ بأرض الهند، وأخذ عن صنوه الشيخ فريد الدين مسعود الأَجُودهني، ثم سكن بدهلي ولم يزل بها حتى مات.

وكان زاهداً عفيفاً متوكلاً قانعاً باليسير، لم يتردد قط إلى الملوك والأمراء ولم يطمع فيهم.

مات في تاسع رمضان سنة تسع وستين وست مئة، كما في «سير الأولياء».

١٣٣ ـ الشيخ نجيب الدين الفردوسي

الشيخ الصالح: نجيب الدين بن عماد الدين الفردوسي الدهلوي، أحد المشايخ المشهورين بأرض الهند.

أخذ عن عمه الشيخ ركن الدين الفردوسي، ولازمه مدة حياته، ثم جلس على مَسْند الإرشاد، وكان صاحبَ وَجْدٍ وحالة. أخذ عنه الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى الميري.

تُوفي سنة إحدى وتسعين وست مئة بدهلي، فأرّخ لموته بعضهم من لفظ «أخص»، كما في «سيرة الشرف».

١٣٤ ـ القاضي نصير الدين الدهلوي

الشيخ العالم الأجل: القاضي نصير الدين الدهلوي، المشهور بِ «كاسةْ لَيْس». كان أكبر قضاة الهند في أيام شمس الدين الإيلتمش. ذكره القاضي منهاج الدين أبو عمرو عثمان بن محمد الجوزجاني في «الطبقات».

١٣٥ ـ أبو المؤيد نظام الدين الغزنوي

الشيخ المعمر: أبو المؤيد نظام الدين بن جمال الدين بن جلال الدين بن تاج الأولياء بن شمس العارفين عبد الرحمن الغزنوي، كان من نسل أبي عبيدة بن الجراح القرشي الفهري، المبشر بالجنة.

ولد ونشأ بغزنة، وأخذ عن والده وخاله نور الدين المبارك. وقيل: إنه أدرك الشيخ عبد الواحد بن شهاب الدين أحمد الغزنوي وأخذ عنه، وكان من شيوخ خاله المذكور، ثم قدم الهند وسكن بدهلي، وأخذ عن الشيخ قطب الدين بختيار الأُوشي.

ولم يكن له نظير في التذكير وتأثيره في الناس. قال الأمير حسن بن العلاء السجزي في «فوائد الفؤاد»: إن الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني كان يقول: إني حضرتُ في موعظته مرة، فرأيت أنه جاء ووضع نعليه عند باب المسجد، ورفعهما بيده، فدخل المسجد و صلى ركعتين بسكون وطمأنينة، ثم صعد المنبر فقرأ مُقرئُه الشيخ قاسم شيئاً من القرآن الكريم، ثم أراد الشيخ أن يشرع في الموعظة فقال: إني كنت قرأت بخط أبي، فتأثر أهل المسجد من ذلك، ثم أنشد:

عشق تو وبر تو نظر خواهم كرد
جان در غم تو زير وزبر خواهم كرد

فارتجّ المسجد من البكاء والعويل، فكرر هذا البيت ثلاث مرات كأنه نسي البيت الثاني، فكان يردّد الأول ليتذكر الثاني حتى قال اعترافاً بالعجز: إني نسيتُ البيت الثاني، وقال ذلك برقّة، فازداد التأثير، ثم ذكره الشيخ قاسم فأنشد:

پر درد دلي بخاك در خواهم شد
پر عشق سرى زگور بر خواهم كرد

ثم نزل عن المنبر. انتهى.

تُوفي سنة اثنتين وسبعين وست مئة، كما في «أخبار الجمال».

١٣٦ ـ نظام الدين الفرغاني

الشيخ العالم الفقيه: نظام الدين الفرغاني. أحد العلماء المُبرّزين في الفقه والأصول.

قدم الهند ودخل بنگاله، فقرّبه إلى نفسه محمد بن بختيار الخلجي، وأكرمه وبذل له مالاً خطيراً، فغزا معه كفار الهنود، وسكن بأرض بنگاله. وكان معه أخوه صمصام الدين. أدركه القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني سنة إحدى وأربعين وست مئة، وذكره في «الطبقات».

١٣٧ ـ الشيخ نور الدين اللاري

الشيخ الكبير: نور الدين اللاري، المشهور بِ «ملكيار پران». كان من كبار المشايخ.

أخذ عن الشيخ دانيال، عن الشيخ علي، عن الشيخ أبي إسحاق الگاذروني، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وقدم الهند في أيام السلطان غياث الدين بَلْبن فسكن بدهلي.

تُوفي سنة خمس وتسعين وست مئة بدهلي، فدفن بها على شاطىء نهر جَمْنَ عند زاوية الشيخ أبي بكر الطوسي، كما في «خزينة الأصفياء».

١٣٨ ـ نور الدين القِرمطِي

الشيخ: نور الدين التركماني القرمطي، أحد دعاة القرامطة!

ذكره القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني في «الطبقات» قال: إنه حرّض أصحابه من أهل گُجْرات ونواحي الهند، فاجتمعوا بدهلي في أيام رضية بنت الإيلتمش، وبايعوا نور الدين سراً، وقصدوا أهل الإسلام.

وكان يذكّرهم ويجتمع لديه خلق كثير من الأراذل، وكان يرمي أهل السنة والجماعة بالنصب والخروج، ويحرّض أتباعه على بغض الأحناف والشافعية وغيرهم.

وقرّر لهم موعداً للخروج، فخرجوا يوم الجمعة سادس رجب سنة أربع وثلاثين وست مئة، وكانوا ألف رجل مسلّح بالسيوف والأسنّة، فصاروا فرقتين، وهجموا على الجامع الكلبي بدار الملك دهلي، طائفةٌ منهم دخلت الجامع من الجهة الشمالية، وطائفةٌ جاءت من تلقاء سوق البزّازين، ووصلتْ على باب المدرسة المُعزّية ظناً منهم أنه باب الجامع الكبير، فقتلوا خلقاً كثيراً من أهل الإسلام، ثم جاءت نجدة من الأمراء فقتلوهم، ولم ينجُ منهم أحد. انتهى.

حرف الواو

١٣٩ ـ القاضي وجيه الدين الكاشاني

الشيخ الإمام الأجل: القاضي وجيه الدين الكاشاني، أحد العلماء المُبرّزين في الفقه والأصول والكلام والعربية. كان أكبر قضاة الهند في أيام السلطان قطب الدين أيبك.

حرف الياء

١٤٠ ـ الشيخ يعقوب بن أحمد النَّهْرَوالي

الشيخ الكبير: أبو يوسف يعقوب بن أحمد الشافعي النهروالي، أحد العلماء المُبرّزين في العربية. كان حفيدَ السيد مرتضى عَلَم الهدى.

قدم گجرات، مع ألف خان، الذي سيّره السلطان سَنْجر إلى نَهْرَواله مع سبعين ألف مقاتل من الفرسان، والرجّالة، فحاصر نهرواله وضيَّق على أهلها، ولما طالت المدة إلى خمس سنوات أو ست: بَنَى مسجداً من الحجارة المنحوتة خارج البلدة. ثم لما نُعي بالسلطان سنجر: رجع ألف خان، وأقام يعقوب بذلك المسجد. وكان يدرّس ويفيد.

وذلك المسجد بُني سنة خمس وخمسين وست مئة، كما في «مرآة أحمدي».

١٤١ ـ الشيخ يعقوب بن علي اللاهوري

الشيخ العالم: يعقوب بن علي الحسيني الكاظمي الزنجاني، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح.

قدم لاهور سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، فسكن بها، وتصدر للإرشاد، وانتفع به خلق كثير من العلماء والمشايخ. مات في السادس عشر من رجب سنة أربع وست مئة، كما في «خزينة الأصفياء».

● ● ●

الفهرس

